السيد محسن الأمين الحسيني العاملي (قده)

إقناع اللائم على إقامة المآتم

تحقيق

السيد جواد الصافي الموسوي النجفي

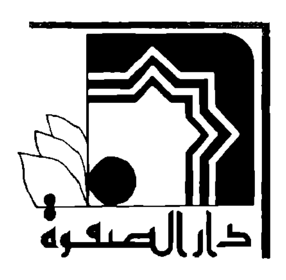





مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

إقناع اللائم
على إقامة المآتم

الطبعة الاولى
١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م



ISBN: 9789953545141



للطباعة والنشر والتوزيع

بيـروت - بئـر العبـد - خلـف محطـة ديـاب - ص.ب، 25/91 الغبيـري

فاكس، 00 29 55 (9611+) - هاتف، 42 49 27 (9611+) - 49 01 80 03

E-mail: dar_asafwa@hotmail.com

إقناع اللائم
على
إقامة المآتم

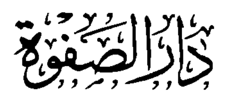
بحوث فقهية استدلالية على جواز إقامة المآتم
للسبط الشهيد الإمام الحسين عليه السلام بل الندب إليها

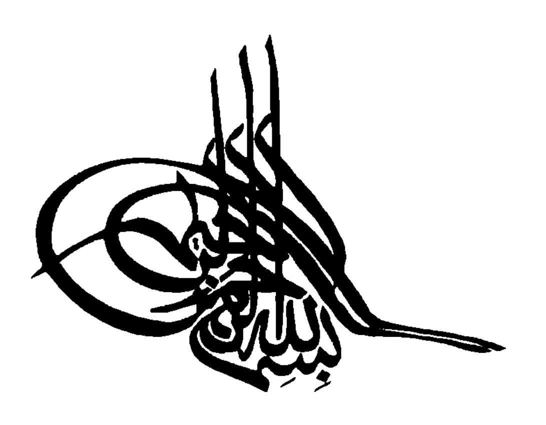
تاليف

السيد محسن الأمين الحسيني العاملي

تحقيق

السيد جواد الصافي الموسوي النجفي





قال آية الله العظمى والمرجع الديني الكبير مؤسس الثورة الإسلامية في إيران السيد الإمام الخميني(قدس سره):

إنّ البكاء على سيد الشهداء عليه السلام وإقامة المجالس الحسينية هي التي حفظت الإسلام منذ أربعة عشر قرناً.

جريدة الإطلاعات

العدد ـ ١٥٩٠١

التاريخ ٢٠/٤/٥٨ المصادف ١٦/٨/٨٨

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

لمحة موجزة عن حياة الإمام الحسين عليه السلام

الحمد لله رب العالمين ثم الصلاة والسلام على محمد الصادق الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين منذ بدء الخليقة حتى قيام يوم الدين وبعد:

من هو الحسين عليه السلام؟

سؤال يطرح ويكرر من قبل عديد من الناس ومن شعوب وأمم مختلفة ومتعددة وفي مختلف الأزمان والأماكن والمجالات الحياتية دينيةً كانت أو اجتماعية إسلامية كانت أم من ديانات أخرى كالمسيحية واليهودية والصابئية والبوذية... إلخ. ويريد المتسائل التعرف على شخصية الحسين عليه السلام أو رمزيته أو ما يشكله من قيمة خلقية كانت أو دينية أو استغراباً لهذه الشخصية أو من هذه الشخصية التي قضت في بداية الإسلام ولم تزل حيةً في ضمائر الكثيرين من أهل الإسلام وبالخصوص الشيعة منهم أو تكون هذه النضرة والتساؤل عن عظم هذا الإنسان وعظم شخصيته من جوانب أخرى غير التي ذكرناها وهذه الجوانب هي التي دعت بالسائل إلى طرح سؤاله هذا...

وجوابه إن الحسين عليه السلام رمز من رموز الإسلام الخالدة وإمام الأمة الشرعي وهو سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وهو والد الأئمة لما ثبت بالدليل القطعي الصدور والدلالة من قرآن كريم وسنة نبوية صحيحة متواترة مقطوعة الصدور عن النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله منقولةً عن أئمة أهل البيت من آل محمد صلى الله عليه وآله والصحابة النجباء الأبرار الذين لم يحدثوا في الدين وعن التابعين وتابعيهم من أصحاب الأئمة وعدول الأمة في كل زمن من الأزمان منذ زمن الصدور حتى زمننا الحالي وسنذكر لك هذا الدليل كي تعرف مكانة الحسين عليه السلام وأحقيته وأهليته عن غيره.

قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

٣٣/ الأحزاب/ ٣٣

قال تعالى:

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

٢٣/ الشورى/ ٤٢

قال تعالى:

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾.

٢٢/ الإسراء/ ١٧

قال تعالى:

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا

وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

٦١/ آل عمران/ ٣

قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾.

٥٦/ الأحزاب/ ٣٣.

أخرج أحمد في المناقب بسنده عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ:

«كل ولد أب فإن عصبتهم لأبيهم ما خلال ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم»[(١)].

أخرج الترمذي والحافظ الدمشقي بسنديهما عن أنس بن مالك قال: سُئل النبي ﷺ «أيّ أهل بيتك أحب إليك. قال: الحسن والحسين»[(٢)].

أخرج أبو سعيد في شرف النبوة بسنده عن إسرائيل قال سمعت النبي ﷺ يقول: «من أحب الحسن والحسين فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني»[(٣)].

(١) ذخائر العقبى للعلامة الشافعي محب الدين أحمد الطبري مفتي الحرمين المتوفي سنة ٦٩٤هـ.

(٢) صحيح الترمذي ج١٣، ص١٩٣، مصابيح السنة للبغوي ج٢، ص٢١٨، الصواعق المحرقة لابن حجر، ص١٨٢، نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص٢١٠.

(٣) أخرج الطبراني مثله عن أبي هريرة في المعجم الأوسط ج٥، ص١٠٢، تاريخ مدينة دمشق للحاكم ابن عساكر ج١٣ ص١٨٨، ذخائر العقبى ص١٢٣.

أخرج ابن السّمان في الموافقة بسنده عن أبي بكر الصديق (أبي بكر بن أبي قحافة) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[١].

أخرج الفتال النيسابوري في روضة الواعظين بسنده عن رسول الله ﷺ قال: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»[٢].

أخرج ابن أبي جمهور الإحسائي في غوالي اللئالي بسنده عن رسول الله ﷺ قال للحسن والحسين عليهما السلام: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا» وفي الهامش نقلاً عن إثبات الهداة «إبناي هذان إمامان قاما أو قعدا»[٣] ومثله عن الطبرسي في أعلام الورى.

وجاء في شرح الأزهار (ج٤، ص٥٢٢) للإمام أحمد المرتضى ما نصه:

«وأما الحسنان فالنص فيهما صريح وهو قوله ﷺ: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما».

نسبه ومولده:

أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن قصي بن مالك بن النضر (قريش). الهاشمي القريشي المضري العدناني المدني.

---

(١) أقول هذا الحديث متواتر لفظاً ومعناً وروي بطرق متعددة منها عن أبي سعيد الخدري ومنها عن عمر بن الخطاب ومنها عن حذيفة وغيرهم، مسند أحمد ج٣، ص٣، سنن الترمذي، ج٥ ص٣٢١، مستدرك الحاكم ج٣، ص٣٨١.

(٢) السراج الوهاج في شرح صحيح مسلم، شرح الأزهار للإمام أحمد المرتضى ج٤، ص٥٢٢.

(٣) غوالي اللئالي ج٤، ص٩٣، روضة الواعظين ص ١٥٦.

كانت ولادته الشريف في المدينة المنورة (يثرب)، يوم الثالث من شهر شعبان من السنة الرابعة للهجرة وقيل غير ذلك.

سماه رسول الله ﷺ بأمر من الله تعالى (حسيناً) في اليوم السابع من ولادته.

عن أسماء بنت عميس أن رسول الله ﷺ، طلب الحسن عليه عند ولادته ثم قال لعلي عليه السلام أي شيء سميت ابني قال: ما كنت لأسبقك بذلك.

فقال ﷺ: ولا أنا سابق ربي، فهبط جبرائيل عليه السلام فقال:

«يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: علي منك بمنزلة هارون من موسى لكن لا نبي بعدك فسم ابنك هذا باسم ولد هارون».

فقال ﷺ: «وما كان اسم ابن هارون يا جبرائيل».

قال جبرائيل عليه السلام: «شبّر».

فقال ﷺ: «إن لساني عربي».

فقال جبرائيل عليه السلام: «سمه الحسن».

ففعل ﷺ فلما كان بعد حول ولد الحسين عليه السلام فجاء نبي الله ﷺ وذكرت أسماء مثل الأول وساقت قصة التسمية حتى قالت: وإن جبرائيل أمره بأمر رب الثقلين أن يسميه باسم ولد هارون الآخر والذي كان اسمه «شبّير» فقال النبي ﷺ مثل الأول فقال جبرائيل عليه السلام: «سمه الحسين».

أخرج البغوي بسنده عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام بن محمد الباقر عليه السلام بسنده عن أبيه بسنده عن آبائه أن رسول صلى الله عليه وآله سمى الحسن والحسين يوم سابعهما. وأخرج الدولابي مثله.

أخرج الدولابي بسنده عن عمران بن سليمان قال:

«الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة لم يكونا في الجاهلية».

أخرج أحمد وأبو حاتم بسنده عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه سمى أولاده الثلاثة (الحسن والحسين والمحسن) بقوله صلى الله عليه وآله إنما سميتهم بولد هارون (شُبّر وشُبَيْر ومُشَبِّر).

ألقابه:

للحسين عليه السلام ألقاب كثيرة منها:

١ ـ السبط.

٢ ـ الرشيد.

٣ ـ السيد.

٤ ـ الطيب.

٥ ـ الوفي.

٦ ـ ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله.

٧ ـ مصباح الهدى.

٨ ـ الصابر.

٩ ـ سيد شباب أهل الجنة.

١٠ ـ المظلوم.

١١ ـ الممتحن.

١٢ ـ سيد الشهداء.

كنيته:

للحسين عليه السلام العديد من الكنى منها:

١ ـ أبو عبد الله.

٢ ـ أبو علي.

٣ ـ أبو الأحرار.

٤ ـ أبو الإباء.

٥ ـ أبو الأئمة (والد الأئمة).

أمه:

لقد كان للإمام الحسين عليه السلام أماً لا مثيل لها حيث كانت أمه سيدة نساء العالمين المرأة المثالية في الإسلام المرأة القدوة في الإنسانية أم الحسن والحسين فاطمة الزهراء عليها السلام بنت محمد صلى الله عليه وآله الهاشمية القرشية المكية المدنية.

ذريته:

أعقب الإمام الحسين عليه السلام ذرية كثيرة مباركة منها:

١ ـ الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

٢ ـ السيد الشهيد علي الأكبر بن الحسين عليه السلام شهيد طف كربلاء.

٣ ـ السيد علي الأصغر شهيد كربلاء المشتهر بـ(عبد الله الرضيع) عليه السلام.

٤ ـ السيدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام.

٥ ـ السيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليها السلام.

وهؤلاء هم أشهر الذرية المباركة.

دور الحسين عليه السلام في الإسلام:

يعد الإمام الحسين عليه السلام رجل العقيدة ومحيي الشريعة الإسلامية فهو نقطة تحول التاريخ الإسلامي حيث شكلت ثورته المباركة منعطف تاريخي في حياة الإسلام والمسلمين وهذا المنعطف كان واضحاً بيناً ظاهراً للعيان كأنه الكوكب الدريّ الثاقب المتلألأ بل قل كالشمس في رابعة النهار حيث فتح بوابة الأخلاق والقيم البشرية الإنسانية على مصراعيها فكانت ثورته مشعلاً لدروب الثورات الإنسانية في مختلف أرجاء المعمورة من الشعوب والديانات الأخرى فضلاً عن الثورات العربية والإسلامية التالية فلقد لعبت ثورة الحسين عليه السلام دوراً مهماً فكانت محركاً لأغلب الثورات والحركات الفكرية والعقائدية والإنسانية من بعده ويعد الحسين عليه السلام بثورته وجهاده ميقظاً للإنسانية من سبات الخنوع والخضوع والضياع ومؤجج وهج الإنسانية والحرية في كل النفوس وكان الرادع لنير الذل والحرمان والوقوع تحت سلطان المتسلطين وجوار الجائرين وبغي الطغاة الظالمين الذي لم يقبل بالرذيلة بشعاره الخالد:

«الموت أولى من ركوب العار والعار أولى من دخول النار»

وبندائه وشعاره الآخر مخاطباً قيم الرجولة والإنسانية في معسكر الأعداء:

«إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم، كونوا عرباً كما تزعمون وارجعوا إلى أحسابكم»[١].

موقف الحسين عليه السلام في الزمن الصعب:

ثار الحسين عليه السلام على قوى البغي والتسلط وطاغوت العصر المتمثل بالسلطان الأموي الغاصب لسلطان المسلمين المترأس على رؤوس العباد بلا شرعية مع قول الرسول صلى الله عليه وآله الملك حرام على بني أمية والأخبار الواردة والدالة على ذلك كثيرة منها ما ورد في عدم جواز حكم المسلمين منهم بالخصوص ومنها عدم جواز حكم الطلقاء الذين أسلموا بعد الفتح، ومنها لعن الرسول صلى الله عليه وآله لأبي سفيان ومعاوية ويزيد أخوه. وكانت هذه الثورة بعد مرور ما يزيد عن نصف قرن على رحيل خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله حيث تسلم آل أمية سلطان المسلمين بالغدر والمكر والحيلة وسفك الدماء والباطل من القول والفعل فقاموا بطمس معالم الشرع القويم وتحريف السنة النبوية ودس السقيم والمكذوب فيها وبهذه الأفعال الشنيعة فقد الأمن والأمان والإيمان ولم يبق من الحقيقة سوى قعب القدح وأصبح الإدعاء والانتحال وسيلة التسلط للحكم ونيل المطالب فقتل أهل الإيمان تحت كل فريةٍ وتهمة وكان لما جرى مع الإمام الحسن عليه السلام وما لاقاه من طاغوت أمية الأول الأثر الكبير في تهيئة المناخ المناسب للثورة ولما آلت إليه الحال التي لا يمكن للحسين عليه السلام الصبر عنها والتحمل لها لخوفه على الشرع من الضياع التام.

---

(١) منتهى الآمال، ج١ للشيخ عباس القمي، مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد عبد الرزاق المقرّم.

الحسين عليه السلام يوقظ الشعوب:

كان أول نتاج لثورة السبط الشهيد الحسين عليه السلام هو توعية الشعب العربي والشعوب الإسلامية وعامة الناس لواقع الحال آنذاك وتوعية الناس لحقيقة الإسلام المندرسة بفعل يزيد الأموي الملعون وجلاوزته وفقهاء السوء في بلاطه والمدن الأخرى من حواظر الدولة الإسلامية وما ينشره يزيد ليس هو الإسلام المحمدي بل الإسلام الأموي، واستغل الإمام الحسين عليه السلام بهذه الثورة موقعه في نفوس البقية الباقية آنذاك من الأحرار والعرب من أهل الإسلام والملل الأخرى لجلب الأنظار إليه كي يوعي ويبين حقيقة ما وصلت إليه الأمور وآلت إليه الأحوال وليبرز تعاليم الدين الحقة حتى لا تنخدع الناس بأقوال السلطة والمتسلطين ولا يغتر الناس بزخرف القول الباطل والشرع الشيطاني المدسوس وميل الهوى المغروس في النفوس، وليتم بهذه التوعية الابتعاد عن الدنيا وملاذّها الغير مشروعة، ولما كان الأمويون من آل أبي سفيان قد شرّعوا للناس وأتباعهم من خطباء السوء وأئمة الفسق سب إمام المتقين ومولى الموحدين علي بن أبي طالب وأهل بيته عليهم السلام وجعلوا ذلك سنة لمن بعدهم ممن ذهب مذهبهم وشرب مشربهم وعدّوا ذلك الأمر التعيس المتلبس بتعاليم إبليس شعاراً لهم ولدولتهم ولإسلامهم الأموي المهين لا الإسلام المحمدي الصمدي المتين الرصين حتى ربّوا على تلك السنن البغيضة والفتاوي المريضة الناشئة من الأجيال اللاحقة فكان المعلمون في كتاتيبهم وحلقات دروسهم يعلنون بسب آل محمد عليهم السلام والبراءة منهم ويدرسون هذه السنة لطلابهم ويثنون على الظالمين ويعظمونهم وكأن

في ذلك وحي منزل ويقدمون للناس صورة مغلوطة هزيلة مكذوبة موهومة بعيدةً كل البعد عن الروح الإلهية والصورة الخلابة للإسلام الحي النابض فكانت أفعالهم وصورة حالهم جافة فارغة جوفاء شوهاء بليدة في غاية القباحة والفظاعة وليس لهم هدف بذلك سوى التزلّف لسلطان الأمويين وطاعة أمرهم بامتثال سنّة الأمويين وكبيرهم الذي استنّ هذه السنّة البغيضة..

لقد استغل الأمويون الإسلام لتحقيق مطالبهم النفسية من زعامة وتسلط وكان هذه المرة باسم الإسلام فقال لهم الحسين عليه السلام لا لا لإسلامكم إنما الإسلام إسلام الله وإسلام جدي محمد رسول الله صلى الله عليه وآله فوضح الحسين عليه السلام بهذه الصرخة المدوية وطوفان دماءه ودماء الشهداء ممن معه للبرايا وبين للمخلوقات ليعلموا إن الإسلام الحسيني الحقيقي المتين هو التسليم لله ولأمره وعدم الشرك بالله تعالى طرفة عين فهو المعبود ولا معبود سواه وإن تكون الطاعة لله ورسوله ومن يقوم مقام الرسول بإذن الله ورسوله وإن الشريعة لا تكون هملاً ولا تكون مغرماً وفيئاً وإن السلطان من بعد محمد صلى الله عليه وآله لا بد أن يكون سلطاناً قوياً تتم به حجة الله على العالمين لا أن يُولى على الأمة شرارها وشذّاذها.

فأراد الحسين السبط الجد والمجد من معرفة وحدانية الخالق ومعرفة الحقوق في كل جوانب الحياة وما هي الحقوق المرادة والمبتغاة وليعلم الناس حب الله وحب رسوله وحب الشرع القويم وترك الفرقة والتنازع ولمّ الجمع والتآم الشمل ورصّ الصفوف لما فيه من قوة للإسلام وأمن لمن عاش بظله ومن ثم يتم الخير والسعادة ويعم السلام وتعم الرحمة المنشودة على العباد.

قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾.

١٤٩/ سورة الأنعام/ ٦

وقال تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾.

٥٩/ سورة النساء/ ٤

وبين الحسين عليه السلام للأمة أن في الإسلام وطاعة الباري عز وجل عز الأمة ونجاحها ورفاهية المجتمع وقوامه وبمخالفة شرع الباري وإتباع الهوى والسير في خطى الشيطان وأوليائه وخطئهم المهلكة والفشل والتناحر والذلة.

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟...﴾.

٤٦/ سورة الأنفال/ ٨

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

١٣٢/ سورة آل عمران/ ٣

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

٧١/ سورة التوبة/ ٩

الحسين عليه السلام والحفاظ على الدين:

أخرج ابن قالويه القمي في كامل الزيارات بسنده عن سعيد بن أبي راشد عن يعلي بن مرة قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط»[١].

إن ديمومة الشرع المقدس برجال حفظوه ورجالاً رسموا الخطى الصحيحة للأجيال الواعدة ونبراس هذه الرجالات وعمدة هذه الشخصيات سبط الرسالة وراضع حليب النبوة ولابس تاج الإمامة الحسين عليه السلام وارث محمد صلى الله عليه وآله حيث بذل مهجته وضحى بولده وأخوته وأتباعه وصحابته فتخلى عن كل ما فيه من أنا وبين للناس ما يفعله المؤمن، الحق المعتقد، الصحيح النهج، فضحى من أجل ما أعتقد به وبذل لدينه مهجته حين قال لابن عباس عند نصحه له بعدم الخروج للعراق:

«إني لم أخرج بطراً ولا أشراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت أطلب الصلاح في أمة جدي محمد أريد أن أمر بالمعروف وأنهي عن المنكر وأسير بسيرة جدي وسيرة أبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق وهو أحكم الحاكمين»[٢].

---

(١) رواه بن أبي شيبة الكوفي في المصنف ج٧، ص٥١٥، ح٢٢، صحيح ابن حبان ج١٥، ص٤٢٨. أقول هذا الحديث متواتر لفظاً ومعناً.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج٣، ص٢٤١، وجاء نص هذه العبارة بوصيته عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية (بن علي بن أبي طالب) بحار الأنوار للمجلسي ج٤٤، ص٣٢٩ ـ ٣٣٠.

ويتضح مما تقدم وما ترجمه الواقع بعد هذه الثورة والذي ترجمه لنا ولجميع الناس سيد الأحرار الحسين عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وصدق من قال الإسلام محمدي البدء والنشأة والوجود وحسيني الحفاظ والديمومة والبقاء.

فالتمسك بالحسين عليه السلام وخطه تمسك بالدين وعدم التيه والضلالة قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً لا يفترقان حتى يردا علي الحوض لا والله»[1].

ولما كان تصريح الرسول صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى أن الكتاب والعترة لا يفترقان فالكون مع الحسين عليه السلام والسير في ركابه سير في ركاب القرآن وكون مع القرآن الكريم قال الله تعالى:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾.

٣، ٤، ٥/ النجم/ ٥٣

لقد علَّم الحسين عليه السلام الأجيال كيفية الحفاظ على الدين حتى آخر نفس حيث تمثل بقوله:

ولئن كانت الأبدان للموت أنشئت ... فقتل أمروءِ بالله في السيف أفضل

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير، ج٤، ص٤١٦، ورواه ابن النجار البغدادي في ذيل تاريخ بغداد ج٥، ص١٤، ح١١٠٥ بسنده عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني مخلّف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله عز وجل وأهل بيتي». مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٣ ص١٧، مستدرك الحاكم ج٣، ص١٤٨، مسند ابن الجعد ص٣٩٧.

الحسين عليه السلام وحب الله تعالى:

أكّد الإمام الحسين عليه السلام وبيّن للناس وبالخصوص من تبعه في العقيدة والمذهب أن ضرورة الإيمان هو حب الله تعالى مصداقاً لقوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾.

١٦٥/ سورة البقرة/ ٢

وهذا الحب خالص له سبحانه لا يشاطره أحد فيه ولا يحب أحد كحبه هذا وهذا الحب منزّل في موضعه على حقيقة ثابتة لا تزول فلا يكون حباً مكذوباً مدعاً كما زعمت الأُمم السالفة قال تعالى:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ...﴾.

١٨/ سورة المائدة/ ٥

وبين لهم ولكل من اطلع على نهجه عليه السلام أن الهداية من الله وأن العقيدة لا تزول قال تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.

٥٦/ القصص/ ٢٨

وأن الباري هو الذي حبب الإيمان للمؤمنين قال تعالى:

﴿ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾.

٧/ الحجرات/ ٤٩

وأن إتباعه عليه السلام هو عين إتباع الأئمة من قبله وهو عين إتباع

الرسول النذير محمد البشير ﷺ وهو المبعوث رحمة للعالمين من رب العباد قال تعالى:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

٣١/آل عمران/ ٣

فحب الحسين عليه السلام هو فرع حب رسول الله ﷺ وحب رسول الله ﷺ هو فرع حب الله تعالى وحب الله تعالى هو الحب المطلق وهو ضرورة الإيمان والتوحيد فمن لم يحب الحسين عليه السلام لم يحب الرسول ﷺ وبالنتيجة لم يحب الله(سبحانه وتعالى) ولم يتحقق عنده نصاب الإيمان الحق ومن لم يحب الله ورسوله ثابت عقلاً ونقلاً أنه ليس بمؤمن قال تعالى:

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾.

١٨/ سورة السجدة/ ٣٢

فحب النبي وآله محض الإيمان وخلاصته.

الحسين عليه السلام والطاعة:

لقد برهن الحسين عليه السلام بثورته وتضحيته أن العقدية والقيم تفتدى بالغالي والنفيس لا القليل والرخيص وأظهر أعلى درجات الطاعة والانقياد للمعتقد فكان نعم العبد المطيع لله ولرسوله ولعقيدة الإسلام الحقة فكان إماماً قائماً بعد أن كان إماماً قاعداً فرسم لأتباعه وأحبابه ومريديه أن الرضا بقضاء الله والتسليم لقدره والتضحية من أجله هي أساس طريق العبودية بإتباع الرب والخالق والمعبود حيث قال: «لا معبود سواك» و«لا معبود غيرك» و«رضاءاً بقضاءك يا رب»

و«تسليماً لأمرك يا رب» ثم نداءه المدوي وكلامه النابع عن الحقيقة والقرب الإلهي:

«هوّن عليَّ ما نزل بي أنه بعين الله»[(١)].

ولسان حاله متمثلاً بأبيات رابعة العدوية:

تركت الخلق طراً في هواكا　　وأيتمت العيال لكي أراكا
لئن قطعتني في الحب إرباً　　لما مال الفؤاد إلى سواكا

وقول الشاعر:

فقل للشامتين بنا أفيقوا　　سيلقى الشامتون كما لقينا

إن الموت مصير كل إنسان لكن أي موت؟ وهل للشامت بالحسين عليه السلام شهادة كشهادته؟ ولكن لا بد للشامت من مصير الموت والفناء والخروج من هذه الدنيا فلا يشمت الشامتون.

وبقت طاعة الحسين عليه السلام لربه محيرة للعقول وثورته مذهلة للأذهان وصرخة مدوية عبر التاريخ ضد كل الظالمين فترى الحسين عليه السلام عدو الظالمين في كل مكان وزمان لا يكاد الظالم أن يطيق سماع صوته بل لفظ اسمه الشريف، ورحم الله من قال:

أحسين فيما أنت قد حملته　　أشغلت فكر العالمين جميعاً

وظهرت الطاعة لله ورسوله وأولي الأمر في معسكر الحسين عليه السلام في طفّ كربلاء بموقف بطل العلقمي العباس بن علي عليه السلام الذي ضحى من أجل العقيدة والإمام بنفسه الكريمة حيث قال:

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٤٥ ص٤٦، اللهوف للسيد ابن طاووس الحسني ص ١٤٣.

لـئـن قـطـعـتـم يـمـيـنـي إنـي أحـامـي أبـداً عـن ديـنـي.

إلى أن قال بعد قطع شماله: .... وعن إمام صادق اليقين.

الأهداف السامية لثورة الحسين عليه السلام:

كان الهدف السامي لثورة سيد الشهداء الصلاح والإصلاح وتعريف الإيمان وحقيقته وحقيقة القرب الإلهي والحب الإلهي فعرّف الحسين عليه السلام بثورته معنى الحرية ومعنى الحقوق وكانت ثورته ثورة الكهل والشاب والشيخ والفتى والرجل والمرأة والطفل واليافع والأسود والأبيض والعربي والأعجمي والحر والعبد والبعيد والقريب وعرّف الناس مكانة أهل البيت عليهم السلام ووجودهم وبركة هذا الوجود المبارك فيهم، فثبت الإسلام ببركة دماء الحسين عليه السلام وثبتت تعاليم الدين الحنيف ورجع الناس إلى القرآن وإلى التحقيق والتدقيق والعمل بالسنة النبوية وأقوال أئمة الدين من الصالحين من آل محمد وأتباعهم وتلامذتهم.

فكان الحسين صرخة المظلوم ولهفة الملهوف وعدو الغاصبين والمتسلطين مع علمه بمصيره ومصير عائلته وما كان يكنه ويحمله الأعداء وجيوشهم له ولأبيه من حقد دفين وثأرات خيبرية وبدرية وحنينية وكان شعاره المدوي على مر العصور:

«هيهات منا الذلة»[(١)].

عمل الحسين عليه السلام بما وجهه له دينه فكان عمله طلباً لرضا

---

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد عبد الرزاق الموسوي المقرّم، مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد محمد تقي بحر العلوم.

الجبار سبحانه وتعالى عملاً بدعوة رسول الله جده المصطفى محمد ﷺ داعماً للشرع القويم مبلغاً التعاليم عاملاً مجداً للآخرة وكان الحسين عليه السلام جادة التقوى والورع ورجل الشجاعة والفروسية الذي لم يكل ولم يتعب في طلب المقصد والمراد الحق.

فحمل أعباء الدين ودافع عن حوزته المنيعة كما أمره الله تعالى فكان رمزاً للاستقامة والوعي قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[1].

وكان اختيار الحسين عليه السلام من الله تعالى واصطفاءاً له لما يتمتع به من بين أقرانه وأهل الإسلام فلم يكن للحسين عليه السلام في زمانه مثيل وذلك للحكمة التي اختارته وفضلته فكان الحسين عليه السلام حسيناً قال تعالى:

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[2].

فضائل الحسين عليه السلام:

كان الحسين عليه السلام جم الفضائل في ورعة وتقواه وإيمانه وزهده وشجاعته وبلاغته وكرمه فكان أعبد الناس وكان أسخى الناس ولقد ملئت كراماته ومناقبه الخافقين وكتب عنه الكثير من المسلمين بل كتب العدو والصديق، المحب والمبغض والفضل ما شهدت به الأعداء فلا يكاد أحد أن يحصى فضائل سبط رسول الله ﷺ ووالد الأئمة وخامس أهل الكساء والرحمة المهداة للعالمين ومصباح الهدى وسفينة النجاة.

(١) سورة هود، الآية ١١٢.
(٢) سورة الأنعام، الآية ١٢٤.

ارتأينا في هذه العجالة سطر هذه الأحرف عن حياة السبط سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام لتكون مقدمةً لنا لهذه الطبعة الجديدة المنقحة من إقناع اللائم على إقامة المآتم الذي خطه يراع فخر العامليين وسليل الطيبين من آل الأمين الحسيني العاملي السيد الثبت السند العلامة المرجع المؤلف المصنف صاحب أعيان الشيعة أبو الحسن المحسن بن السيد عبد الكريم الحسيني العاملي نزيل دمشق دفين غوطة الشام في جوار حرم عقيلة الطالبيين المتوفي سنة ١٣٧١هـ في ليلة الأحد ٤ رجب من السنة المذكورة.

ولد سيدنا المصنف سنة ١٢٨٤هـ في قرية شقراء بجبل عامل من جنوب لبنان ونشأ نشأة دينية ملتزمة واعية فكان عالماً عاملاً أصولياً فذاً فقيهاً مجتهداً مرجعاً مقلداً عاصر العديد من العلماء والمراجع وتتلمذ على الشيخ الآخوند ملا محمد كاظم الخرساني صاحب الكفاية والشيخ آقا رضا الهمداني وشيخ الشريعة الأصفهاني والشيخ محمد طه نجف من علماء ومراجع النجف الأشرف.

كان شاعراً أديباً رجالياً فذاً كثير التصانيف عاصر السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني المرجع الأعلى وكانت له علاقة مميزة وصحبة وأخوة معه حيث سانده في أصعب المواقف وأشد الظروف التي مرت بالسيد الأمين.

ألف العديد من المؤلفات منها أعيان الشيعة السالف الذكر وحذف الفضول عن علم الأصول وأساس الشريعة والدر النضيد وكشف الغامض في أحكام الفرائض وغيرها ومنها إقناع اللائم وهو البضاعة المزجاة بين يديك وهو عبارة عن بحث فقهي استدلالي عن

جواز إقامة المآتم للحسين عليه السلام وما فيها من أجر وثواب وعدم مانعية إقامتها بالدليل العقلي والنقلي وهو نعم المصنف من نعم المصنف لسلاسته ووضوح قصده وعبارته وجودة أسلوبه وظهور مطلوبة فجزى الله سيدنا الأمين رحمه الله خير الجزاء والله من وراء القصد والحمد لله رب العالمين.

جواد الصافي الموسوي

برج البراجنة ـ بيروت ـ لبنان

ليلة الاثنين/ ١٥ محرم الحرام/ ١٤٣٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم (وبعد).

فإني ذاكر في هذا المجموع المسمى «إقناع اللائم: على إقامة المآتم» حسن إقامة المآتم للسبط الشهيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام[1] عقلاً ونقلاً وعدم المانع منها وبيان فوائدها لتكون كالمقدمة أو الخاتمة لكتابنا «المجالس السنية: في ذكرى مصائب العترة النبوية» وقد كنا ذكرنا في أول ذلك الكتاب مقدمة وجيزة في هذا الموضوع ونريد هنا أن نبسط الكلام في ذلك.

ونريد بإقامة المآتم البكاء لقتله عليه السلام بإخراج الدمع بصوت وبدونه والتعرض لما يسبب ذلك وإظهار شعار الحزن والتأسف والتألم لما صدر عليه وتذكر مصابه ونظم الأشعار في رثائه وتلاوتها واستماعها وتهييج النفوس بها للحزن والبكاء وتلاوة واستماع خبر مقتله وما جرى عليه وذكر فضائله ومناقبه ووصف أخلاقه الكريمة وشمائله بما يشبه تأبين الأموات والاجتماع وعقد المجالس لذلك وبذل المال والطعام وسقي الماء في حبه بمعنى إهداء ثواب ذلك إليه

(١) الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله من ابنته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام المولود سنة ٤ هجرية المقتول في كربلاء سنة ٦٠ هجرية وقيل ٦١ هجرية. المحقق.

وغير ذلك مما هو من هذا القبيل بشرط عدم الاشتمال على محرم نص الشرع على تحريمه وعلمت حرمته من دين الإسلام فإن ذلك لا كلام لأحد منا فيه ولا يصح نسبته إلى اعتقاد الشيعة إذ لو اشتملت عليه أعظم عبادة كالصلاة لأدى إلى تحريمها وإنما كلامنا في هذه المذكورات في نفسها وبما هي وهي التي تشتمل عليها مآتم الشيعة المقامة للحزن على الحسين عليه السلام غالباً.

والأمر الذي دعانا إلى تأليف هذا المجموع أن جملة من الناس قد يعيبوننا بهذه المآتم. أو يرون أنه لا لزوم لها. أو يقولون إن أمراً وقع قبل ألف ومئات من السنين ما معنى إعادة ذكره كل عام. وكل ذلك غفلة أو تغافل عن فوائدها. وربما غالى بعضهم في العيب فقال إن يزيد قتل الحسين عليه السلام مرة وأنتم تقتلونه كل عام مرة. وقد يقول آخر إن الأمر الفظيع لا ينبغي إعادة ذكره بل ينبغي تناسيه. وبعض يرى أن في إعادة ذكره حطاً من مقام أهل البيت عليهم السلام الذي جرت معهم تلك الفظاعة. وربما عد ذلك بعضهم بدعة في الدين مع تغاضيه عن كثير من البدع الشائنة لدين الإسلام المشوهة لمحاسنه التي أشار الأخرس البغدادي إلى بعضها بقوله:

أقال الله صفق لي وغني وقل هُجر أو سمّ الهجر ذكرا
فإن تكن السيادة باخضرار فإن السلق أشرف منك قدرا

إلى غير ذلك من وجوه انتقادهم على إقامة المآتم التي تدور في كتابات جماعة منهم وعلى ألسنتهم. والباعث لكثير منهم على ذلك التقليد لمن أحسنوا بهم الظن من غير تحقيق ولا تثبت. وقد يرى بعضهم أن في إعادة ذكر تلك الفظائع والتنديد بفاعليها حطاً من مقام

الذين مهدوا ليزيد والذين وضعوه في مقام الخلافة فمكنوه مما فعل. ومن الأمور الحاملة على ذلك قصد مراغمة الشيعة ومخالفتهم في كل ما يقولونه ويفعلونه ويتخذونه شعاراً وقد صرح بذلك المقريزي في خططه[١] فإنه بعد ما ذكر أن العلويين المصريين كانوا يتخذون يوم عاشوراء يوم حزن تتعطل في الأسواق قال: «فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من بني أيوب يوم عاشوراء يوم سرور ويوسعون فيه على عيالهم ويتبسطون في المطاعم ويصنعون الحلاوات ويتخذون الأواني الجديدة ويكتحلون ويدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشام التي سنها لهم الحجاج[٢] في أيام عبد الملك بن مروان ليرغموا بذلك آناف شيعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن على الحسين بن علي لأنه قتل فيه (قال) وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط». انتهى ما أردنا نقله من كلام المقريزي[٣]. وقد وقع مثل ذلك في تسطيح القبور مع ورود السنة به[٤] (وفي) أفراد النبي ﷺ عن الآل في الصلاة مع النهي عنه وتسميته بالصلاة البتراء[٥] (وفي)

---

(١) الجزء الثاني صفحة ٣٨٥، المقريزي تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر البعلبكي المصري المؤرخ الإسلامي الكبير صاحب الكتب الكثيرة المتوفى سنة ٨٤٥هـ. المحقق.

(٢) ستعرف في الفصل الثامن أن الذين سنوها هم بنو أمية وأتباعهم لا خصوص الحجاج (المؤلف).

(٣) الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي ج١، ص٤٣١ نقلاً عن الآثار الباقية لأبي الريحاني البيروني. المحقق.

(٤) الوجيز للغزالي ج١ ص٤٧، رحمة الأمة على هامش الميزان للشعراني ج١، ص٨٨، المغني لابن قدامة ج٢ص٥٠٥. المحقق.

(٥) منهاج السنة لابن تيمية ج٢ ص١٤٢، الكشاف للزمخشري ج٢ ص٤٣٩ وج٣ ص٥٥٨ وص٥٦٨ باختلاف الطبعات، فتح الباري للعسقلاني ج١١ ص١٤٦، الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٨٧ وص١٤٤. المحقق.

التحنك مع ورود السنة به والنهي عن العمامة القعطاء[1].

(قال) الشيخ عبد اللطيف المناوي المصري شارح الشمائل للترمذي في باب ما جاء في صفة عمامة رسول الله ﷺ[2] اعلم أنه قد جاء في العذبة[3] أحاديث كثيرة ما بين صحيح وحسن ناصة على فعل المصطفى لها لنفسه ولجماعة من صحبه وعلى أمره بها ثم ذكر منها ما رواه أبو داود أنه عمم ابن عوف وسدلها بين يديه ومن خلفه ثم حكى عن الزين العراقي أنه قال يحتمل أنه أرسل أحد الطرفين من بين يديه ثم رده من خلفه فصار الطرف الواحد بعضه بين يديه وبعضه من خلفه كما يفعل كثير وصار اليوم شعار الفقهاء الإمامية فينبغي تجنبه لترك التشبه بهم. انتهى[4].

ومن هذا النمط ما عثرنا عليه في هذه الأيام في مجلة تدعى الذخيرة الإسلامية لمنشئها أحمد بن محمد سوركتي الأنصاري السوداني كتب عليها أنها مجلة دينية أدبية فقال في أول عدد من أول مجلد منها في باب الأحاديث الواهية: الخبر الحادي والعشرون: حديث من وسّع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه في سنته كلها (قال) وهذا الحديث لا يصح فقد تفرد به ابن شداخ وهو ساقط باتفاق وقال ابن رجب في هذا الحديث لا يصح إسناده وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ولم يثبت في يوم عاشوراء شيء إلا الصوم. وأما ما

(١) الاقتعاط هو التعمم بغير حنك أي عمامة مقطوعة الحنك. المحقق.

(٢) صفحة ٢٠٦ ـ ٢٠٧ الجزء الأول بهامش شرح الشمائل لعلي القاري طبع عام ١٣١٧هـ.

(٣) العذبة/ العمامة المسدولة الحنك من بين اليدين ومن الخلف. المحقق.

(٤) شرح المواهب للزرقاني ج٥ ص١٣، سبيل الهدى والرشاد للشامي ج٧ ص٢٧٦ ـ ٢٨٣. المحقق.

يروى فيه من الاكتحال والتطيب وإظهار الزينة والتوسعة(*) ونحو ذلك مما يفعل في الأعياد فمن وضع الخوارج كانوا يفعلون ذلك في مقابلة ما يتظاهر به الرافضة من إظهار الحزن والنحيب وضرب الصدور والخدود وشق الجيوب والتمرغ في التراب في هذا اليوم (وما أدري من أين جاءته فرية التمرغ في التراب وشق الجيوب) وهنا وجد هذا الإنسان مجالاً لإظهار ما كمن في صدره من الغيظ والحنق على شيعة أهل البيت الطاهر ومحبيهم حسبما ساقه إليه التقليد المتوارث من غير تبصر في الأمور فقال: وتبعهم الرافضة أخيراً مع طول الزمان بغير شعور منهم فصاروا يجمعون البدعتين بدعة التظاهر بالزينة والإطعام وبدعة التظاهر بالحزن وطفقوا يروون الأكاذيب لتأييدها كعادتهم وليس شيء مما يفعله الفريقان يلائم الإسلام وإن كان ما يفعله الرافضة أقبح وأشنع فليتق الله فاعلوه وليحذر الذين يخالفون عن أمره (الآية)(١) فإن قتل الحسين فقد قتل من هو خير منه أبوه علي بن أبي طالب وقبله عمر وعثمان وإن كانوا يريدون تألب الناس على بغض بني أمية فقد ذهبت دولتهم بعد أن جرى على أيديهم من الخير والشر ما شاء الله أن يجريه وسيجزي كل نفس بما كسبت فالمتحزب عليهم اليوم كالذي يهرب من عدوه ثم يمثل الطعن والمكر مع الهواء حيثما ينفرد بنفسه فمن السخافة المتناهية التألب ضد عدو مات قبل ألف ومأتين وسبع وأربعين سنة وأمامهم اليوم في الشرق والغرب من هم أعدى من أولئك لهم وللدين إن كانوا صادقين وإن كانوا يريدون التوصل بذلك

(*) هوامش تحفة المحتاج للشرواني وابن العبادي ج٣ ص٤٥٥، حاشية ردّ المحتار لابن عابدين ج٢ ص٤٦٠. المحقق.

(١) إشارة لقوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. سورة النور، الآية ٦٣. المحقق.

الفعل الشنيع إلى الإمارة أو الملك فهي طريقة نسوانية تزيد نفور الناس منهم وتمثلهم بأشنع مثال في أعين الأقارب والأباعد فليتدبروا إن كانوا يعقلون. انتهى.

فهذا قوله في أول عدد من أول مجلد من مجلته الدينية الأدبية التي وضعها لإرشاد الأمة الإسلامية بزعمه ورأينا له في مواضع أخر من مجلته تحاملاً على شيعة أهل البيت الطاهر النبوي وسباباً لهم ونبزهم بالرافضة وغير ذلك من الأقوال التي هي بضاعة أمثاله والتي جرت بها عادة المعادين لأتباع أهل البيت النبوي والذين لا يعرفون من حقيقة الشيعة إلا ما سمعوه ممن أحسنوا الظن بهم ورأوه في بعض كتب من توهموا فيهم المعرفة والصدق من الأراجيف وساقهم إليها التقليد الأعمى من غير تحقيق ولا إنصاف كما إننا وجدناه جزم بكذب كثير من الأحاديث المروية عن النبي ﷺ فأصاب في بعض ولم يكن مستنده في تكذيب بعض سوى قال فلان (الحوت) وكان الأولى به أن يقول لِمَ لَمْ يصح السند أو لم يثبت لا أن يجزم بالكذب تقليداً لمن يجوز عليه الخطأ فإن تكذيب حديث رسول الله ﷺ ليس بالأمر الهين ورأينا في بعض الأجزاء التي وصلت إلينا من مجلته هذه لحناً كثيراً يبعد كونه من الطابعين ولما كان ما أشرنا إليه لا يتعلق بما نحن بصدده لم نتعرض له واكتفينا بذكر ما قاله في إقامة المآتم ونحن نقدم الكلام في إثبات ما هو المقصود لنا من حسن إقامة هذه المآتم على الوجه الذي قدمنا ذكره ثم نتبعه بالكلام على هذه الأقاويل[١] ونذكر ذلك في ضمن فصول فنقول وبالله التوفيق.

---

(١) راجع الفصل الثامن الذي هو آخر الفصول (المؤلف).

الفصل الأول

في الكلام على الحزن والبكاء لقتل الحسين عليه السلام

وهذا قد يكون قهرياً خارجاً عن الاختيار عند سماع أو تذكر ما جرى على الحسين عليه السلام وأهل بيته فكثيراً ما يعرض للإنسان حزن القلب وخروج الدمع عند صدور ما يوجب ذلك ولا يمكنه منع نفسه عنه وهذا لا يتعلق به تكليف وهو كثير الحصول سيما ممن غرس حب أهل بيت نبيه في قلبه وخالط لحمه ودمه ووالى وليهم وعادى عدوهم وحفظ وصية نبيه صلى الله عليه وآله فيهم وعلم أن مودتهم أجر الرسالة(١) وأنهم أحد الثقَلين(٢) اللذين أمرنا بالتمسك بهما حتى لا نضل وبمنزلة(٣) باب حطة الذي من دخله كان آمناً وبمنزلة سفينة نوح التي

(١) إشارة لقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ سورة الشورى، الآية ٢٣. المحقق.

(٢) إشارة لحديث الثقلين قال صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض». نيل الأوطار لكشوكاني ج٢ ص٣٢٨، ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري ص١٦. السيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤١٦. الأحكام لابن حزم ج٦ ص٨٣٤. المحقق.

(٣) إشارة إلى حديث أبي ذر الغفاري وأبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركب فيها نجى ومن تخلف عنها غرق، إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة من دخله غفر له ومن لم يدخله لم يغفر له». مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص١٦٨، بصائر الدرجات للصفار ص٣١٧ وحديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من دان=

من ركبها نجا ومن تخلف عنها هوى وأنهم[١] أمان لأهل الأرض والنجوم أمان لأهل السماء كما وردت بذلك صحاح الأخبار المتفق عليها بين جميع المسلمين وسيأتي طرف منها، لا من يتظاهر بحبهم وهو ينافح ويناضل عن أعدائهم وقاتليهم ومن جاهر ببغضهم وقاتلهم وقتلهم وسبهم على المنابر من بني أمية أو غيرهم أو يكذب ما جاء في فضلهم فإن لم يستطع تكذيبه تمحل له أنواع التأويلات وينصب العداوة لشيعتهم ومحبيهم وينبزهم بالرافضة وينسبهم إلى العظائم ويفتري عليهم أمثال ابن حجر الهيتمي[٢] الذي تظاهر بحب أهل البيت وروى الأحاديث الكثيرة في فضائلهم وذم مبغضيهم ليستر بذلك نصبه ونافح عن أعدائهم من بني أمية وغيرهم ونصب العداوة لشيعتهم ومحبيهم حتى استحل دماءهم وناقض نفسه فوالى مبغضهم وقد روى الأحاديث في ذمه وزعم بما سولت له نفسه أن الأحاديث الواردة في مدح شيعة علي وأهل بيته واردة فيه وفي أمثاله ممن والى عدوهم وعادى وليهم إن هذا لعجيب وكم أتى الدهر بالعجائب.

تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك إن الرأي منك لعازب

صديق صديقي داخل في صداقتي صديق عدوي ليس لي بصديق

=بديني وسلك منهاجي واتبع سنتي فليدن بتفضيل الأئمة من أهل بيتي على جميع أمتي فإن مثلهم في هذه الأمة مثل باب حطة في بني إسرائيل». الأمالي للصدوق ح١٣٣. المحقق.

(١) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله عنه ﷺ قال: «وإنه لعلم الساعة فقال النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهبت أتاها ما يوعدون وأنا أمان لأصحابي ما كنت فيهم فإذا ذهبت أتاهم ما يوعدون وأهل بيتي أمان لأمتي فإذا ذهب أهل بيتي أتاهم ما يوعدون». وما يقاربه عن ابن عباس وابن عمر، المستدرك للحاكم ج٢ ص٤٤٨ وج٣ ص١٤٩، المعجم الأوسط للطبراني ج٤ ص٤٣٧. المحقق.

(٢) بالتاء المثناة من فوق صاحب الصواعق (المؤلف).

وما أشبه تمويهه هذا بتمويه قدوته[١] ومن يذب عنه حين قال لما سمع ما روي أن عمّاراً[٢] تقتله الفئة الباغية إنما قتله الذي أخرجه إلى رماحنا وهو علي بن أبي طالب. وهذا كلام وقع في البين فلنعد لما نحن بصدده فنقول:

وقد يكون البكاء اختيارياً كالبكاء المشتمل على الصوت أو فعل أو تصور أو استماع ما يوجب الحزن وخروج الدمع ويدل على جواز هذا في حق الحسين عليه السلام أمور بعضها يفيد الجواز وبعضها الرجحان:

الأول: أصالة الإباحة[٣] فإنها الأصل في الأشياء ما لم يدل دليل على خلافها كما تقرر في الأصول والبكاء المذكور لم يدل دليل على تحريمه إذا لم يشتمل على محرم خارج عنه من قول أو فعل ما لا يجوز من السخط لقضاء الله والاعتراض على فعله وغير ذلك مما قد يصدر من الجاهلين عند عروض المصائب ومن خمش الوجوه وجز الشعور وأمثال ذلك مما دل الشرع على تحريمه.

فإذا لم يشتمل على محرم خارج عنه فيبقى على أصل الإباحة مع أنها قد دلت الأدلة الكثيرة العقلية والنقلية على جواز ذلك بل ورجحانه إذا كان الميت من أهل المكانة والمنزلة الرفيعة عند الله تعالى عموماً وخصوصاً في البكاء على الحسين عليه السلام كما ستعرف.

(١) إشارة إلى معاوية بن أبي سفيان السلطان الأموي الأول. (المحقق).

(٢) أبو اليقظان عمار بن ياسر المذحجي حليف بني مخزوم أحد أركان الإمام علي عليه السلام استشهد في حرب صفين سنة ٣٨هـ. (المحقق).

(٣) اعلم أن أصالة الإباحة دليل حيث لا دليل وستعرف وجود الدليل فعدها من الأدلة على معنى أنه لو لم يوجد دليل لدلت على الإباحة (المؤلف).

الثاني: من أدلة جواز البكاء على الحسين عليه السلام ما ظهر من غضب الله العظيم لهذه الفاجعة العظيمة زيادة على جميع الفجائع التي وقعت في الكون حتى أظهر الله تعالى ذلك في مخلوقاته العظيمة بحمرة سمائه واسودادها وإظلامها ثلاثاً وإمطارها دماً وتراباً أحمر وانكشاف شمسها حتى رؤيت النجوم نهاراً واحمرارها وضرب الكواكب بعضها بعضاً وتفجر أرضه دماً وانقلاب ترابها وحصاها دماً وسيلان حيطانها دماً ونبوع الدم من شجرها وانقلاب الورس رماداً واللحم علقماً إلى غير ذلك مما يدل على انقلاب الكون بأجمعه لهذه الفاجعة العظيمة.

وقد أشار إلى ذلك ابن نباتة[١] في كتاب خطبه المشهور الذي وضعه ليقرأ على منابر الإسلام في الجمعات ولا يزال يقرأ على المنابر إلى اليوم حيث قال في الخطبة الثانية للمحرم (ما لفظه) أيها الناس إن شهركم هذا استشهد فيه الحسين بن علي بن أبي طالب فنال بذلك أعلى المفاخر والمراتب وكان ذلك في أرض يقال لها كربلا أحل الله بقاتله كل كرب وبلا (إلى أن قال) بكت لموته الأرض والسماوات وأمطرت دماً وأظلمت الأفلاك من الكسوف واشتد سواد السما ودام ذلك ثلاثة أيام والكواكب في أفلاكها تتهافت وعظمت الأهوال حتى ظن أن القيامة قد قامت (قال) كيف لا وهو ابن السيدة فاطمة الزهراء وسبط سيد الخلائق دنيا وآخرة وكان عليه الصلاة والسلام من حبه في الحسين يقبل شفتيه ويحمله كثيراً على كتفيه

(١) الخطيب المصري أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباته الفارقي خطيب حلب في زمن سيف الدولة الحمداني المتوفى سنة ٣٧٤هـ من أهالي ميافارقين وبها دفن. المحقق.

فكيف لو رآه ملقى على جنبيه شديد العطش والماء بين يديه وأطفاله يصيحون بالبكاء عليه لصاح عليه الصلاة والسلام وخر مغشياً عليه فتأسفوا رحمكم الله على هذا السبط الشهيد وتسلوا بما أصابه عما سلف لكم موت الأحرار والعبيد واتقوا الله تحق تقواه (وفي الحديث) إذا حشر الناس في عرصات القيامة نادى مناد من وراء حجب العرش يا أهل الموقف غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمد فتجوز وعليها ثوب مخضوب بدم الحسين وتتعلق بساق العرش وتقول أنت الجبار العدل اقض بيني وبين من قتل ابني فيقضي الله بينها وبينه ثم تقول اللهم شفعني فيمن بكى على مصيبتي فيشفعها الله تعالى فيهم (وعنه) أنه قال أخبرني جبريل أن الحسين يقتل بشاطئ الفرات (وعنه) أنه قال أحب أهل بيتي إليَّ الحسن والحسين أو كما قال (انتهت خطبة ابن نباتة).

فما فعله وقاله ورواه ابن نباتة هو الذي نفعله ونقوله ونرويه بعينه.

بكاء السماوات والأرض لقتل الحسين عليه السلام وأصحابه

قال ابن حجر في صواعقه[١] روى الملا أن علياً مر بقبر الحسين فقال ها هنا مناخ ركابهم وها هنا موضع رحالهم وها هنا مهراق دمائهم فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض. انتهى. (أقول) بكاء السماء بحمرتها وأمطارها دماً وانكساف شمسها ونحو ذلك وبكاء الأرض بتفجرها دماً كما يأتي ما يدل على ذلك كله.

(١) في الفصل ٣ من الباب ١١.

أمطار السماء دماً يوم قتل الحسين عليه السلام

في الصواعق المحرقة لابن حجر[١] ما لفظه ذكر أبو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة عن نصرة الأزدية أنها قالت لما قتل الحسين بن علي أمطرت السماء دماً فأصبحنا وحبابنا[٢] وجرارنا مملوءة دماً. قال ابن حجر وكذا روي في أحاديث غير هذا (وفي الصواعق أيضاً) قال أبو سعيد ولقد مطرت السماء دماً بقي أثره في الثياب حتى تقطعت (قال) وأخرج الثعلبي وأبو نعيم ما مر من أنهم مطروا دماً وزاد أبو نعيم فأصبحنا وحبابنا وجرارنا مملوءة دماً (قال) وفي رواية أنه مطر كالدم على البيوت والجدران بخراسان والشام والكوفة (انتهت الصواعق).

وفي خطط المقريزي[٣] روي أن السماء أمطرت دماً فأصبح كل شيء لهم ملآن دماً (أي يوم قتل الحسين عليه السلام). انتهى.

وحكى ابن شهرآشوب في المناقب عن أبي نعيم في دلائل النبوة والنسوي في المعرفة عن نصرة (نضرة خ ل) الأزدية أنها قالت لما قتل الحسين عليه السلام أمطرت السماء دماً وحبابنا وجرارنا صارت مملوءة دماً. انتهت المناقب. وأخرج سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرة الخواص[٤] بإسناده عن هلال بن ذكوان قال لما قتل الحسين مكثنا

---

(١) في الفصل ٣ من الباب ١١ صفحة ١١٩ طبع عام ١٣٠٧ هـ وكذا كل ما ننقله من ابن حجر فيما يأتي منقول من ذلك الفصل.

(٢) حبابنا/ حِبابُ جمع حِبٌ وهو نوع من الأوعية الخزفية المتخذة لحفظ ماء الشرب وتبريده من حرارة الشمس صيفاً (المحقق).

(٣) الجزء الثاني صفحة ٢٨٩.

(٤) صفحة ١١٥.

شهرين أو ثلاثة كأنما لطخت الحيطان بالدم من صلاة الفجر إلى غروب الشمس قال وخرجنا في سفر فمطرنا مطراً بقي أثره في ثيابنا مثل الدم. وقال ابن سعد لقد مطرت السماء دماً بقي أثره في الثياب مدة حتى تقطعت. (انتهت تذكرة الخواص).

وحكى ابن شهرآشوب في المناقب عن قرطة بن عبيد قال مطرت السماء يوماً نصف النهار على شملة بيضاء فنظرت فإذا هو دم وذهب الإبل إلى الوادي لتشرب فإذا هو دم وإذا هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام. وحكى فيه أيضاً عن أسامة بن شبيب بإسناده عن أم سليم قالت لما قتل الحسين عليه السلام مطرت السماء مطراً كالدم احمرت منه البيوت والحيطان وروي قريباً من ذلك في الإبانة وتفسير القشيري والفتاك (كذا). (انتهت المناقب).

وقال ابن طاووس في الطرائف أنه روي مرفوعاً قال مطرنا دماً بأيام قبل قتل الحسين عليه السلام. انتهى.

وروى الشيخ الطوسي في الأمالي بسنده عن عمار بن أبي عمار، قال أمطرت السماء يوم قتل الحسين عليه السلام دماً عبيطاً. انتهى.

وسيأتي في حديث ابن قولويه عن رجل من أهل بيت المقدس أنه قال ومطرنا ثلاثة أيام دماً عبيطاً (يعني يوم قتل الحسين عليه السلام).

وسيأتي في حديثه أيضاً عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أن السماء بكت على الحسين عليه السلام أربعين صباحاً بالدم.

وسيأتي أيضاً في رواية الطوسي في الأمالي عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده وتمطر السماء دماً ورماداً. ورواية

الصدوق في الأمالي والعلل عن ميثم التمار عن علي عليه السلام. وسيأتي أيضاً في رواية ابن نولويه أن السماء كانت إذا استقبلت بالثوب وقع عليه شبه أثر البراغيث من الدم وسيأتي في روايته أيضاً أن السماء بكت على الحسين عليه السلام أربعين صباحاً بالدم.

إمطار السماء تراباً أحمر يوم قتل الحسين عليه السلام

روى ابن قولويه في كامل الزيارة[١] بسنده عن محمد بن مسلمة عمن حدثه قال لما قتل الحسين بن علي أمطرت السماء تراباً أحمر.

إسوداد السماء وظلمتها وحمرة الشمس وانكسافها حتى ظهرت الكواكب نهاراً يوم قتل الحسين عليه السلام

قال ابن حجر في صواعقه[٢] ما لفظه ومما ظهر يوم قتله من الآيات أيضاً أن السماء اسودت اسوداداً عظيماً حتى رؤيت النجوم نهاراً (ثم قال) وحكى ابن عيينة عن جدته وذكر جملة من الآيات التي ظهرت يوم قتل الحسين عليه السلام إلى أن قال وانكسفت الشمس حتى بدت الكواكب نصف النهار وظن الناس أن القيامة قد قامت (إلى أن قال) ونقل ابن الجوزي عن ابن سيرين أن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام ثم ظهرت الحمرة في السماء. (انتهت الصواعق). وفي خطط المقريزي[٣] يقال أن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام. انتهى.

وما حكاه في الصواعق عن ابن الجوزي عن ابن سيرين حكاه

(١) جميع ما نقله في هذا الكتاب عن ابن قولويه منقول مما نقله عنه صاحب البحار وليس عندنا كتاب ابن قولويه (المؤلف).

(٢) في الفصل ٣ من الباب ١١ صفحة ١١٩ طبع عام ١٣٠٧هـ.

(٣) الجزء الثاني صفحة ٢٨٩.

سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرة الخواص عن ابن سيرين فذكر أنه قال لما قتل الحسين أظلمت الدنيا ثلاثة أيام ثم ظهرت هذه الحمرة.

وحكى ابن شهرآشوب في المناقب عن تاريخ النسوي أنه قال قال أبو قبيل لما قتل الحسين بن علي كسفت الشمس كسفة بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا أنها هي (يعني القيامة). انتهى.

وسيأتي في حديث ابن قولويه عن رجل من أهل بيت المقدس أن الشمس انكسفت ثلاثاً واشتبكت النجوم. وسيأتي في أحاديثه أيضاً عن الصادق عليه السلام أن الشمس بكت على الحسين عليه السلام أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة وأنهم مكثوا أربعين يوماً تطلع الشمس بحمرة وتغرب بحمرة.

وسيأتي أيضاً في حديث جابر عن الباقر عليه السلام وابن قولويه عن الصادق عليه السلام أن الشمس بكت على الحسين ويحيى عليهما السلام وبكاؤها أن تطلع حمراء وتغيب حمراء. وسيأتي في حديث ميثم عن أمير المؤمنين عليه السلام احمرار الشمس كأنها دم عبيط وأنها رؤيت على الحيطان كأنها الملاحف المعصفرة.

احمرار السماء يوم قتل الحسين عليه السلام

قال ابن حجر في صواعقه حكى ابن عيينة عن جدته (إلى أن قال) وأن السماء احمرت لقتله (يعني الحسين عليه السلام) (ثم قال في الصواعق) وأخرج عثمان بن أبي شيبة أن السماء مكثت بعد قتله سبعة أيام ترى على الحيطان كأنها ملاحف معصفرة من شدة حمرتها وضربت الكواكب بعضها بعضاً. ومر ما حكاه في الصواعق عن ابن

الجوزي عن ابن سيرين أن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام ثم ظهرت الحمرة في السماء (ثم قال في الصواعق) وأخرج الثعلبي أن السماء بكت وبكاؤها حمرتها (قال) وقال غيره احمرت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك. (انتهت الصواعق).

وقال سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرة الخواص قال السدي لما قتل الحسين بكت السماء وبكاؤها حمرتها. (انتهت التذكرة).

وفي خطط المقريزي[١] قال السدي لما قتل الحسين بن علي بكت السماء عليه وبكاؤها حمرتها وعن عطاء في قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والأرض قال بكاؤها حمرة أطرافها وعن علي بن مسهر قال حدثتني جدتي قالت كنت أيام الحسين جارية شابة فكانت السماء أياماً كأنها علقة. (انتهت الخطط).

وقال ابن الأثير في تاريخه ومكث الناس شهرين أو ثلاثة كأنما تلطخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع. انتهى. وسيأتي في حديث ابن قولويه عن رجل من أهل بيت المقدس أنها احمرت الحيطان كالعلق.

وحكى ابن شهرآشوب في المناقب عن السدي أنه قال لما قتل الحسين عليه السلام بكت عليه السماء وعلامتها حمرة أطرافها.

(وفيه) عن الأسود بن قيس قال لما قتل الحسين عليه السلام ارتفعت حمرة من قبل المشرق وحمرة من قبل المغرب فكادتا تلتقيان في كبد السماء ستة أشهر. (انتهت المناقب).

---

(١) صفحة ٢٨٩ الجزء الثاني.

وروى ابن قولويه في كامل الزيارة بسنده عن علي بن مسهر القرشي عن جدته أنها أدركت الحسين بن علي عليهما السلام حين قتل قالت فمكثنا سنة وتسعة أشهر والسماء مثل العلقة مثل الدم ما ترى الشمس (وسيأتي) في حديث الحميري عن الصادق عليه السلام أن السماء احمرت حين قتل الحسين عليه السلام سنة وحمرتها بكاؤها.

في أن الحمرة لم تر في السماء قبل قتل الحسين عليه السلام

قال ابن حجر في صواعقه أخرج الثعلبي أن ابن سيرين قال أُخبرنا أن الحمرة التي مع الشفق لم تكن قبل قتل الحسين. انتهى.

ومر ما حكاه غير واحد عن ابن سيرين أنه قال لما قتل الحسين أظلمت الدنيا ثلاثة أيام ثم ظهرت هذه الحمرة.

وحكى ابن شهرآشوب في المناقب عن محمد بن سيرين أنه قال أخبرنا أن حمرة السماء لم تكن قبل قتل الحسين عليه السلام.

وروى المفيد في الإرشاد مرفوعاً عن يوسف بن عبدة قال سمعت محمد بن سيرين يقول لم تر هذه الحمرة في السماء إلا بعد قتل الحسين. (انتهى).

قال صاحب البحار يمكن أن يكون المراد كثرة الحمرة وزيادتها. انتهى. (أقول) وذلك لأن الحمرة المشرقية والشفق المغربي ناشئان من مقابلة الشمس ولكن الظاهر أن المراد التي مع الشفق كما قيدها بذلك الثعلبي فيما مر من تفسيره أي مع الشفق المغربي لا جميع حمرة السماء وذلك لأنه يحدث مع الشفق المغربي حمرة أخرى في السماء مغايرة له تتفاوت شدة وضعفاً فهذه هي التي قيل عنها أنها لم تكن قبل قتل الحسين عليه السلام.

وحكى ابن شهرآشوب في المناقب عن تاريخ النسوي وروى حماد بن زيد عن هشام بن محمد قال تعلم هذه الحمرة في الأفق ممَ هي ثم قال من يوم قتل الحسين عليه السلام قال ابن شهرآشوب وروى هذا الحديث أبو عيسى الترمذي. انتهى.

وروى ابن طاووس في الطرائف عن الثعلبي في تفسير وما بكت عليهم السماء والأرض (الآية) أن الحمرة التي مع الشفق لم تكن قبل قتل الحسين عليه السلام. انتهى. وقال ابن حجر في الصواعق ذكر ابن سعد أن هذه الحمرة لم ترَ في السماء قبل قتل الحسين (قال في الصواعق) قال ابن الجوزي وحكمته أن غضبنا يؤثر حمرة الوجه والحق تنزه عن الجسمية فأظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين عليه السلام بحمرة الأفق إظهاراً لعظيم الجناية قال (يعني ابن الجوزي) وأنين عباس وهو مأسور ببدر منع النبي صلى الله عليه وآله النوم فكيف بأنين الحسين ولما أسلم وحشي قاتل حمزة قال له النبي صلى الله عليه وآله غيب وجهك عني فإني لا أحب أن أرى من قتل الأحبة قال (أي ابن الجوزي) وهذا والإسلام يجب ما قبله فكيف يقدر صلى الله عليه وآله أن يرى من ذبح الحسين وأمر بقتله وحمل أهله على أقتاب الجمال. (انتهى المنقول في الصواعق بحروفه).

وما حكاه ابن حجر عن ابن الجوزي حكاه سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرة الخواص[1] عن جده فقال ما لفظه (ذكر الحمرة التي ظهرت في السماء وما يلتحق بها) ذكر ابن سعد[2] في الطبقات

(١) صفحة ١٥٤.

(٢) هو كاتب الواقدي له كتاب الطبقات مشهور ومطبوع في بلاد ألمانيا (المؤلف).

أن هذه الحمرة لم تر في السماء قبل أن يقتل حسين قال جدي أبو الفرج في كتاب التبصرة لما كان الغضبان يحمر وجهه عند الغضب فيستدل بذلك على غضبه وأنه إمارة السخط والله تعالى ليس بجسم فأظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الأفق وذلك دليل على عظم الجناية وذكر جدي أيضاً في الكتاب المذكور ولما أسر العباس وساق ما مر مما نقله ابن حجر إلى قوله على أقتاب الجمال.

تحول الورس رماداً أو دماً والزعفران ناراً واللحم علقماً والذهب نحاساً وبرص من تطيبت بالطيب المنهوب يوم قتل الحسين عليه السلام

قال ابن حجر في صواعقه ومما ظهر يوم قتل الحسين من الآيات (إلى أن قال) وأخرج أبو الشيخ أن الورس الذي كان في عسكرهم تحول رماداً وكان في قافلة من اليمن تريد العراق فوافتهم حين قتله (قال في الصواعق) وحكى ابن عيينة عن جدته أن جمّالاً ممن انقلب ورسه رماداً أخبرها بذلك ونحروا ناقة في عسكرهم فكانوا يرون في لحمها مثل الفيران فطبخوها فصارت مثل العلقم. (انهت الصواعق).

وفي خطط المقريزي[1] يقال إنه لم يمس أحد من زعفرانهم شيئاً فجعله على وجهه إلا احترق وإنهم أصابوا إبلاً في عسكر الحسين يوم قتل فنحروها وطبخوها فصارت مثل العلقم فما استطاعوا أن يسيغوا منها شيئاً. (انتهت الخطط).

وأخرج سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرة الخواص بسنده عن

(١) الجزء الثاني صفحة ٢٨٩.

أبي الوصين ومروان بن الوصين قال نحرت الإبل التي حمل عليها رأس الحسين وأصحابه فلم يستطيعوا أكل لحومها كانت أمر من الصبر. (انتهت تذكرة الخواص).

وذكرت في لواعج الأشجان ما هذا لفظه ولست أعلم الآن من أين نقلته: ونحرت الإبل التي كانت مع الحسين عليه السلام فلم يؤكل لحمها لأنه كان أمر من الصبر وروي أنه لما جعل اللحم في القدر صار ناراً وكان مع الحسين عليه السلام ورس وطيب فاقتسموه فلما صار إلى بيوتهم صار دماً[1].

وعن مشائخ من طي أنهم قالوا وجد شمر بن ذي الجوشن في رحل الحسين عليه السلام ذهباً فدفع بعضه إلى ابنته فدفعته إلى صائغ يصوغ منه حلياً فلما أدخله النار صار نحاساً وقيل ناراً. (انتهى ما ذكرناه في اللواعج).

وفي العقد الفريد[2] عن ابن عبد الوهاب عن يسار بن عبد الحكم قال انتهب عسكر الحسين فوجد فيه طيب فما تطيبت به امرأة إلا برصت. انتهى.

تفجر الأرض والحيطان دماً وأنه لم يرفع حجر إلا وجد تحته دم عبيط يوم قتل الحسين عليه السلام

قال ابن حجر في صواعقه: ومما ظهر يوم قتله (يعني الحسين عليه السلام) من الآيات (إلى أن قال) ولم يرفع حجر إلا وجد

---

(١) مر عن صواعق ابن حجر أنه صار رماداً فكأن أحدهما صحف بالآخر. (المؤلف).

(٢) في الجزء الثاني في باب مقتل الحسين عليه السلام.

تحته دم عبيط (ثم قال) وحكى ابن عيينة عن جدته (إلى أن قال) ولم يرفع حجر في الشام إلا وجد تحته دم عبيط (ثم قال) وقال أبو سعيد ما رفع حجر من الدنيا إلا وتحته دم عبيط (ثم قال) وفي رواية. إلى أن قال وإنه لما جيء برأس الحسين إلى دار (ابن ظ) زياد سالت حيطانها دماً (ثم قال) وما مر من أنه لم يرفع حجر في الشام أو الدنيا إلا رؤي تحته دم عبيط وقع يوم قتل علي أيضاً كما أشار إليه البيهقي بأنه حكي عن الزهري أنه قدم الشام يريد الغزو فدخل على عبد الملك فأخبره أنه يقوم قتل علي لم يرفع حجر من بيت المقدس إلا وجد تحته دم (ثم قال) لم يبق من يعرف هذا غيري وغيرك فلا تخبر به قال فما أخبرت به إلا بعد موته (قال ابن حجر) وحكي أيضاً أن غير عبد الملك أخبر بذلك أيضاً (قال ابن حجر) قال البيهقي والذي صح عنه أن ذلك حين قتل الحسين ولعله وجد عند قتلهما جميعاً. (انتهى ما أردنا نقله من الصواعق).

وفي خطط المقريزي[1] عن الزهري بلغني أنه لم يقلب حجر من أحجار بيت المقدم يوم قتل الحسين إلا وجد تحته دم عبيط. انتهى.

(أقول) ومر في صدر هذا الدليل ما رواه ابن حجر أيضاً عن الملا من قول علي عليه السلام تبكي عليهم السماء والأرض يعني الحسين وأهل بيته عليهم السلام.

أما نهي عبد الملك للزهري عن الإخبار بذلك وعدم إخباره به

(١) الجزء الثاني صفحة ٢٨٩.

إلا بعد موته كما مر في كلام ابن حجر ففيه دليل واضح على ما كان عليه بنو أمية من إخفاء فضائل أهل البيت جهدهم خوفاً من ميل الناس إليهم.

ثم أن حديث الزهري المذكور الذي نقله ابن حجر عن البيهقي قد أورده ابن عبد ربه المالكي في كتاب العقد الفريد[١] مسنداً بإسنادين عن ابن شهاب الزهري قال خرجت مع قتيبة أريد المصيصة فقدمنا على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان وإذا هو قاعد في إيوان له وإذا سماطان من الناس على باب الإيوان إذا أراد حاجة قالها للذي يليه حتى تبلغ المسألة باب الإيوان ولا يمشي أحد بين السماطين (قال) الزهري فجئنا فقمنا على باب الإيوان فقال عبد الملك للذي عن يمينه هل بلغكم أي شيء أصبح في بيت المقدس ليلة قتل الحسين بن علي فسأل كل واحد منهم صاحبه حتى بلغت المسألة الباب فلم يرد أحد فيها شيئاً قال الزهري فقلت عندي في هذا علم فرجعت المسألة رجلاً عن رجل حتى انتهت إلى عبد الملك فدعيت فمشيت بين السماطين فلما انتهيت إلى عبد الملك سلمت عليه فقال لي من أنت قلت أنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري فعرفني بالنسب وكان عبد الملك طلابة للحديث فقال ما أصبح ببيت المقدس يوم قتل الحسين بن علي بن أبي طالب (وفي رواية[٢]) أنه قال الليلة التي قتل في صبيحتها الحسين بن علي قال الزهري قلت نعم حدثني فلان لم يسمه لنا أنه لم يرفع تلك الليلة التي في صبيحتها قتل علي بن أبي طالب والحسين بن علي حجر في

(١) صفحة ٢٢٠ الجزء الثاني طبع عام ١٣١٦هـ.
(٢) أسندها في العقد الفريد أيضاً إلى الزهري. (المؤلف).

بيت المقدس إلا وحد تحته دم عبيط قال عبد الملك صدقت حدثني الذي حدثك وإني وإياك في هذا الحديث لغريبان. (الحديث). انتهى العقد الفريد.

وروى ابن قولويه في كامل الزيارة بأسانيده عن الزهري قال لما قتل الحسين بن علي عليه السلام لم يبق ببيت المقدس حصاة إلا وجد تحتها دم عبيط.

وروى في الكتاب المذكور بسنده عن رجل من أهل بيت المقدس أنه قال والله لقد عرفنا أهل بيت المقدس ونواحيها عشية قتل الحسين ابن علي عليه السلام قلت وكيف ذاك قال ما رفعنا حجراً ولا مدراً ولا صخراً إلا ورأينا تحتها دماً يغلي واحمرت الحيطان كالعلق ومطرنا ثلاثة أيام دماً عبيطاً وسمعنا منادياً ينادي في جوف الليل:

أترجو أمة قتلت حسينا ... شفاعة جده يوم الحساب
معاذ الله لا نلتم يقينا ... شفاعة أحمد وأبي تراب
قتلتم خير من ركب المطايا ... وخير الشيب طرا والشباب

وانكسفت الشمس ثلاثاً ثم تجلت عنها وانشبكت النجوم فلما كان من الغد أرجفنا بقتله فلم يأت علينا كثير شيء حتى نعي إلينا الحسين عليه السلام.

انقلاب التراب والحصى دماً لقتل الحسين عليه السلام

في الصواعق المحرقة لابن حجر[١] بعد ما ذكر في الحديث الثلاثين دخول الحسين على جده في بيت أم سلمة وعنده ملك القطر

---

(١) في الحديث الثلاثين من الفصل الثالث صفحة ١١٨ طبع عام ١٣٠٧ هـ.

أو جبرائيل وإخباره له أن أمته ستقتله وأنه أعطاه من تراب الأرض التي يقتل فيها (قال ما لفظه) وفي رواية الملا وابن أحمد في زيادة المسند قالت (يعني أم سلمة) ثم ناولني كفاً من تراب أحمر وقال إن هذا من تربة الأرض التي يقتل بها فمتى صارت دماً فاعلمي أنه قد قتل قالت أم سلمة فوضعته في قارورة عندي وكنت أقول إن يوماً يتحول فيه دماً ليوم عظيم (قال) وفي رواية عنها فأصبته يوم قتل الحسين عليه السلام وقد صار دماً وفي أخرى ثم قال يعني جبرائيل ألا أريك تربة مقتله فجاء بحصيات فجعلهن رسول الله صلى الله عليه وآله في قارورة قالت أم سلمة فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلاً يقول:

أيها القاتلون ظلماً حسينا أبشروا بالعذاب والتذليل

قد لعنتم على لسان ابن داو د وموسى وحامل الإنجيل

قالت فبكيت وفتحت القارورة فإذا الحصيات قد جرت دماً. (انتهى ما أردنا نقله من الصواعق).

وفي تاريخ ابن الأثير روي أن النبي صلى الله عليه وآله أعطى أم سلمة تراباً من تربة الحسين حمله إليه جبريل فقال النبي صلى الله عليه وآله لأم سلمة إذا صار هذا التراب دماً فقد قتل الحسين فحفظت أم سلمة ذلك التراب في قارورة عندها فلما قتل الحسين صار التراب دماً فأعلمت الناس بقتله. انتهى. (وفي) كشف الغمة عن الزمخشري الحنفي في ربيع الأبرار عن هند بنت الجون قالت نزل رسول الله صلى الله عليه وآله خيمة خالتها أم معبد فقام من رقدته فدعا بماء فغسل يديه ثم تمضمض ومج في عوسجة إلى جانب الخيمة فأصبحنا وهي كأعظم دوحة وجاءت بثمر كأعظم ما يكون في لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد ما أكل منها جائع

إلا شبع ولا ظمآن إلا روي ولا سقيم إلا برئ وما أكل من ورقها بعير ولا شاة إلا در لبنها وكنا نسميها المباركة وينتابنا من البوادي من يستشفي بورقها ويتزود منها حتى أصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمرها وصغر ورقها ففزعنا فما راعنا إلا نعي رسول الله صلى الله عليه وآله ثم إنها بعد ثلاثين أصبحت ذات شوك من أسفلها إلى أعلاها وتساقط ثمرها فذهب فما شعرنا إلا بمقتل أمير المؤمنين عليه السلام فما أثمرت بعد ذلك وكنا ننتفع بورقها ثم أصبحنا وإذا قد نبع من ساقها دم عبيط وقد ذبل ورقها فبينا نحن فزعون مهمومون إذ أتانا مقتل الحسين عليه السلام ويبست الشجرة على أثر ذلك وذهبت (الزمشخري) والعجب كيف لم يشتهر أمر هذه الشجرة كما اشتهر أمر الشاة في قصة هي من أعلام القصص. انتهى كلامه.

(أقول) ونقل صاحب البحار هذا الحديث عن بعض كتب المناقب المعتبرة مسنداً عن هند بنت الجون قريباً مما ذكره الزمخشري مع بعض زيادات وقال في آخرها فأصبحنا ذات يوم فإذا بها قد انبعثت من ساقها دماً عبيطاً جارياً وورقها ذابلة تقطر دماً كماء اللحم إلى أن قال فأتانا بعد ذلك قتل الحسين عليه السلام ويبست الشجرة. انتهى.

أما حديث الشاة الذي أشار إليه الزمخشري في قصة أم معبد فهو أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما هاجر إلى المدينة مر بخيمة أم معبد الخزاعية فطلبوا ما يشربون فلم يجدوه وقالت إنا مرملون فرأى شاة فقال ما هذه الشاة قالت خلفها الجهد عن الغنم قال هل بها من لبن فقالت هي أجهد من ذلك قال أتأذنين في أن أحلبها قالت نعم بأبي

أنت وأمي إن رأيت بها حلباً فاحلبها فدعا بها ومسح على ضرعها وقال اللهم بارك لها في شاتها فتفأجت ودرت ودعا بإناء فحلب فيه وسقاها حتى رويت ثم سقى أصحابه حتى رووا وشرب هو آخرهم وقال ساقي القوم آخرهم شرباً وشربوا جميعاً علاً بعد نهل ثم حلب ثانياً فغادره عندها فجاء زوجها أبو معبد ومعه أعنز عجاف فرأى اللبن فقال من أين لكم هذا ولا حلوبة لكم والشاة عازب فقالت أنه مر بنا رجل مبارك من حديثه كيت وكيت.

أما ما روي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام من بكاء السماء والأرض والشمس والكواكب والجن والإنس والملائكة والطير والوحش وجميع من في الكون لقتل الحسين عليه السلام فكثير ينبو عن الحصر رواه عنهم شيعتهم ومحبوهم بأسانيدهم الصحيحة المتصلة إليهم ولا بأس بذكر طرف منه.

بكاء السماء والأرض وما فيهما وجميع ما خلق الله لقتل الحسين عليه السلام من طريق أهل البيت عليهم السلام

روى الشيخ الطوسي في الأمالي بسنده عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام في حديث أنه قال إن أبا عبد الله الحسين عليه السلام لما قتل بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ومن ينقلب في الجنة والنار وما يرى وما لا يرى إلا ثلاثة أشياء[1]. (الحديث).

(١) ثلاثة أشياء هي: البصرة ودمشق وآل الحكم بن أبي العاص، الأمالي للطوسي ص٥٤، ح٧٣/ ٤٢، وفي الكافي ج٤، ص٥٧٦، ح٢، آل عثمان بدلاً من آل الحكم. (المحقق).

وروى ابن قولويه في الكامل بسنده عن جماعة كلهم قالوا سمعنا أبا عبد الله جعفر الصادق عليه السلام يقول إن أبا عبد الله الحسين بن علي لما مضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ومن ينقلب في الجنة والنار من خلق ربنا وما يرى وما لا يرى. (وفي رواية) إلا ثلاثة أشياء[١]. (الحديث).

وفيه بسنده عن جماعة أيضاً قالوا سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول لما مضى أبو عبد الله الحسين بن علي بكى عليه جميع ما خلق الله إلا ثلاثة أشياء. (الحديث).

بكاء الوحوش والحيتان والطير والشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض والإنس والجن والملائكة من طريق أهل البيت عليهم السلام

روى الصدوق في الأمالي وعلل الشرائع بسنده عن جبلة المكية عن ميثم التمار أنه قال والله لتقتل هذه الأمة ابن بنت نبيها في المحرم لعشر يمضين منه وليتخذن أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة وإن ذلك لكائن قد سبق في علم الله تعالى ذكره أعلم ذلك لعهد عهده إلي مولاي أمير المؤمنين عليه السلام ولقد أخبرني أنه يبكي عليه كل شيء حتى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار والطير في جو السماء وتبكي عليه الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض ومؤمنو الجن والإنس وجميع ملائكة السماوات والأرضين ورضوان ومالك وحملة العرش وتمطر السماء دماً ورماداً (إلى أن قال) يا جبلة إذا نظرت إلى

(١) ثلاثة أشياء هي: البصرة ودمشق وآل عثمان، كامل الزيارات، ص١٦٦، ح٦/٢١٧ وص١٦٧، ح٧/٢١٨، البصرة ودمشق وآل عثمان بن عفان وص٣٦٢ ح٢/٦١٨. (المحقق).

الشمس حمراء كأنها دم عبيط فاعلمي أن سيد الشهداء الحسين قد قتل قالت جبلة فخرجت ذات يوم فرأيت الشمس على الحيطان كأنها الملاحف المعصفرة فصحت حينئذ وبكيت وقلت قد والله قتل سيدنا الحسين بن علي.

وروى ابن قولويه في الكامل بأسانيده عن أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام قال بكت الإنس والجن والطير والوحش على الحسين بن علي عليه السلام حتى ذرفت دموعها.

وفيه بسنده عن الحارث الأعور قال قال علي عليه السلام بأبي وأمي الحسين المقتول بظهر الكوفة والله لكأني أنظر إلى الوحش مادة أعناقها على قبره من أنواع الوحش يبكونه ويرثونه ليلاً حتى الصباح فإذا كان كذلك فإياكم والجفاء.

وفيه بسنده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال إن السماء بكت على الحسين عليه السلام أربعين صباحاً بالدم وأن الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد وأن الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة (إلى أن قال) وأن الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين عليه السلام. (الحديث).

وروى الشيخ الطوسي في الأمالي بسنده عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام دخل يوماً إلى الحسن فلما نظر إليه بكى فقال له ما يبكيك يا أبا عبد الله قال أبكي لما يصنع بك فقال له الحسن إن الذي يؤتى إلي سم يدس إلي فأقتل به ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدعون أنهم من أمة جدنا محمد وينتحلون دين الإسلام

فيجتمعون على قتلك وانتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك وانتهاب ثَقَلك فعندها تحل ببني أمية اللعنة وتمطر السماء دماً ورماداً ويبكي عليك كل شيء حتى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار.

بكاء السماء والأرض لقتل الحسين وإنهما لم يبكيا إلا لقتل يحيى وقتله عليه السلام

روى علي بن إبراهيم القمي في تفسيره بسنده عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه مر عليه رجل عدو لله ولرسوله فقال فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ثم مرّ عليه الحسين بن علي عليهما السلام فقال لكن هذا لتبكين عليه السماء والأرض وقال وما بكت السماء والأرض إلا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي عليهما السلام.

وروى ابن قولويه في الكامل بسنده عمن سمع أمير المؤمنين عليه السلام في الرحبة وهو يتلو فما بكت عليهم السماء والأرض الآية قال وخرج الحسين عليه السلام من بعض أبواب المسجد فقال أما أن هذا سيقتل وتبكي عليه السماء والأرض. وفيه بأسانيده أن أمير المؤمنين عليه السلام خرج فجلس في المسجد وجاء الحسين عليه السلام حتى قام بين يديه فوضع يده على رأسه فقال يا بني إن الله عير أقواماً فقال فما بكت عليهم السماء والأرض الآية وأيم الله لتقتلن ثم تبكيك السماء والأرض.

وفيه بأسانيده عن كثير بن شهاب الحارثي قال بينا نحن جلوس عند أمير المؤمنين عليه السلام في الرحبة إذ طلع الحسين عليه فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال إن الله ذكر قوماً فقال فما بكت عليهم السماء والأرض الآية والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليقتلن هذا

ولتبكين عليه السماء والأرض. وفيه بأسانيده عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال إن الحسين عليه السلام بكى لقتله السماء والأرض واحمرتا ولم يبكيا على أحد قط إلا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي.

وفيه بأسانيده عنه عليه السلام أن السماء بكت على الحسين بن علي ويحيى بن زكريا ولم تبك على أحد غيرهما قلت وما بكاؤها قال مكثوا أربعين يوماً تطلع الشمس بحمرة وتغرب بحمرة قلت فذاك بكاؤها قال نعم.

وفيه بأسانيده عنه عليه السلام في قوله فما بكت الآية قال لم تكب السماء منذ قتل يحيى بن زكريا حتى قتل الحسين بن علي عليه السلام فبكت عليه.

وفيه بسنده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال ما بكت السماء على أحد بعد يحيى بن زكريا إلا على الحسين بن علي فإنها بكت عليه أربعين يوماً وفيه بأسانيده عنه عليه السلام لم تبك السماء إلا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي.

وفيه بسنده عن علي بن الحسين عليهما السلام أنه قال أن السماء لم تبك منذ وضعت إلا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي قلت أي شيء بكاؤها قال كانت إذا استقبلت بالثوب وقع على الثوب شبه أثر البراغيث من الدم. وفيه بسنده عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال احمرت السماء حين قتل الحسين بن علي عليهما السلام سنة ثم قال بكت السماء والأرض على الحسين بن علي سنة قال وعلى يحيى بن زكريا وحمرتها بكاؤها.

وروى الحميري في قرب الإسناد بأسانيده عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام أنه قال كان قاتل يحيى بن زكريا ولد زنا وقاتل الحسين ولد زنا ولم تبك السماء على أحد إلا عليهما قلت وكيف تبكي قال تطلع الشمس في حمرة وتغيب في حمرة.

وفيه بسنده عنه عليه السلام كان الذي قتل الحسين عليه السلام ولد زنا والذي قتل يحيى بن زكريا ولد زنا وقال احمرت السماء حين قتل الحسين عليه السلام سنة ثم قال بكت السماوات والأرض على الحسين وعلى يحيى بن زكريا وحمرتها بكاؤها.

وفيه بأسانيده عنه عليه السلام قال زوروا الحسين عليه السلام ولا تجفوه فإنه سيد شباب الشهداء أو سيد شباب أهل الجنة وشبيه يحيى بن زكريا وعليهما بكت السماء والأرض (وفي رواية) وسيد بالواو لا بأو.

وروى علي بن إبراهيم القمي في تفسيره وصاحب قصص الأنبياء عن جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالى لم نجعل له من قبل سمياً قال يحيى بن زكريا لم يكن له سمي قبله والحسين بن علي لم يكن له سمي قبله وبكت عليهما السماء أربعين صباحاً وكذلك بكت الشمس عليهما وبكاؤها أن تطلع حمراء وتغيب حمراء وقيل أي بكى أهل السماء وهم الملائكة. وروى ابن قولويه في الكامل بسنده عن الصادق عليه السلام أنه قال في قوله تعالى لم نجعل له من قبل سمياً الحسين بن علي لم يكن له من قبل سمي ويحيى بن زكريا لم يكن له من قبل سمي ولم تبك السماء إلا عليهما أربعين صباحاً قلت ما بكاؤها قال كانت تطلع الشمس حمراء وتغرب حمراء إلى غير ذلك من الأخبار.

فإذا كان الله تعالى قد احمرت آفاق سمائه علامة على غضبه لقتل الحسين عليه السلام ودلالة على فظاعة الخطب وتسجيلاً لتلك النازلة العظيمة على صفحات الأفق حتى لا تنسى على ممر الدهور والأعوام وبكته السماء فاحمرت وأمطرت دماً وتراباً أحمر واسودت وأظلمت وبكته الشمس فاحمرت وانكسفت حتى ظهرت الكواكب وبكته النجوم وبكته الأرض فتفجرت دماً وجرت الحجارة والحصى والتراب والحيطان دماً وبكتهُ الجن والإنس والأنبياء والصديقون والشهداء والملائكة والوحوش والحيتان والطير وجميع من خلق الله كما دلت عليه هذه الأخبار التي قدمناها التي اتفق الفريقان على رواية أكثرها وبكاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة أهل البيت الطاهر النبوي وبكته الجن كما سيأتي ذلك كله ويأتي بكاء يعقوب على يوسف واتفاق جميع العقلاء على حسن البكاء على عظماء الرجال وتأبينهم وإقامة المآتم والمواسم لهم في كل عام كما تفعله الشيعة في حق إمامها وعظيم المسلمين وستأتي الإشارة إلى طرف منه.

فالإجماع حاصل من الله تعالى وملائكته وأنبيائه ورسله وأهل بيت نبيه وأتباعهم وجنه وأنسه وسمائه وكواكبها وأرضه وسكانها وجميع العقلاء على حسن البكاء على الحسين عليه السلام ومن ماثله من عظماء الرجال إقامة المآتم لهم ولم يخالف في ذلك إلا ابن هند وبعض قومه من بني أمية وابن سمية وأتباعهم وأحمد سورتكي السوداني صاحب مجلة الذخيرة وأمثاله وهؤلاء لا تقدم مخالفتهم فالله تعالى وأتباعه أولى بالإتباع من ابن هند وابن سمية وأتباعهما والله ولي التوفيق.

الثالث: من أدلة جواز البكاء على الحسين عليه السلام ما ورد من بكاء أبينا آدم عليه السلام على ولده هابيل لما قتله أخوه قابيل ورثائه له كما يأتي في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى.

الرابع: من أدلة جواز البكاء على الحسين عليه السلام ما نص عليه القرآن الكريم من بكاء يعقوب لفراق ولده يوسف وهو حي في دار الدنيا حتى ذهب بصره وحتى قيل له ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾(١).

قال تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾(٢).

وروى الطبري في تفسيره عدة روايات مسندة فيها أن يوسف عليه السلام سأل جبرائيل عليه السلام ما بلغ من حزن أبيه يعقوب عليه السلام قال حزن سبعين مثكلة أو ثكلى فسأله عن أجره فقال أجر سبعين شهيد أو مائة شهيد.

وفي رواية منها قال فتراني ألقاه أبداً قال نعم فبكى يوسف لما لقي أبوه بعده ثم قال ما أبالي ما لقيت إن الله أرانيه (وروى) الطبري في تفسير أيضاً بسنده عن الحسين (هو الحسن البصري) قال كان منذ خرج يوسف عليه السلام من عند يعقوب عليه السلام إلى يوم رجع ثمانون سنة لم يفارق الحزن قلبه يبكي حتى ذهب بصره قال الحسن والله ما على الأرض يومئذ خليقة أكرم على الله من يعقوب صلى الله عليه وسلم. انتهى.

---

(١) سورة يوسف، الآية ٨٥. المحقق.

(٢) سورة يوسف، الآية ٨٤. المحقق.

وفي تفسير الرازي روي أن يوسف عليه السلام سأل جبرائيل عليه السلام هل لك علم بيعقوب عليه السلام قال نعم قال وكيف حزنه قال حزن سبعين ثكلى وهي التي لها ولد واحد ثم يموت قال فهل له فيه أجر قال نعم أجر مائة شهيد إلى أن قال وروي أن ملك الموت دخل على يعقوب عليه السلام فقال له جئت لتقبضني قبل أن أرى حبيبي فقال لا ولكن جئت لأحزن لحزنك وأشجو لشجوك. انتهى.

وفي الكشاف وتفسير النيشابوري قيل ما جفت عينا يعقوب عليه السلام من وقت فراق يوسف عليه السلام إلى حين لقائه ثمانين عاماً وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب عليه السلام (وعن) رسول الله صلى الله عليه وآله أنه سأل جبرائيل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب عليه السلام على يوسف عليه السلام قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الأجر قال أجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط. انتهى.

وفي تفسير النيشابوري نقل أن جبرائيل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام حينما كان في السجن فقال إن بصر أبيك ذهب من الحزن عليك فوضع يوسف عليه السلام يده على رأسه فقال ليت أمي لم تلدني فلم أكن حزناً على أبي. انتهى.

فهذا يعقوب المتبع لملة جده إبراهيم عليه السلام قد بكى على فراق يوسف السنين المتطاولة حتى ابيضت عيناه وحتى قيل له ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُا۟ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾ وابنه حي في دار الدنيا وقد أعطي ملك مصر ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٣٠. المحقق.

الخامس: بكاء يوسف عليه السلام على ما لقي أبوه يعقوب عليه السلام وتمنيه أنه لم يولد كما سمعت آنفاً في رواية الطبري أنه بكى لما لقي أبوه بعده ورواية النيشابوري أنه وضع يده على رأسه فقال ليت أمي لم تلدني فلم أكن حزناً على أبي.

السادس: حزن ملك الموت ـ عزرائيل عليه السلام ـ لحزن يعقوب عليه السلام وشجوه لشجوه كما مر آنفاً في رواية الرازي.

السابع: من أدلة جواز البكاء على الحسين عليه السلام ورجحانه ما ورد من بكاء النبي صلى الله عليه وآله لأجل هذه المصيبة قبل وقوعها فيدل على جوازه بعد وقوعها للقطع بعدم الفرق بل بطريق الأولوية لأن المصيبة بعد وقوعها أعظم وأفجع وقد ورد ذلك بعدة طرق.

(منها) ما ذكره الشيخ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي في كتابه أعلام النبوة[١] فقال ما لفظه:

ومن إنذاره صلى الله عليه (وآله) وسلم ما رواه عروة عن عائشة(رض) قالت دخل الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يوحى إليه فبرك على ظهره وهو منكب ولعب على ظهره فقال جبرائيل عليه السلام يا محمد إن أمتك ستفتن بعدك ويقتل ابنك هذا من بعدك ومد يده فأتاه بتربة بيضاء وقال في هذه الأرض يقتل ابنك اسمها الطف فلما ذهب جبرائيل خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أصحابه والتربة في يده وفيهم أبو بكر وعمر وعلي وحذيفة وعمار وأبو ذر وهو يبكي فقالوا ما يبكيك يا رسول الله فقال أخبرني جبرائيل

(١) صفحة ٨٣ طبع مصر.

أن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف وجاءني بهذه التربة فأخبرني أن فيها مضجعه. انتهى.

أقول ولا بد أن يكون الصحابة لما رأوا رسول الله ﷺ يبكي لقتل ولده وتربته بيده وأخبرهم بما أخبره به جبرائيل من قتله وأراهم تربته التي جاء بها جبرائيل أخذتهم الرقة الشديدة فبكوا لبكائه وواسوه في الحزن على ولده فإن ذلك مما يبعث على أشد الحزن والبكاء لو كانت هذه الواقعة مع غير النبي ﷺ والصحابة فكيف بهم معه.

فهذا أول مأتم أقيم على الحسين عليه السلام يشبه مآتمنا التي تقام عليه وكان الذاكر فيه للمصيبة رسول الله ﷺ والمستمعون أصحابه.

(ومنها) ما في منتخب كنز العمال[١] للشيخ علاء الدين علي ابن حسام الدين الشهير بالمتقي الهندي من علماء أهل السنة[٢] قال أخرج الطبراني في الكبير عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أم سلمة[٣] قالت كان النبي ﷺ جالساً ذات يوم في بيتي فقال لا يدخلن علي أحد فانتظرت فدخل الحسين فسمعت نشيج النبي ﷺ يبكي فاطلعت فإذا الحسين في حجره أو إلى جنبه يمسح رأسه وهو يبكي فقلت والله ما لعمت به حتى دخل قال النبي ﷺ إن جبرائيل كان معنا في البيت فقال أتحبه فقلت أما من حب الدنيا فنعم فقال إن أمتك ستقتل هذا

---

(١) صفحة ١١٢ من الجزء الخامس بهامش مسند أحمد بن حنبل.

(٢) قال الشعراني في الطبقات الكبرى كان عالماً ورعاً زاهد نحيف البدن من كثرة الجوع كثير الصمت كثير العزلة له عدة مؤلفات منها ترتيب الجامع الصغير للحافظ السيوطي ومختصر النهاية وغير ذلك. (المؤلف).

(٣) أم المؤمنين أم سلمة هند وقيل رملة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر المخزومية بنت عمة رسول الله وأمها عاتكة بنت عبد المطلب تزوجها رسول الله ﷺ سنة ٣هـ وتوفيت سنة ٦٢هـ. المحقق.

بأرض يقال لها كربلاء فتناول جبرائيل من ترابها فأراه النبي صلى الله عليه وآله فلما أحيط بالحسين حين قتل قال ما اسم هذه الأرض قالوا أرض كربلاء قال صدق رسول الله صلى الله عليه وآله أرض كرب وبلاء. (انتهى منتخب كنز العمال).

(ومنها) ما في العقد الفريد[1] قال ومن حديث أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله قالت كان عندي النبي صلى الله عليه وآله ومعي الحسين فدنا من النبي صلى الله عليه وآله فأخذته فبكى فتركته فدنا منه فأخذته فبكى فتركته فقال له جبرائيل أتحبه يا محمد قال نعم قال أما أن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها فبسط جناحيه فأراه منها فبكى النبي صلى الله عليه وآله. انتهى.

(ومنها من طرق أصحابنا) ما رواه الشيخ أبو جعفر محمد بن علي ابن الحسين بن موسى بن بابويه القمي في أماليه قال حدثنا أبي رحمه الله ثنا حبيب ابن الحسين التغلبي ثنا عباد بن يعقوب عن أبي الجارود عن أبي جعفر (محمد الباقر بن علي بن الحسين عليهم السلام) قال كان النبي صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة فقال لها لا يدخل علي أحد فجاء الحسين عليه السلام وهو طفل فما ملكت معه شيئاً حتى دخل على النبي صلى الله عليه وآله فدخلت أم سلمة على أثره فإذا الحسين على صدره وإذا النبي صلى الله عليه وآله يبكي وإذا في يده شيء يقلبه فقال النبي صلى الله عليه وآله يا أم سلمة إن هذا جبرائيل يخبرني أن ابني هذا مقتول وهذه التربة التي يقتل عليها فضعيها عندك فإذا صارت دماً فقد قتل حبيبي. (الحديث).

---

(١) الجزء الثاني في باب مقتل الحسين عليه السلام.

(ومنها) ما في منتخب كنز العمال الآنف الذكر في باب مقتل الحسين عليه السلام[١] قال ما لفظه: قام عندي جبريل من قبل فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات وقال هل لك أن أشمك من تربته قلت نعم فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضتا.

أخرجه أحمد وأبو يعلى في مسنديهما وابن سعد والطبراني في الكبير عن علي والطبراني في الكبير أيضاً عن أبي إمامة وأنس وأخرجه ابن عساكر عن أم سلمة. وأخرجه ابن سعد والطبراني في الكبير عن عائشة وأبو يعلى في مسنده عن زينب أم المؤمنين وابن عساكر عن أم الفضل بنت الحارث زوج العباس. (انتهى كنز العمال).

(ومنها) ما في مسند الإمام أحمد بن حنبل[٢] فيما أخرجه من مسند علي بن أبي طالب عليه السلام بسنده عن عبد الله بن نجى عن أبيه أنه سار مع علي عليه السلام وكان صاحب مطهرته[٣] فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين فنادي علي عليه السلام اصبر أبا عبد الله اصبر أبا عبد الله بشط الفرات قلت وما ذاك قال دخلت على النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم وعيناه تفيضان قلت يا نبي الله أغضبك أحد ما شأن عينيك تفيضان قال بل قام من عندي جبرائيل قبل فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات قال فقال هل لك إلى أن أشمك من تربته قال قلت نعم

(١) صفحة ١١١ في الجزء الخامس بهامش مسند أحمد بن حنبل طبع مصر.
(٢) صفحة ٨٥ من الجزء الأول.
(٣) المطهرة بفتح الميم وكسرها والفتح أكثر إناء يتطهر به ويتوضأ منه مثل سطل أو ركوة وإناء صغير من جلد يتطهر به ويشرب منه وهو الذي يسمى اليوم (مطرة) مخفف مطهرة ومعنى صاحب مطهرته أنه الذي وكل إليه أمر الماء الذي يتطهر به فيزال به الحدث أو الخبث أو الوسخ. (المؤلف).

فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضتا. (انتهى مسند أحمد).

ونقله صاحب منتخب كنز العمال الآنف الذكر[١] عن أبي شيبة وأبي يعلى في مسنده وسعيد بن منصور في سننه بسندهم عن نجى مثله.

وفي الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي[٢] أخرج ابن سعد عن الشعبي قال مر علي بكربلاء عند مسيره إلى صفين وحاذى نينوى قرية على الفرات فوقف وسأل عن اسم الأرض فقيل كربلاء فبكى حتى بلَّ الأرض من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال كان عندي جبرائيل آنفاً وأخبرني أن ولدي الحسين يقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له كربلاء ثم قبض جبرائيل قبضة من تراب أشمني إياه فلم أملك عيني أن فاضتا. انتهى.

وحكاه سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرة الخواص[٣] عن ابن سعد عن الشعبي مثله (أقول) وسيأتي في الأمر السابع والعشرين عدة أحاديث في مرور علي عليه السلام بكربلاء في طريقه إلى صفين وبكائه وإخباره بقتل الحسين وإشارته إلى موضع رحله ومصرعه وكل ذلك يعضد ويقوي بعضه بعضاً. كما إنها قد رويت أحاديث كثيرة في إخبار جبرائيل النبي صلى الله عليه وآله بقتل الحسين عليه السلام وإعطائه شيئاً من تربته وإخبار النبي صلى الله عليه وآله أصحابه بقتل الحسين واستعظامه وأمره بنصره وكلها تعضد

---

(١) صفحة ١١٢ من الجزء الخامس بهامش مسند أحمد بن حنبل.
(٢) في الفصل الثالث من الباب الحادي عشر صفحة ١١٨ طبع عام ١٣٠٧هـ.
(٣) صفحة ١٤٢.

ما تقدم وتقويه وتؤيد صحته وتفيد عظم المصيبة وفظاعتها وشدة الاهتمام بها وإليك جملة من هذه الأحاديث.

ما أورده ابن حجر في صواعقه من إخبار جبرائيل النبي ﷺ بقتل الحسين عليه السلام وإتيانه بتربته

في الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي[١] المكي في الفصل الثالث من الباب الحادي عشر في الأحاديث الواردة في بعض أهل البيت ما لفظه.

(الحديث الثامن والعشرن) أخرج ابن سعد والطبراني عن عائشة أن النبي ﷺ قال أخبرني جبرائيل إن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف وجاءني بهذه التربة فأخبرني أن فيها مضجعه.

(الحديث التاسع والعشرون) أخرج أبو داود الحاكم عن أم الفضل بنت الحارث[٢] أن النبي ﷺ قال أتاني جبرائيل فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا يعني الحسين وأتاني بتربة من تربته حمراء (قال) وأخرج أحمد لقد دخل علي البيت ملك لم يدخل علي قبلها فقال لي أن ابنك هذا حسيناً مقتول وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها قال فأخرج تربة حمراء.

(الحديث الثلاثون) أخرج البغوي في معجمه من حديث أنس أن النبي ﷺ قال استأذن ملك القطر ربه أن يزورني فأذن له وكان في يوم أم سلمة فقال رسول الله ﷺ يا أم سلمة احفظي علينا الباب لا

(١) صفحة ١١٨ طبع عام ١٣٠٧ بمصر.
(٢) هي زوجة العباس بن عبد المطلب. (المؤلف).

يدخل أحد فبينا هي على الباب إذ دخل الحسين فاقتحم فوثب على رسول الله صلى الله عليه وآله فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يلثمه ويقبله فقال له الملك أتحبه قال نعم قال إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل به فأراه فجاء بسهلة أو تراب أحمر فأخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها قال ثابت كنا نقول إنها كربلاء (قال) وأخرجه أيضاً أبو حاتم في صحيحه وروى أحمد نحوه وروى عبد بن حميد وابن أحمد نحوه أيضاً لكن فيه أن الملك جبرائيل فإنه صح فهما واقعتان وزاد الثاني أيضاً أنه صلى الله عليه وآله شمها وقال ريح كرب وبلاء.

السهلة بكسر أوله رمل خشن ليس بالدقاق الناعم. (انتهى ما أردنا نقله من الصواعق بحروفه).

ما أورده صاحب منتخب كنز العمال من الأحاديث المتضمنة إخبار جبرائيل النبي صلى الله عليه وآله بقتل الحسين عليه السلام وإتيانه بتربته

قال الشيخ علاء الدين علي الهندي الشهير بالمتقي من علماء أهل السنة في كتابه كنز العمال[1] ما لفظه (مقتل الحسين رضي الله عنه)

١ ـ أخبرني جبريل إن حسيناً يقتل بشاطئ الفرات.

(أخرجه ابن سعد عن علي)

٢ ـ أخبرني جبريل إن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف وجاءني بهذه التربة وأخبرني أن فيها مضجعه.

(أخرجه ابن سعد والطبراني في الكبير عن عائشة)

---

(١) صفحة ١١٠ من الجزء الخامس بهامش مسند أحمد بن حنبل.

٣ ـ أتاني جبريل فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا يعني الحسين وأتاني بتربة من تربته حمراء.

(أخرجه أبو داود والحاكم في المستدرك عن أم الفضل بنت الحارث)

٤ ـ إن جبريل كان معنا في البيت فقال أتحبه فقلت أما في الدنيا فنعم فقال إن أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء فتناول من تربته فأرانيه.

(أخرجه الطبراني في الكبير عن أم سلمة)

٥ ـ إن جبريل أراني التربة التي يقتل عليها الحسين فاشتد غضب الله على من يسفك دمه فيا عائشة والذي نفسي بيده إنه ليحزنني هذا من أمتي يقتل حسيناً بعدي.

(أخرجه ابن سعد عن عائشة)

٦ ـ إن جبريل أتاني فيخبر أن ابني هذا تقتله أمتي فأرني تربته فأتاني بتربة حمراء.

(أخرجه أبو يعلى في مسنده والطبراني في الكبير عن زينب بنت جحش[١]).

٧ ـ يزيد لا بارك الله في يزيد الطعان اللعان أما أنه نعي إلي

(١) زوج رسول الله ﷺ أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رياب بن يعمر بن حيرة بن مرة بن كبير بن غنم القريشية أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، تزوجها رسول الله ﷺ سنة ٤ هـ توفيت سنة ٢٠هـ في ملك عمر بن الخطاب وورد أنه صلى عليها عمر وضرب على قبرها فسطاطاً وجلس فيه للزيارة والدعاء فليلاحظ وليسمع وليتعظ من يشنع على أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام ويشنع على الشيعة بزيارة قبور الأنبياء عليهم السلام والأئمة من آل محمد ﷺ وهذا شيخ الصحابة عمر بن الخطاب يفعل ذلك بقبر أم المؤمنين زينب بنت جحش!!!؟. المحقق.

حبيبي وسخيلي حسين أُتيت بتربته ورأيت قاتله أما إنه لا يقتل بين ظهراني قوم فلا ينصرونه إلا عمهم الله بعقاب.

(أخرجه ابن عساكر عن ابن عمر)

٨ ـ نعي إلي الحسين وأُتيت بتربته وأُخبرت بقاتله أخبرني جبريل بأن ابني الحسين يقتل بأرض العراق فقلت لجبريل أرني تربة الأرض التي يقتل بها فجاء فهذه تربتها.

(أخرجه ابن سعد عن أم سلمة).

ما أورده صاحب منتخب كنز العمال من إخبار النبي صلى الله عليه وآله بقتل الحسين عليه السلام واستعظامه وأمره بنصره

١ ـ أوحى الله إلي أني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً وأني قاتل بابن بنتك سبعين ألفاً.

(أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عباس)

٢ ـ كأني أنظر إلى كلب أبقع يلغ في دماء أهل بيتي.

(أخرجه ابن عساكر عن السيد الحسين بن علي)

٣ ـ إن ابني هذا يعني الحسين يقتل بأرض من أرض العراق يقال لها كربلاء فمن شهد ذلك منكم فلينصره.

(أخرجه البغوي وابن السكن والبارودي وابن منده وابن عساكر عن أنس بن الحارث بن منبه)

(انتهى منتخب كنز العمال)

وروى ابن شهرآشوب في المناقب عن ابن فورك في فصوله وأبي يعلى في مسنده والعامري في إبانته من طرق منها عن عائشة

وعن شهر ابن حوشب أنه دخل الحسين بن علي على النبي ﷺ وهو يوحى إليه فنزل الوحي على رسول الله ﷺ وهو منكب على ظهره فقال جبرائيل تحبه فقال ألا أحب ابني فقال إن أمتك ستقتله من بعدك فمد جبرائيل يده فإذا بتربة بيضاء فقال في هذه التربة يقتل ابنك هذه يا محمد اسمها الطف. (الخبر). قال وفي وأخبار سالم بن الجعد أنه كان ذلك ميكائيل وفي مسند أبي يعلى أن ذلك ملك القطر. (انتهت المناقب).

الثامن: ما ورد من رؤية النبي ﷺ يوم قتل الحسين عليه السلام باكياً أشعث أغبر يلتقط دماءه ودماء أصحابه في قارورة.

ففي الصواعق المحرقة لابن حجر[١]: أخرج الترمذي أن أم سلمة رأت النبي ﷺ (يعني في المنام) باكياً وبرأسه ولحيته التراب فسألته فقال قتل الحسين آنفاً (قال في الصواعق) وكذلك رآه ابن عباس نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم يلتقطه فسأله فقال دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم فنظروا فوجدوه قد قتل في ذلك اليوم. (انتهت الصواعق). وروى الصدوق في الأمالي بسنده عن ابن عباس مثله.

وأخرج أحمد بن حنبل فيما أخرجه من مسند ابن عباس[٢]: قال رأيت النبي ﷺ فيما يرى النائم بنصف النهار وهو قائم أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم فقلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا قال هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل التقطه منذ اليوم فأحصينا ذلك اليوم فوجدوه قتل في ذلك اليوم.

---

(١) في الفصل الثالث من الباب ١١ صفحة ١١٨ طبع عام ١٣٠٧.

(٢) صفحة ٧٣ من الجزء الأول.

وأخرج ابن عبد البر في الاستيعاب وابن حجر العسقلاني في الإصابة بإسنادهما عن ابن عباس في ترجمة الحسين عليه السلام مثله إلا إنه في الاستيعاب لم يذكر وأصحابه.

وأخرج سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرة الخواص[1] بسنده عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس مثله (ثم قال) وقيل الذي رأى المنام عمار بن أبي عمار. انتهى.

وفي تاريخ ابن الأثير قال ابن عباس رأيت النبي صلى الله عليه وآله الليلة التي قتل فيها الحسين وبيده قارورة وهو يجمع فيها دماً فقلت يا رسول الله ما هذا فقال هذه دماء الحسين وأصحابه أرفعها إلى الله تعالى فأصبح ابن عباس فأعلم الناس بقتل الحسين وقص رؤياه فوجد قد قتل في ذلك اليوم. انتهى.

وروى ابن شهرآشوب في المناقب عن جامع الترمذي وكتاب السدي وفضائل السمعاني أن أم سلمة قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام وعلى رأسه التراب فقلت ما لك يا رسول الله فقال شهدت قتل الحسين آنفاً. انتهى.

(أقول) ومن روايات أصحابنا في ذلك ما رواه الصدوق في الأمالي بسنده عن سلمة قالت دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت لها ما يبكيك قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام وعلى رأسه ولحيته أثر التراب فقلت مالك يا رسول الله مغبراً قال شهدت قتل الحسين آنفاً.

(١) صفحة ١٥٢.

وروى المفيد في المجالس والشيخ الطوسي في الأمالي بسندهما عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال أصبحت يوماً أم سلمة تبكي فقيل لها ممَّ بكاؤك فقالت لقد قتل ابني الحسين الليلة وذلك أنني ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله منذ مضى إلا الليلة فرأيته شاحباً كئيباً فقلت ما لي أراك يا رسول الله شاحباً كئيباً فقال لم أزل منذ الليلة أحفر القبول للحسين وأصحابه.

وروى الشيخ الطوسي في الأمالي بسنده عن عمرو بن ثابت عن أبيه أبي المقدام عن ابن جبير عن ابن عباس قال بينا أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخاً عالياً من بيت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله فخرجت يتوجه بي قائدي إلى منزلها وأقبل أهل المدينة إليها الرجال والنساء فقلت يا أم المؤمنين مالك تصرخين وتغوثين فلم تجبني وأقبلت على النسوة الهاشميات وقالت يا بنات عبد المطلب أسعدنني وابكين معي فقد قتل والله سيدكن وسيد شباب أهل الجنة قد والله قتل سبط رسول الله ريحانته الحسين فقلت يا أم المؤمنين ومن أين علمت ذلك قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام الساعة شعثاً مذعوراً فسألته عن شأنه فقال قتل ابني الحسين وأهل بيته اليوم فدفنتهم والساعة فرغت من دفنهم قالت فقمت حتى دخلت البيت وأنا لا أكاد أن أعقل فنظرت فإذا بتربة الحسين التي أتى بها جبرائيل من كربلاء فقال إذا صارت هذه التربة دماً فقد قتل ابنك وأعطانيها النبي صلى الله عليه وآله فقال اجعلي هذه التربة في زجاجة أو قال في قارورة ولتكن عندك فإذا صارت دماً عبيطاً فقد قتل الحسين فرأيت القارورة الآن وقد صارت دماً عبيطاً تفور قال فأخذت أم سلمة من ذلك الدم فلطخت به وجهها

وجعلت ذلك اليوم مأتماً ومناحة على الحسين عليه السلام فجاءت الركبان بخبره وأنه قتل في ذلك اليوم (قال) عمرو بن ثابت (أحد رواة هذا الحديث) دخلت على أبي جعفر محمد بن علي فسألته عن هذا الحديث وذكرت له رواية سعيد بن جبير هذا الحديث عن عبد الله بن عباس فقال أبو جعفر حدثنيه عمروا ابن أبي سلمة عن أمه أم سلمة.

التاسع: من أدلة جواز البكاء على الحسين عليه السلام ما ورد من بكاء النبي صلى الله عليه وآله على ما يصيب أهل بيته بعده.

ففي سنن الإمام الحافظ[١] محمد بن يزيد بن ماجة القزويني[٢] بسنده عن عبد الله قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل فتية من بني هاشم فلما رآهم النبي صلى الله عليه وآله اغرورقت عيناه وتغير لونه فقلت ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه فقال إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريداً وتطريداً. (الحديث).

ونقله ابن حجر في صواعقه إلا أنه قال فئة بدل فتية.

وقال السندي في الحاشية رواه الحاكم في المستدرك من طريق عمر ابن قيس عن الحكم بن إبراهيم. انتهى.

(أقول) ولا شك أن ما أصاب الحسين عليه السلام هو من أعظم البلاء والتطريد والتشريد الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله أن أهل بيته سيلقونه بل هو أعظمه وأفجعه بل هو أعظم بلاء وقع في الكون.

---

(١) كذا وصفه محمد بن عبد الهادي الحنفي المعروف بالسندي في حاشيته وقال إنه إمام من أئمة المسلمين كبير متقن مقبول بالاتفاق. (المؤلف).

(٢) صفحة ٢٦٩ من الجزء الثاني في باب خروج المهدي.

ولله در السيد الرضي حديث يقول:

لو رسول الله يحيى بعده قعد اليوم عليه للعزا
يا رسول الله لو عاينتهم وهم ما بين قتل وسبا
لرأت عيناك منهم منظرا للحشى شجوا وللعين قذا

العاشر: بكاء النبي ﷺ على عمه حمزة يوم أحد لما استشهد وإرادته أن تبكي عليه البواكي.

روى ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة حمزة بسنده عن جابر بن عبد الله قال لما رأى النبي عليه الصلاة والسلام حمزة قتيلاً بكى فلما رأى ما مثل به شهق.

وفي السيرة الحلبية(١) عن ابن مسعود ما رأينا رسول الله ﷺ باكياً أشد من بكائه على حمزة وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشق أي شهق حتى بلغ الغشي يقول يا عم رسول الله وأسد الله وأسد رسول الله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات يا ذاب يا مانع عن وجه رسول الله.

وفي تاريخ محمد بن جرير الطبري(٢) بسنده عن أشياخ من بني سلمة أنه مر رسول الله ﷺ بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وبني ظَفَر فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم فذرفت عينا رسول الله ﷺ فبكى ثم قال لكن حمزة لا بواكي له فلما رجع سعد بن معاذ وأُسيد بن خضير إلى دار بني الأشهل أمرا نساءهم أن ينخرمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله ﷺ.

(١) الجزء الثاني صفحة ٢٦٠ طبع عام ١٣٢٠ هـ.
(٢) الجزء الثالث صفحة ٢٧.

وذكر ابن الأثير نحوه في تاريخه وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده[١] عن نافع بن عمر أن رسول الله ﷺ لما رجع من أُحد فجعلت نساء الأنصار يبكين على من قتل من أزواجهن فقال رسول الله ﷺ ولكن حمزة لا بواكي له (قال) ثم نام فاستنبه وهن يبكين قال فهن اليوم إذا يبكين يندبن[٢] بحمزة. انتهى.

وفي السيرة الحلبية وسمع رسول الله ﷺ نساء الأنصار يبكين على أزواجهن وأبنائهن إخوانهن فقال حمزة لا بواكي له وبكى ﷺ ولعله لم يكن له بالمدينة زوجة ولا بنت فأمر سعد بن معاذ نساءه ونساء قومه أن يذهبن إلى بيت رسول الله ﷺ يبكين حمزة بين المغرب والعشاء وكذلك أُسيد بن خضير أمر نساءه ونساء قومه أن يذهبن إلى بيت رسول الله ﷺ يبكين حمزة (إلى أن قال) فلما رجع ﷺ من المسجد من صلاة المغرب سمع البكاء فقال ما هذا فقال نساء الأنصار يبكين حمزة فقال رضي الله عنكن وعن أولادكن وأمر أن ترد النساء إلى منازلهن (إلى أن قال) وفي رواية فلما ذهب ثلث الليل نادى بلال الصلاة يا رسول الله فقام من نومه وخرج وهن على باب المسجد يبكين حمزة فقال لهن ارجعن رحمكن الله لقد واسيتن معي رحم الله الأنصار فإن المواساة فيهم كما علمت قديمة (إلى أن قال) وصارت الواحدة من نساء الأنصار بعد لا تبكي على ميتها إلا بدأت بالبكاء على حمزة ثم بكت على ميتها (قال) ولعل المراد بالبكاء النوح. انتهى.

---

(١) صفحة ٤٠ من الجزء الثاني.

(٢) لعل صوابه فهن إلى اليوم إذا يبكين يبدأن بحمزة كما يدل عليه غيره. (المؤلف).

وقال الواقدي[١] روي أن صفية لما جاءت (يعني يوم أُحد) حالت الأنصار بينها وبين رسول الله ﷺ فقال دعوها فجلست عنده فجعلت إذا بكت يبكي رسول الله ﷺ وإذا نشجت ينشج رسول الله ﷺ وجعلت فاطمة تبكي فلما بكت بكى رسول الله ﷺ . انتهى.

في القاموس نشج الباكي ينشج نشيجاً غُص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب (انتهى) فعليه المراد بالبكاء هنا النحيب الذي هو البكاء بصوت.

وفي السيرة الحلبية قالت (أي صفية) يا رسول الله أين ابن أمي حمزة قال ﷺ هو في الناس قالت لا أرجع حتى أنظر إليه فجعل الزبير يحبسها فقال ﷺ دعها فلما رأته بكت وصار كلما بكت بكى ﷺ .

فدل فعل النبي ﷺ للبكاء وتقريره للباكيات على جوازه وعلى جواز رفع الصوت به كما هو معنى البكاء بالمد وكما يدل عليه حصول الشهيق منه ﷺ ونساء الأنصار إنما كن يبكين مع الصوت ولذلك سمع النبي ﷺ بكاءهن وحسبك بقول النبي ﷺ لكن حمزة لا بواكي له حثاً على البكاء على حمزة وإظهاراً للمحبة له ولو ما على تركه فالفعل والقول والتقرير منه ﷺ متظافرة على جواز البكاء ولو مع الصوت ورجحانه المؤكد واستمرار البكاء من النساء في المدينة المنورة إذا أردن البكاء على أمواتهن بعد سماعهن قول

---

(١) كما في أواخر صفحة ٣٨٧ من المجلد الثالث من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي طبع مصر.

النبي ﷺ لكن حمزة لا بواكي له في عصر النبي ﷺ وعصر الصحابة والتابعين وتابعي التابعين من غير نهي عنه إلا لنقل إلينا دليل واضح على أن الجواز والرجحان لا يختص بالوقت القريب من الوفاة بل يعمم جميع الأزمان ولو كان زمن الموت بعيداً على أنه إذا كان جائزاً وراجحاً فلا يتفاوت الحال بين الأزمان لعدم الفارق بينها.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة حمزة روي عن رسول الله ﷺ أنه قال حمزة سيد الشهداء وروي خير الشهداء ولولا أن تجد صفية لتركت دفنه حتى يحشر من بطون الطير والسباع (وروى) في الاستيعاب أيضاً عن كثير بن زيد عن المطلب بن حنطب أنه قال لم يمثل بأحد ما مثل بحمزة قطعت هند كبده وجدعت أنفه وقطعت أذنيه وبقرت بطنه فلما رأى النبي ﷺ ما صنع بحمزة قال لئن ظفرت بقريش لأمثلن بثلاثين منهم. (الحديث) (وفي الاستيعاب أيضاً) بسنده عن أبي هريرة قال وقف رسول الله ﷺ على حمزة وقد قتل ومثل به فلم ير منظراً كان أوجع لقلبه منه فقال رحمك الله أي عم فلقد كنت وصولاً للرحم فعولاً للخيرات فوالله لئن أظفرني الله بالقوم لأقتلن سبعين منهم. (الحديث).

وفي أوائل الجزء الثاني من العقد الفريد وقال النبي ﷺ لولا أن يشق على صفية ما دفنته حتى يحشر من حواصل الطير وبطون السباع.

وروي الطبري في تاريخه[1] بسنده عن محمد بن محمد بن

---

(١) صفحة ٢٥ من الجزء الثاني.

جعفر بن الزبير أن رسول الله ﷺ حين رأى بحمزة ما رأى قال لولا أن تحزن صفية أو تكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في أجواف السباع وحواصل الطير ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على ما فعل بعمه قالوا والله لئن ظهرنا عليهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط. (الحديث) وذكر ابن الأثير نحواً من ذلك على عادته في إتباع الطبري.

وفي هذا الكلام من النبي ﷺ ما لا يخفى من استفظاع المصاب واستعظامه وتهييج الأحزان والأشجان والعزم على تركه بغير دفن لولا خوف أن تحزن أخته صفية إرادة لاشتداد الحزن وشدة تقطيع النازلة حتى لا يسلوه ولا يذهب غيظه عن قاتليه كما يوصي إليه قوله ﷺ لأمثلن بثلاثين أو بسبعين ولعله قال أولاً بثلاثين ثم زاد فقال بسبعين فيدل على أن استفظاع المصاب الفظيع واستعظامه وقول ما يهيج الأحزان ويزيدها غير محظور وإن كان قد يستشكل في توجيه الحديث لأن دفن الميت واجب لكن ذلك لا يضر فيما نحن بصدده لو فرضنا إننا لم نعلم وجهه فنرد علمه إلى أهله والنبي ﷺ أدرى بقوله وفعله ولعل له أن يفعل ذلك إذا اقتضت المصلحة والله أعلم.

وفي رواية أبي هريرة السابقة دلالة على جواز تأبين الميت وذكر مناقبه وأما والله لو نظر النبي ﷺ إلى ما صنع بولده الحسين لكان ذلك المنظر أوجع لقلبه من منظر حمزة كما قال القائل:

لـو أن رسـول الله يـبـعـث نـظـرة — لـردت إلـى إنـسـان عـيـن مـؤرق
وهـان عـلـيـه يـوم حـمـزة عـمـه — بيوم حسين وهو أعظم ما لقي
فكم بين من للخدر عادت مصونة — ومن سيروها في السبايا لحلّ

الحادي عشر: بكاء النبي صلى الله عليه وآله على ابن عمه جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وبكاء الزهراء عليها السلام على عمها جعفر وندبها له بحضور أبيها واستحسانه ذلك.

قال ابن عبد البر في ترجمة زيد بن حارثة من الاستيعاب (ما لفظه) ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وآله نعي جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة بكى وقال أخواي ومؤنساني ومحدثاي.

وأخرج البخاري في صحيحه[1] عن أنس بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وآله أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها عبد الله ابن رواحة فأصيب وأن عيني رسول الله صلى الله عليه وآله لتذرفان.

وأخرج النسائي في سننه[2] عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله نعى زيداً وجعفراً قبل أن يجيء خبرهم فنعاهم وعيناه تذرفان.

وفي الاستيعاب أيضاً في ترجمة جعفر بن أبي طالب ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وآله نعي جعفر أتى امرأته أسماء بنت عميس فعزاها في زوجها جعفر ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول واعماه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله على مثل جعفر فلتبك البواكي.

ففيه تقرير لفاطمة عليها السلام على بكائها وندبها لجعفر بقولها واعماه

(١) في الجنائز والجهاد وعلامات النبوة ومناقب خالد.
(٢) صفحة ٢٦٥ من الجزء الأول.

واستحسانه لذلك وحثه عليه بقوله ﷺ على مثل جعفر فلتبك البواكي فإنه أمر وحث على البكاء على جعفر وأمثال جعفر من عظماء الرجال بأبلغ عبارة.

الثاني عشر: بكاء النبي ﷺ على ولده إبراهيم قبل موته وبعده.

أخرج البخاري في صحيحه[١] عن بن مالك وذكر دخول النبي ﷺ وإبراهيم يجود بنفسه قال فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف وأنت يا رسول الله فقال يا ابن عوف إنها رحمة ثم اتبعها بأخرى فقال ﷺ إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون.

قال القسطلاني أي اتبع الدمعة الأولى بدمعة أخرى أو اتبع الكلمة الأولى المجملة وهو قوله إنها رحمة بكلمة أخرى مفصلة فقال أن العين تدمع.. الخ.

(يقول المؤلف) قوله ﷺ أنها رحمة أي والرحمة نعم الفعل ونعمت الصفة وليست سخطاً لقضاء الله حتى تكون مذمومة وما كان ينبغي أن يقال لرسول الله ﷺ ذلك وهو القدوة في أقواله وأفعاله وسكوته ومقاله والله تعالى يقول وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله ﷺ بعد ذلك ولا نقول إلا ما يرضي ربنا فيه تنبيه على أن ما عدا قول ما يسخط الرب من أسباب الحزن والبكاء لا مانع منه.

---

(١) في الجزء الثاني من إرشاد الساري صفحة ٣٩٨.

وأخرج ابن ماجة[١] في سننه عن أنس بن مالك قال لما قبض إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله قال لهم النبي صلى الله عليه وآله لا تدرجوه في أكفانه حتى أنظر إليه فأتاه فانكب عليه وبكى.

فما كانت تكون حال رسول الله صلى الله عليه وآله لو نظر إلى ولده الحسين عليه السلام بتلك الحالة المعلومة أما كان ينكب عليه ويبكي وهل كان يلوم من بكى عليه ويقول له إن بكاءك بدعة ويرضى ممن جعل يوم قتل ولده عيداً يوسع فيه على العيال وتجري فيه مراسم الأعياد وتختلق في فضله الأحاديث والأخبار.

وأخرج ابن ماجة أيضاً في سننه[٢] عن أسماء بنت يزيد قالت لما توفي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله إبراهيم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له المعزي أما أبو بكر وأما عمر أنت أحق من عظم الله حقه قال رسول الله صلى الله عليه وآله تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب لولا أنه وعد صادق وموعود جامع وإن الآخر تابع للأول لوجدنا عليك يا إبراهيم أفضل ما وجدنا وإنا بك لمحزونون.

الثالث عشر: بكاء النبي صلى الله عليه وآله على فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام. ففي منتخب كنز العمال[٣] عن تاريخ ابن عساكر عن علي قال لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم كفنها رسول الله صلى الله عليه وآله في قميصه وصلى عليها سبعين تكبيرة ونزل في قبرها فجعل يومئ في نواحي القبر كأنه يوسعه ويسوي عليها وخرج من قبرها وعيناه تذرفان

(١) في الجزء الأول صفحة ٢٣٢.
(٢) صفحة ٢٤٨ من الجزء الأول.
(٣) صفحة ٢٨٠ بهامش الجزء الخامس من مسند أحمد بن حنبل.

وحثا في قبرها فلما ذهب قال له عمر بن الخطاب يا رسول الله رأيتك فعلت على هذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحد فقال يا عمر هذه المرأة كانت أمي بعد أمي التي ولدتني إن أبا طالب كان يصنع الصنيع وتكون له المأدبة وكان يجمعنا على طعامه فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيباً فأعود فيه وإن جبريل أخبرني عن ربي أنها من أهل الجنة وأخبرني جبريل إن الله تعالى أمر سبعين ألفاً من الملائكة يصلون عليها.

الرابع عشر: بكاء النبي ﷺ على ابن بنته أخرج البخاري في صحيحه[١] عن أسامة بن زيد قال أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه أن ابناً لي قبض (إلى أن قال) فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي ابن كعب وزيد بن ثابت ورجال فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تتقعقع قال حسبته أنه قال كأنها شن ففاضت عيناه فقال سعد يا رسول الله ما هذا فقال هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء.

وأخرج مسلم في صحيحه[٢] عن أسامة نحوه إلا أنه قال أن صبياً لها أو ابناً لها في الموت وقال ونفسه تتقعقع كأنها في شنة.

وأخرجه النسائي في سننه[٣] أيضاً. وأخرجه أبو داود كما في إرشاد الساري[٤].

(١) صفحة ٣٨٥ من الجزء الثاني من إرشاد الساري.
(٢) صفحة ٢٥٦ من الجزء الرابع من إرشاد الساري بالهامش في كتاب الجنائز.
(٣) صفحة ٣٦٣ من الجزء الأول.
(٤) صفحة ٣٨٥ من الجزء الثاني.

وأخرج ابن ماجة في سننه[١] عن أسامة بن زيد قال كان ابن لبعض بنات رسول الله ﷺ يقضي إلى أن قال فقام رسول الله ﷺ وقمت معه ومعه معاذ بن جبل وأبي بن كعب وعبادة بن الصامت فلما دخلنا ناولوا الصبي رسول الله ﷺ وروحه تقلقل في صدره قال حسبته قال كأنها شنة قال فبكى رسول الله ﷺ فقال له عبادة بن الصامت ما هذا يا رسول الله قال الرحمة التي جعلها الله في بني آدم وإنما يرحم الله من عباده الرحماء.

(أقول) قوله ﷺ هذه رحمة.. الخ. وما بمعناه هو مثل قوله في الحديث السابق أنها رحمة في الدلالة على استحباب البكاء وحسنه بل أظهر باعتبار ما فيه من حصر رحمة الله بالرحماء جمع رحيم من صيغ المبالغة الدال على رجحان المبالغة في البكاء الذي هو رحمة والحصر المذكور يراد به زيادة الحث على تلك الرحمة فإن رحمة الله تعالى لا تنحصر في الرحماء.

الخامس عشر: بكاء النبي ﷺ على إحدى بناته.

أخرج البخاري في صحيحه في باب من يدخل قبر المرأة[*] عن أنس قال شهدنا بنت رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ جالس على القبر فرأيت عينيه تدمعان. (الحديث). قال القسطلاني هي أم كلثوم زوج عثمان.

السادس عشر: بكاء النبي ﷺ على بنت له صغيرة.

(١) صفحة ٣٤٨ من الجزء الأول.

(*) صفحة ٤٢٥ من الجزء الثاني من إرشاد الساري.

أخرج النسائي في سننه عن ابن عباس[١] قال لما حضرت بنت لرسول الله ﷺ صغيرة فأخذها فضمها إلى صدره ثم وضع يده عليها فقضت وهي بين يدين فبكت أم أيمن فقال لها رسول الله ﷺ يا أم أيمن أتبكين ورسول الله ﷺ عندك فقالت ما لي لا أبكي ورسول الله ﷺ يبكي فقال إني لست أبكي ولكنها رحمة (قال) السندي في الحاشية المراد أن البكاء بلا صوت رحمة وبصوت منكر. انتهى.

(أقول) قد عرفت وستعرف أن البكاء بصوت وبدونه ليس منكراً في نفسه ما لم يشتمل على محرم آخر وليس في الحديث ما يدل على التفصيل الذي ذكره السندي ولكنه شيء استنبطه وجهاً للجمع بين إنكاره لبكائها مع أنه هو يبكي فيمكن كون وجه الجمع شيئاً آخر غيره إذ لعله أنكر بكاءها في وجهه بقرينة قوله ورسول الله ﷺ عندك لا إنه أنكره إنكار تحريم بل من حيث أنه لا لزوم له على بنت صغيرة سيما مع كونه مهيجاً لحزن رسول الله ﷺ أما هو فمعذور في بكائه لمكان الرحمة والرقة الطبيعية أو غير ذلك وعلى كل حال فهو دال على جواز البكاء.

السابع عشر: بكاء النبي ﷺ على قبر أمه روى مسلم في صحيحه[٢] بسنده عن أبي هريرة قال زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله. (الحديث). قال النووي في شرح صحيح مسلم[٣]

(١) صفحة ٢٦١ من الجزء الأول.
(٢) صفحة ٣٢٤ من الجزء الرابع بهامش إرشاد الساري في كتاب الجنائز.
(٣) صفحة ٣٢٥ من الجزء الرابع بهامش إرشاد الساري.

رواه أبو داود في سننه بهذا الإسناد ورواه النسائي ورواه ابن ماجة وهؤلاء (أي الذين رووا عنهم) كلهم ثقات فهو حديث صحيح بلا شك. (انتهى شرح النووي).

وفي كتاب إعلام الورى بأعلام الهدى للشيخ أمين الدين الفضل ابن الحسن الطبرسي صاحب مجمع البيان روى ـ روي ـ عن بريدة قال انتهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى رسم قبر فجلس وجلس الناس حوله فجعل يحرك رأسه كالمخاطب ثم بكى فقيل ما يبكيك يا رسول الله قال هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربي في أن أزور قبرها فأذن لي فأدركتني رقتها فبكيت فما رأيت ساعة أكثر باكياً من تلك الساعة. انتهى.

فهذا بكاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أمه وإقامته المأتم عليها بعد عشرات من السنين حتى بكى وأبكى أصحابه وهي باعتقاد الخصم كافرة ولذلك روى مسلم في هذا الحديث استأذنت ربي في أن أستغفر لهم فلم يأذن لي فكيف بها لو كانت مسلمة.

الثامن عشر: بكاء النبي على ظئره ومرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث السعدية.

ذكر ابن الأثير في الجزء الأول من تاريخه عند ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة قدمت عليه أخت لحليمة فسألها عنها فأخبرته بموتها فذرفت عيناه فسألها عمن خلف فأخبرته فسألته نحلة وحاجة فوصلها.

التاسع عشر: بكاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم على عثمان بن مظعون.

أخرج ابن ماجة في سننه في باب ما جاء في تقبيل الميت[١] عن عائشة قالت قبَّل رسول الله ﷺ عثمان مظعون وهو ميت فكأني أنظر إلى دموعه تسيل على خديه.

قال محمد بن عبد الهادي المعروف بالسندي في الحاشية قوله على خديه أي خدي النبي ﷺ أو خدي عثمان ويؤيد الثاني ما جاء حتى سال دموع النبي ﷺ على وجه عثمان والله تعالى أعلم. انتهى.

وروى أحمد بن حنبل فيما أخرجه من حديث عائشة[٢] قالت قبل رسول الله ﷺ عثمان بن مظعون وهو ميت حتى رأيت الدموع تسيل على وجهه.

وفي صحيح البخاري[٣] في باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه أن أبا بكر قبل رسول الله ﷺ بعد موته ثم بكى.

قال القسطلاني في الشرح اقتداء به عليه الصلاة والسلام حيث دخل على عثمان بن مظعون وهو ميت فأكب عليه وقبله ثم بكى حتى سالت دموعه على وجنتيه رواه الترمذي. انتهى.

العشرون: بكاء النبي ﷺ على سعد حال مرضه. أخرج البخاري في صحيحه في باب البكاء عند المريض[٤] عن عبد الله بن

(١) صفحة ٣٢٩ من الجزء الأول.
(٢) صفحة ٥٦ من الجزء السادس.
(٣) صفحة ٣٦٠ من الجزء الثاني من إرشاد الساري.
(٤) صفحة ٣٩٩ من الجزء الثاني من إرشاد الساري.

عمر(رض) قال اشتكى سعد بن عبادة شكوى له فأتاه النبي صلى الله عليه وآله يعوده مع عبد الرحمن ابن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود(رض) فلما دخل عليه فوجده في غاشية من أهله فقال قد قضى فقالوا لا يا رسول الله فبكى النبي صلى الله عليه وآله فلما رأى القوم بكاء النبي صلى الله عليه وآله بكوا فقال ألا تسمعون أن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه أو يرحم.

وأخرجه مسلم في صحيحه(*) عن عبد الله بن عمر مثله إلا أنه قال في غشية وقال أقد قضى.

وزاد البخاري وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه ولم يذكر مسلم تلك الزيادة.

وقد أورد البخاري ومسلم في صحيحهما إخباراً أُخر عن عمر وابنه عبد الله فيها أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه أو ببعض بكاء أهله عليه أو أن الميت ليعذب ببكاء الحي أو ببكاء الحي عليه أو من ينح عليه يعذب بما نيح عليه أو الميت يعذب في قبره بما نيح عليه أو من يُبك عليه يعذب أو المعوّل عليه يعذب.

وأخرج ابن ماجة من حديث عمر الميت يعذب بما نيح عليه، والنسائي من حديث ابن عمر عن أبيه الميت يعذب ببكاء أهله عليه أو يعذب في قبره بالنياحة عليه، والنسائي أيضاً من حديث عمران بن حصين الميت يعذب ببكاء الحي أو بنياحة أهله عليه، ومسلم في كتاب الجنائز أول من نيح عليه بالكوفة قرظة بن كعب فروى

(*) صفحة ٢٥٧ من الجزء الرابع بهامش إرشاد الساري من كتاب الجنائز.

المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ من ينح عليه فإنه يعذب بما نيح عليه يوم القيامة.

(أقول) وهذه الأحاديث كلها مخالفة لحكم العقل والنقل المقرر له لأن أخذ الميت بذنب الحي ظلم كما دل عليه قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وقوله وإن تدع مثقلة إلى حملها (الآية) فهي إما مكذوبة أو وقع فيها اشتباه من الراوي كما يأتي عن عائشة أو مؤولة كما يأتي عن البخاري والقسطلاني وما حكاه النووي من تأويل العلماء لها.

وقد أنكرت عائشة هذه الأخبار ونسبت راويها إلى الاشتباه أو النسيان وأنكرها ابن عباس أيضاً كما ستعرف في الأمر الحادي والعشرين في خبر وفاة أم أبان بنت عثمان من إنكار ابن عباس ذلك على ابن عمر وإنكار عائشة أن يكون رسول الله ﷺ قال ذلك وقولها أنه إنما قال أن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه واحتجاجها بآية ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وقول ابن عباس عند ذلك والله هو أضحك وأبكى وسكوت ابن عمر وعدم رده عليه شيئاً.

وأخرج النسائي ومسلم ومالك في الموطأ أن عائشة لما بلغها رواية ابن عمر أن الميت ليعذب ببكاء أهله ونحوه قالت مر النبي ﷺ على قبر فقال أن صاحب القبر ليعذب وأن أهله يبكون عليه وقرأت ﴿وَلَا تَزِرُ . . .﴾ (الآية) أو قالت أنه لم يكذب ولكن نسي أو أخطأ إنما مر رسول الله ﷺ على يهودية يبكي عليها فقال إنهم ليبكون عليها وغنها لتعذب في قبرها أو قالت إنه سمع شيئاً فلم يحفظ إنما مرت على رسول الله ﷺ جنازة يهودي وهم يبكون عليه

فقال أنتم تبكون عليه وإنه ليعذب أو قالت وهل إنما قال ﷺ إنه ليعذب بخطيئته وبذنبه وإن أهله ليبكون عليه الآن أو قالت لما ذكر لها حديث من يبكي عليه يعذب إنما كان أولئك اليهود أو لما بلغها قول عمر وابنه قالت إنكم لتحدثون عن غير كاذبين ولا مكذبين ولكن السمع يخطئ.

(وحمل) البخاري في صحيحه هذه الأخبار على ما إذا كان النوح من سنته (أي فاقتدى به غيره) قال فإذا لم يكن من سنته فهو كما قالت عائشة ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ الآية وهو كقوله وأن تدع مثقلة ذنوباً[1] إلى حملها لا يحمل منه شيء. انتهى. (وقال القسطلاني) في الشرح إنما يعذب الميت ببكاء الحي إذا يضمن ما لا يجوز وكان الحي سبباً فيه. انتهى. (وقال النووي) في شرح صحيح مسلم هذه الروايات من رواية عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وأنكرت عائشة عليهما ونسبتهما إلى النسيان والاشتباه وأنكرت أن يكون النبي ﷺ قال ذلك واحتجت بقوله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ الآية ثم حكى تأويل العلماء لها بما إذا كان السبب بأن أوصى بذلك أو فرط في إهمال الوصية بتركها أو بأنهم كانوا ينوحون على الميت بما هو معصية كقولهم يا مرمل النسوان ومؤتم الولدان أو بأنه يعذب بسماع بكاء أهله ويرق لهم وروى حديثاً يفيد ذلك أو أن الكافر يعذب بذنبه حال بكاء أهله عليه كما قالت عائشة. انتهى.

ومما يدل على أن عائشة كانت تخالف عمر في ذلك مضافاً إلى

(١) كلمة ذنوباً ليست من الآية بل زادها البخاري مراعاة للمعنى. (المؤلف).

ما مر ما رواه الطبري في تاريخه في حوادث سنة ١٣[١] بسنده إلى سعيد بن المسيب قال لما توفي أبو بكر أقامت عليه عائشة النوّح فأقبل عمر بن الخطاب حتى وقف ببابها فنهاهن عن البكاء على أبي بكر فأبين أن ينتهين فقال عمر لهشام ابن الوليد ادخل فأخرج إلي ابنة أبي قحافة أخت أبي بكر فقالت عائشة لهشام حين سمعت ذلك من عمر إني أحرج عليك بيتي فقال عمر لهشام ادخل فقد أذنت لك فدخل هشام فأخرج أم فروة أخت أبي بكر إلى عمر فملاها بالدِّرة فضربها ضربات فتفرق النوح حين سمعوا ذلك. انتهى.

هذا مع أن عمر قد استحسن بكاء النساء على خالد بن الوليد بدون نقع ولا لقلقة.

ففي صحيح البخاري[٢] في باب ما يكره من النياحة على الميت وقال عمر دعهن يبكين على أبي سليمان ما لم يكن نقع ولا لقلقة والنقع التراب على الرأس واللقلقة الصوت. انتهى. قال القسطلاني بعد قوله وقال عمر: لما مات خالد بن الوليد واجتمع نساء بني المغيرة يبكين عليه فقيل لعمر أرسل إليهن فانههن. انتهى.

وفي الاستيعاب في ترجمة خالد بسنده عن أبي وائل قال بلغ عمر ابن الخطاب أن نسوة من نساء النبي المغيرة اجتمعن في دار يبكين على خالد ابن الوليد فقال عمر وما عليهن أن يبكين أبا سليمان ما لم يكن نقعاً ولقلقة وذكر محمد بن سلام قال لم تبق امرأة من بني المغيرة إلا وضعت لمتها على قبر خالد بن الوليد (يقول) حلقت

(١) صفحة ٤٩ من الجزء الرابع.
(٢) صفحة ٣٨٨ من الجزء الثاني من إرشاد الساري.

رأسها. (انتهى الاستيعاب). مع أن الحلق محرم قطعاً. روى البخاري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم برئ من الحالقة وكذا النسائي في سننه وغيرهما.

وقال ابن حجر العسقلاني في الإصابة في ترجمة خالد بن الوليد فلما توفي خرج عمر إلى جنازته فقال ما على نساء آل الوليد أن يسفحن على خالد دموعهن ما لم يكن نقعاً أو لقلقة. انتهى. وفي النهاية الأثيرية في شرح الحديث النقع رفع الصوت وقيل شق الجيوب وقيل وضع التراب على الرؤوس وهو أولى لأنه قرن باللقلقة وهي الصوت فحمل اللفظين على معنيين أولى من حملهما على معنى واحد (وفيها) أيضاً اللقلق اللسان ومنه حديث عمر ما لم يكن نقع ولا لقلقة أراد الصياح والجلبة عند الموت وكأنها حكاية الأصوات الكثيرة. انتهى.

وفي أوائل الجزء الثاني من العقد الفريد لما توفي خالد بن الوليد أيام عمر بن الخطاب وكان بينهما هجرة فامتنع النساء من البكاء عليه فلما انتهى ذلك إلى عمر قال وما على نساء بني المغيرة أن يرقن من دموعهن على أبي سليمان ما لم يكن لغو ولا لقلقة. انتهى.

ويشير إلى ذلك ما في الإصابة في ترجمة خالد أن عمر سمع راجزاً يذكر خالداً فقال رحم الله خالداً فقال له طليحة[1] ابن عبد الله:

لا أعرفنك بعد الموت تندبني وفي حياتيَ ما زودتني زادي

(انتهى). (وبكى) عمر وحزن على أخيه زيد ورثاه كما سيأتي في الأمر السابع والعشرين في بكاء الصحابة على الحسين وغيره.

(١) كذا في النسخة ولعله خطأ والصواب طلحة وهو الصحابي المشهور. (المؤلف).

الحادي والعشرون: ما أخرجه مسلم في صحيحه[١] عن عبد الله ابن أبي مليكة وذكر حضور ابن عباس وابن عمر وعمرو بن عثمان جنازة أم أبان بنت عثمان إلى أن قال فإذا صوت من الدار فقال ابن عمر كأنه يعرّض على عمرو أن يقوم فينهاهم سمعت رسول الله ﷺ يقول أن الميت ليعذب ببكاء أهله فروى له ابن عباس دخول صهيب على عمر لما أصيب وقوله واأخاه واصاحباه ونهي عمر له عن ذلك محتجاً بحديث تعذيب الميت ببعض بكاء أهله إلى أن قال ابن عباس فدخلت على عائشة فحدثتها بما قال ابن عمر فقالت لا والله ما قال رسول الله ﷺ قط أن الميت يعذب ببكاء أحد ولكنه قال أن الكافر يزيده الله ببكاء أهله عذاباً وأن الله لهو أضحك وأبكى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

وأخرج البخاري في باب قول النبي ﷺ يعذب الميت ببكاء أهله[٢] عليه ومسلم في كتاب الجنائز[٣] عن ابن أبي مليكة أنها توفيت ابنة لعثمان وحضرها ابن عمر وابن عباس فقال ابن عمر لعمرو بن عثمان ألا تنهي عن البكاء وذكر له حديث تعذيب الميت ببكاء أهله عليه فقال ابن عباس قد كان عمر يقول بعض ذلك ثم روى ابن عباس أنه لما أصيب عمر دخل صهيب يبكي يقول واأخاه واصاحباه فقال عمر أتبكي علي وذكر حديث تعذيب الميت ببعض بكاء أهله عليه قال ابن عباس فلما مات عمر ذكرت ذلك لعائشة فقالت يرحم الله عمر

(١) صفحة ٢٦٣ من الجزء الرابع بهامش إرشاد الساري.
(٢) صفحة ٣٨٦ من الجزء الثاني من إرشاد الساري.
(٣) صفحة ٢٦٥ من الجزء الرابع بهامش إرشاد الساري.

فوالله ما حدث رسول الله ﷺ أن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه لكن رسول الله ﷺ قال أن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه وقالت حسبكم القرآن ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ قال ابن عباس عند ذلك والله هو أضحك وأبكى قال ابن أبي مليكة والله ما قال ابن عمر شيئاً.

وأخرج النسائي عن ابن أبي مليكة نحوه إلا أنه قال فبكين النساء فقال ابن عمر ألا تنهي هؤلاء عن البكاء.

وحديث مسلم صريح في البكاء مع الصوت لقوله فإذا صوت من الدار. ورواية البخاري والنسائي وغيرهما ظاهرة في ذلك كالصريحة إذ لولا الصوت لم يعلم ابن عمر حصول البكاء وكذا قول الراوي فبكين النساء فإن الرجال الذين يحضرون الجنازة لا يجلسون عادة مع النساء فلو كان البكاء بدون صوت لم يعلم به ابن عمر ويؤيده التصريح بالصوت في رواية مسلم فيدل ذلك على جواز البكاء ولو مع الصوت عند عائشة وابن عباس بل ظاهر ذلك أنه ولو مع سماع الأجنبي فيؤول وسكوت ابن عمر لما ذكر له ابن عباس ذلك ظاهر في رجوعه إلى رأيهما وكل ذلك مؤيد للمطلوب وهما صحابيان قد رويا حديث رسول الله ﷺ فأكثرا ولا سيما عند الخصم الذي صح عنده خذوا ثلث دينكم عن عائشة[1] مؤيداً ذلك أيضاً بما يأتي

(١) عائشة بنت أبي بكر (عبد اللات، عبد الكعبة، عبد ربه، قحيف، عتيق) عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب بن أسد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القريشية. أمها أم رومان بنت الحرث من بني فراس بن غنم بن كنانة تزوجها رسول الله ﷺ عند عودته منتصراً من معركة بدر الكبرى ولها من العمر تسع سنوات توفيت سنة ٥٧هـ وقيل ٥٨هـ روت الكثير من الأحاديث النبوية في صحاح العامة. (المحقق).

من خبر أم عطية الذي هو دليل بنفسه وعاضد لغيره فالصواب ما قالته عائشة وابن عباس من جواز النوح والبكاء ولو مع الصوت ما لم يشتمل على محرم آخر من قول أو فعل ما يحرم قوله أو فعله كقول ما يقتضي الاعتراض على الله تعالى أو السخط لقضائه أو خمش الوجوه أو جز الشعور رأو غير ذلك أو سماع الأجنبي أصوات النساء حيث يكون محرماً بأن تكون متميزة أو غير ذلك لأن الأصل في كل شيء الإباحة حتى يثبت تحريمه لا سيما إذا اشتمل على فوائد مع دلالة خبر أم عطية الآتي وغيره عليه.

ومن هنا يظهر الوهن فيما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة أنه لما جاء رسول الله ﷺ قتل زيد وجعفر وابن أبي رواحة جلس يعرف فيه الحزن وأن رجلاً ذكر له بكاء نساء جعفر فأمره أن ينهاهن فذكر أنهن لم يطعنه فأمره الثانية فقال والله لقد غلبتنا أو غلبتني قال فزعمت (أي عائشة) أنه قال اذهب فأحث في أفواههن التراب. فإن هذا ينافي ما دلت عليه الأخبار السالفة من تخطئة عائشة لابن عمر في منعه عن البكاء على ابنة عثمان مع الصوت ولتقريره للزهراء على بكائها على عمها جعفر بقولها واعماه واستحسانه لذلك بقوله عند ما فعلته على مثل جعفر فلتبك البواكي كما مر في الأمر الحادي عشر وما يدل عليه خبر أم عطية الآتي ومن البعيد جدا بل الممتنع عادة أن يرسل النبي ﷺ إلى نساء جعفر مرتين ينهاهن عن البكاء ولا ينتهين حتى يحتاج إلى نهيهن مرة ثالثة مؤكداً بقوله أحث في أفواههن التراب وأبعد منه أن يبعث إلى نساء جعفر من يحثو في أفواههن التراب ويتفوه بهذا الكلام ومنزلة جعفر عنده وفي الإسلام معلومة وهو الذي

أُمر أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وبعث ليتمم مكارم الأخلاق وقال الله تعالى في حقه وإنك لعلى خلق عظيم وهو الذي دخل على زوجة جعفر وعزاها وجعل يمسح على رؤوس أولادها وأمر أن يحمل الطعام إليهم لأنهم مشغولون بالعزاء فكيف يبعث إليها من يحثو في فيها التراب ولو فرض صحة ما نقل من أنها عصت أمره مرتين (وحاشاها من ذلك) لجاء إليها ونهاها برقة ولطف وخوفها من الله تعالى أو أرسل إليها بعض كبار أصحابه ولم يرسل هذا الرجل الذي قالت في حقه عائشة كما في ذيل الخبر أرغم الله أنفك والله ما تفعل ما أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله وما تركت رسول الله صلى الله عليه وآله من العناء وإذا كانت عائشة سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله فما بالها أقامت النوّح على أبيها حتى نهاها عمر فلم تنته فالتجأ إلى الشدة والقسوة بإدخال هشام إلى بيتها قهراً عنها وإخراجه أم فروة أخت أبي بكر وضربها كما مر في رواية الطبري في الأمر الثامن عشر.

وحكى النووي في شرح صحيح مسلم عن بعضهم أنه قال يبعد أن الصحابيات يتمادين بعد تكرار نهيهن على محرم. انتهى. (أقول) سيما بناء على عدالة جميع الصحابة ذكوراً وإناثاً (أما) تأويل القسطلاني لعدم إطاعتهن بكونه لم يصرح لهن بأن النبي صلى الله عليه وآله نهاهن فظاهر البعد.

الثاني والعشرون: ما أخرجه مسلم في صحيحه[1] عن أم عطية

---

(١) صفحة ٢٧١ من الجزء الرابع بهامش إرشاد الساري في كتاب الجنائز.

قالت لما نزلت هذه الآية ﴿يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا . . . وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾[1] قالت كان منه النياحة قالت فقلت يا رسول الله إلا آل فلان فإنهم كانوا أسعدوني في الجاهلية فلا بد لي من أسعدهم فقال رسول الله ﷺ إلا آل فلان. انتهى.

(أقول) فلو كان محرماً لم يرخص فيه النبي ﷺ فيدل على أن هذه المناهي واردة للكراهة التنزيهية لا للتحريم وترتفع الكراهة في بعض المقامات بمعارضة ما هو أهم منها كما إذا كان الميت من أهل المكانة عند الله وكان في النياحة رفع لشأنه لوم تستلزم محرماً آخر ويرشد إلى ذلك قصة حمزة واستمرار البكاء عليه من أهل المدينة قبل البكاء على موتاهم ولم يكن بكاؤهم مجرد خروج الدمع لن ذلك ليس باختيارهم جعله على شخص دون آخر بل بالنوح وتعداد المآثر وذكر اسمه كما هو المتعارف.

وحكى النووي في شرح صحيح مسلم[2] عن بعض المالكية أنه قال النياحة ليست بحرام بهذا الحديث (يعني حديث أم عطية) وقصة نساء جعفر قال وإنما المحرم ما كان معه شيء من أفعال الجاهلية كشق الجيوب وخمش الخدود ودعوى الجاهلية ويظهر من النووي أن القاضي عياض مال إلى ذلك.

أما قول النووي هذا محمول على الترخيص لأم عطية في آل فلان خاصة لا لغيرها ولا لها في غيرهم وإن للشارع أن يخص من العموم ما شاء ففيه أنه مصادمة لقوله تعالى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ

(١) سورة الممتحنة، الآية ١٢ (المحقق).
(٢) في الجزء الرابع بهامش إرشاد الساري في كتاب الجنائز.

هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[١] ولما عُلم بضرورة الدين من أن أحكام الله تعالى في الناس سواء وإن حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة ولولا ذلك لاحتمل في كل حكم أن يكون خاصاً بمن خوطب به أو سأل عنه ولبطل ما اتفقوا عليه من أن قول النبي صلى الله عليه وآله وفعله وتقريره حجة.

الثالث والعشرون: ما في السيرة الحلبية[٢] أنه صلى الله عليه وآله نهى نساء الأنصار عن النوح وقال له الأنصار يا رسول الله بلغنا أنك نهيت عن النوح وإنما هو شيء نندب به موتانا ونجد فيه بعض الراحة فأذن لنا فيه قال صلى الله عليه وآله إن فعلن فلا يخمشن ولا يلطمن ولا يحلقن شعراً ولا يشققن جيباً. انتهى. فدل على أن نهيه كان على وجه الكراهة وإلا لم يرخص فيدل أيضاً على أن سائر المناهي للكراهة.

الرابع والعشرون: من أدل جواز البكاء على الحسين عليه السلام نهي النبي صلى الله عليه وآله عن منع النساء عن البكاء.

أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده[٣] عن ابن عباس حديثاً ذكر فيه موت رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن قال وبكت النساء فجعل عمر يضربهن بسوطه فقال النبي صلى الله عليه وآله لعمر دعهن يبكين (إلى أن قال) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله مهما يكون من القلب والعين فمن الله والرحمة إلى أن قال وقعد رسول الله صلى الله عليه وآله على شفير القبر وفاطمة إلى جنبه تبكي فجعل النبي صلى الله عليه وآله يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها.

(١) سورة النجم، الآيتان ٢ ـ ٣ (المحقق).
(٢) الجزء الثاني وقعة أحد قبل آخرها بورقة.
(٣) صفحة ٣٣٥ الجزء الأول.

وأخرج الإمام أحمد أيضاً في مسنده[١] حديثاً عن أبي هريرة جاء فيه أنه مر على رسول الله ﷺ جنازة معها بواك فنهرهن عمر فقال له رسول الله ﷺ دعهن فإن النفس مصابة والعين دامعة والعهد . حديث.

وفي أوائل الجزء الثاني من العقد الفريد مر النبي ﷺ بنسوة من الأنصار يبكين ميتاً فزجرهن عمر فقال له النبي ﷺ دعهن يا عمر فإن النفس مصابة والعين دامعة والعهد قريب.

وأخرج ابن ماجة في سننه[٢] في باب ما جاء في البكاء على الميت عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان في جنازة فرأى عمر امرأة فصاح بها فقال النبي ﷺ دعها يا عمر فإن العين دامعة والنفس مصابة والعهد قريب. قال السندي في الحاشية امرأة باكية وقال قال في الفتح رجاله ثقات. انتهى.

وأخرج النسائي في سننه[٣] عن أبي هريرة عن أبي هريرة قال مات ميت من آل رسول الله ﷺ فاجتمع النساء يبكين عليه فقام عمر ينهاهن ويطردهن فقال رسول الله ﷺ دعهن يا عمر فإن العين دامعة والقلب مصاب والعهد قريب.

(قوله) والعهد حديث أو قريب لا يدل على عدم الجواز مع بعد العهد فإنه بمنزلة التعليل لصعوبة الصبر مع قرب العهد أي لو كان العهد بعيداً لهان عليهن ترك البكاء وإن كان جائزاً أيضاً فلا يدل على

---

(١) صفحة ٣٣٣ الجزء الثاني.
(٢) صفحة ٢٤٧ الجزء الأول.
(٣) صفحة ٢٦٣ الجزء الأول.

اختصاص الجواز بقرب العهد مع أن مثل مصيبة الحسين عليه السلام وما اشتملت عليه من الفظاعة التي لم يسبق لها مثيل كلما بعد عهدها فهو قريب كما قال القائل:

وفجائع الأيام تبقى مدة وتزول وهي إلى القيامة باقية

الخامس والعشرون: عدم نهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن البكاء بحضرته الدال على عدم تحريمه لأن قوله وفعله وتقريره صلى الله عليه وآله وسلم حجة.

روى النسائي في سننه(١) بسنده عن جابر أن أباه قتل يوم أُحد قال فجعلت اكشف عن وجهه وأبكي والناس ينهونني ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينهاني وجعلت عمي تبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تبكيه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه.

دل عدم نهيه لجابر عن البكاء على جوازه وأما قوله لعمته ولا تبكيه فهو تسلية وتعزية لها ولم يقصد به النهي فلا يدل على التحريم بدليل قوله ما زالت الملائكة.. الخ. الذي هو بمنزلة التعليل أي أن من كان بهذه المنزلة بحيث تظله الملائكة لا ينبغي أن يبكي عليه بل يفرح له وبدليل عدم نهيه لولده.

وفي منتخب كنز العمال(٢) بسنده عن أم إسحاق أنها هاجرت مع أخيها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة وإنه نسي نفقته فرجع فقتله زوجها فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يتوضأ قالت قلت يا رسول الله قتل إسحاق وأنا أبكي وهو ينظر إلي فإذا نظرت إليه نكس في الوضوء فأخذ كفاً من ماء فنضحه في وجهي. الحديث.

---

(١) صفحة ٢٦١ الجزء الأول.

(٢) صفحة ٢٨١ بهامش الجزء الخامس من مسند أحمد.

السادس والعشرون: نهي النبي ﷺ عن منع النساء عن البكاء والصياح قرب الموت.

أخرج النسائي في سننه[١] عن جابر بن عتيك أن النبي ﷺ جاء يعود عبد الله بن ثابت فوجده قد غُلب فصاح به فلم يجبه فاسترجع رسول الله ﷺ وقال قد غلبنا عليك أبا ربيع فصحن النساء وبكين فجعل ابن عتيك يسكتهن فقال رسول الله ﷺ دعهن فإذا وجب فلا تبكين باكية قالوا وما الوجوب يا رسول الله قال الموت (الحديث) وأخرجه الإمام مالك في الموطأ أيضاً[٢].

والترخيص في البكاء والصياح قبل الموت دون ما بعده الظاهر أنه لشدة المصيبة قبل الموت المحقق كما في المقام فيكون ترك البكاء والصياح شاقاً بخلاف ما بعد الموت حيث يكون قد مضى زمان على المصيبة وبرد حرها بالبكاء قبلها فيكون ترك البكاء أسهل ويستفاد من ذلك أن النهي نهي كراهة لا تحريم ولذلك لم يفرق أحد في التحريم بين قرب الموت وما بعده.

السابع والعشرون: بكاء الصحابة والتابعين لقتل الحسين عليه السلام وغيره ولم ينكر عليهم أحد سوى ابن مرجانة (فمن الصحابة) إمامهم وسيدهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد بكى لقتل ولده الحسين قبل وقوعه ورثاه وتألم لذلك في مواضع عديدة (منها) ما تقدم في الأمر السابع عن مسند أحمد بن حنبل وصواعق ابن حجر وغيرهما من أنه عند مروره بكربلاء في مسيره إلى صفين بكى حتى

---

(١) صفحة ٢٦١ من الجزء الأول.

(٢) صفحة ١٠٧ من الجزء الأول المطبوع بهامش مصابيح البغوي.

بلَّ الأرض من دموعه (ومنها) ما في تذكرة الخواص[١] لسبط ابن الجوزي الحنفي حيث قال (ما لفظه) وقد روى الحسن بن كثير وعبد خير قالا لما وصل علي عليه السلام إلى كربلاء وقف وبكى وقال بأبي اغيلمة يقتلون ها هنا هذا مناخ ركابهم هذا موضع رحالهم هذا مصرع الرجل ثم ازداد بكاؤه. انتهى. (ومنها) ما رواه الصدوق عليه الرحمة في الأمالي بسنده عن ابن عباس قال كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خروجه إلى صفين فلما نزل بنينوى وهي بشط الفرات قال بأعلى صوته يا ابن عباس أتعرف هذا الموضع قلت لا ما أعرفه يا أمير المؤمنين فقال لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي قال فبكى طويلاً حتى اخضلت لحيته وسالت الدموع على صدره وبكينا معه وهو يقول آه آه مالي ولآل أبي سفيان مالي ولآل حزب الشيطان وأولياء الكفر صبراً صبراً يا أبا عبد الله فلقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم (الحديث) وروى ذلك غير الصدوق أيضاً ممن يطول الكلام بذكرهم.

وروى نصر بن مزاحم المنقري في كتاب صفين بسنده أن علياً عليه السلام لما وصل كربلاء في سفره إلى صفين جعل يشير بيده ويقول ها هنا ها هنا فسئل عن ذلك ثَقَل لآل محمد ينزل ها هنا فويل لهم منكم وويل لكم منهم فسئل عن معنى ذلك فقال ويل لهم منكم تقتلونهم وويل لكم منهم يدخلكم الله بقتلهم إلى النار.

وروى فيه أيضاً بسنده أن علياً عليه السلام أتى كربلاء فوقف بها فقيل

---

(١) صفحة ١٤٢.

يا أمير المؤمنين هذه كربلاء فقال ذات كرب وبلاء ثم أومأ بيده إلى مكان فقال ها هنا موضع رحالهم ومناخ ركابهم وأومأ بيده إلى موضع آخر فقال ها هنا مهراق دمائهم. (انتهى كتاب صفين).

وفي منتخب كنز العمال الآنف الذكر[١] عند ذكر الأحاديث الواردة في مقتل الحسين عليه السلام ما لفظه.

١ ـ عن شيبان بن محرم قال إني لمع علي إذا أتى كربلاء فقال يُقتل في هذا الموضع شهداء ليس مثلهم شهداء إلا شهداء بدر.

(أخرجه الطبراني في الكبير)

٢ ـ عن أبي هرثمة قال كنت مع علي بكربلاء فقال يحشر من هذا الظهر سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب.

(أخرجه ابن أبي شيبة)

٣ ـ عن علي قال ليقتلن الحسين قتلاً وإني لأعرف تربة الأرض التي بها يقتل قريباً من النهرين.

(أخرجه ابن أبي شيبة)

انتهى منتخب كنز العمال (أقول) هذه الأحاديث الأخيرة وإن لم يكن فيها تصريح بالبكاء لكنها تعضد ما تقدم وفيها سيما قوله ليس مثلهم إلا شهداء بدر وقوله يحشر من هذا الظهر سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب دلالة على عظيم فضل أولئك الشهداء وأنه ليس أحد أحق بالبكاء عليه ونشر فضائله منهم والأخير منها مؤيد لما مر من الأخبار الدالة على أن النبي صلى الله عليه وآله كان أخبر علياً عليه السلام بقتل الحسين وعرفه موضع قتله وأراه تربته.

---

(١) صفحة ١١٢ من الجزء الخامس بهامش مسند أحمد بن حنبل.

وبكاء علي على ولده الحسين عليه السلام حجة كفى بها من حجة لمن قلده واتبعه في ذلك فهو باب مدينة علم المصطفى وشريك القرآن وشبيه سفينة نوح وباب حطة والذي يدور الحق معه حيثما دار.

وإذا عذر مقلد الأئمة أو محمد بن الحسن الشيباني أو أبي يوسف فمقلده أعذر وأعذر.

ومن الصحابة الذي بكوا على الحسين عليه السلام «أم سلمة» أم المؤمنين رضوان الله عليها.

ففي تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي الحنفي (ما لفظه) ذكر ابن سعد عن أم سلمة أنها لما بلغها قتل الحسين عليه السلام قالت أو قد فعلوها ملأ الله قبورهم ناراً ثم بكت حتى غشي عليها. انتهى.

وفي الصواعق المحرقة لابن حجر(١) أخرج ابن سعد عنها (يعني أم سلمة) أنها بكت علي حتى غشي عليها. انتهى.

ومن الصحابة الذين بكوا على الحسين عليه السلام «أنس بن مالك».

ففي الصواعق المحرقة لابن حجر(٢) ولما حمل رأسه (يعني الحسين عليه السلام) لابن زياد جعله في طست وجعل يضرب ثناياه بقضيب ويقول به في أنفه ويقول ما رأيت مثل هذا حسناً إن كان لحسن الثغر وكان عنده أنس فبكى وقال كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله ورواه الترمذي وغيره. (انتهت الصواعق).

---

(١) في الفصل الثالث من الباب ١١ صفحة ١٢٠ طبع عام ١٣٠٧.

(٢) في الفصل الثالث من الباب ١١.

وفي تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي الحنفي (ما لفظه) وفي أفراد البخاري عن ابن سيرين قال لما وضع رأس الحسين بين يدي ابن زياد جعل في طست وجعل يضرب ثناياه بالقضيب وقال في حسنه شيئاً وكان عنده أنس بن مالك فبكى وقال كان أشبههم برسول الله ﷺ. (انتهت التذكرة).

وفي صحيح البخاري وشرحه إرشاد الساري للقسطلاني[١] بإسناده (عن محمد) هو ابن سيرين (عن أنس بن مالك) أنه قال (أتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن علي فجُعل) الرأس الشريف (في طست فجعل) ابن زياد (ينكت) يضرب بقضيب له في أنفه وعينه (وقال في حسنه شيئاً فقال أنس كان أشبههم برسول الله ﷺ) انتهى البخاري وشرحه وليس في هذه الرواية أن أنساً بكى كما نقله سبط ابن الجوزي فلعله سقط من الناسخ ثم قال القسطلاني ولما قتل الحسين بكى الناس فأكثروا. انتهى.

(أقول) ومنه يعلم أن البكاء على الحسين عليه السلام سنة جميع المسلمين من ذلك العهد إلى اليوم إلا شاذ ممن أعماه الهوى والغرض.

ومن الصحابة الذين بكوا على الحسين عليه السلام «زيد بن أرقم».

وفي الصواعق لابن حجر[٢] وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي الحنفي عند ذكر وضع رأس الحسين عليه السلام بين يدي ابن زياد وضربه

---

(١) الجزء السادس صفحة ١٢٨.
(٢) في الفصل الثالث من الباب ١١.

لثناياه بالقضيب (ما لفظه) روى ابن أبي الدنيا أنه كان عند ابن زياد زيد بن أرقم فقال له ارفع قضيبك فوالله لطالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبل ما بين هاتين الشفتين ثم جعل زيد يبكي فقال له ابن زياد أبكى الله عينيك لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك فنهض وهو يقول أيها الناس أنتم العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمَّر ابن مرجانة والله ليقتلن خياركم وليستعبدن شراركم فبعداً لمن رضي بالذل والعار ثم قال يا ابن زياد لأحدثنك بما هو أغيظ عليه (حديثاً أغلظ عليك خ ل) من هذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقعد حسناً على فخذه اليمنى وحسيناً على فخذه اليسرى ثم وضع يده على يافوخيهما ثم قال اللهم إني أستودعك إياهما وصالح المؤمنين فكيف كانت وديعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندك يا ابن زياد. (انتهت الصواعق وتذكرة الخواص).

ثم قال في تذكرة الخواص وقيل أن هذه الوقعة جرت ليزيد بن معاوية مع زيد بن أرقم. انتهى.

وفي تاريخ الطبري بسنده عن حميد بن مسلم أنه دخل على عبيد الله ابن زياد فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه وإذا هو ينكت بقضيب بين ثنيتيه ساعة فلما رآه زيد بن أرقم لا يُنجِم عن نكته بالقضيب قال له اعل بهذا القضيب عن هاتين الشفتين فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على هاتين الشفتين يقبلهما ثم انفضخ الشيخ يبكي فقال له ابن زياد أبكى الله عينيك فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك فنهض فخرج وهو يقول ملك عبد عُبُدا[1] فاتخذهم تُلد[2] أنتم يا معشر العرب العبيد

(١) بضمتين جمع عبد كسقف وسقف. (المؤلف).
(٢) التلد بالضم فالسكون ما ولد عندك من مالك. (المؤلف).

بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم فرضيتم بالذل فبعداً لمن رضي بالذل. انتهى.

وأورده ابن الأثير في تاريخه باختصار يسير.

وفي إرشاد الساري شرح صحيح البخاري للقسطلاني(١) بعدما ذكر وضع رأس الحسين عليه السلام بين يدي ابن زياد في طست وضربه بالقضيب في أنفه وعينه قال فقال له زيد بن أرقم ارفع قضيبك فقد رأيت فم رسول الله صلى الله عليه وآله في موضعه (قال) وعند الطبراني أنه كان يقرع ثنايا الحسين بقضيبه فقال له زيد بن أرقم ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وآله على هاتين الشفتين يقبلهما ثم بكى فقال ابن زياد أبكى الله عينك فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك فقام وصرخ وقال يا معشر العرب أنتم بعد اليوم عبيد قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة وهي أم زياد فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم فبعداً لمن رضي بالذل والعار. (انتهى إرشاد الساري).

وقال أبو حنيفة الدينوري في الأخبار الطوال قالوا لما أدخل رأس الحسين عليه السلام على ابن زياد فوضع بين يديه جعل ابن زياد ينكت بالخيزرانة ثنايا الحسين وعنده زيد بن أرقم صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له مه ارفع قضيبك عن هذه الثنايا فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يلثمها ثم خنقته العبرة فبكى فقال له ابن زياد مِمّ تبكي أبكى الله عينيك والله لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك. انتهى.

---

(١) صفحة ١٢٩ الجزء السادس.

وفي منتخب كنز العمال[١] للشيخ علي الهندي من علماء أهل السنة أنه أخرج الخطيب في تاريخ بغداد عن زيد بن أرقم قال كنت جالساً عند عبيد الله بن زياد إذ أُتي برأس الحسين فوضع بين يديه فأخذ قضيبه فوضعه بين شفتيه فقلت له إنك لتضع قضيبك في موضع طالما لثمه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال قم إنك شيخ قد ذهب عقلك. انتهى. (أقول) وهذه الرواية ليس فيها أنه بكى لكنها عاضدة للرواية السابقة ودالة على إنها مشهورة.

(ومن الصحابة) الذين بكوا على غير الحسين عليه السلام عمر بن الخطاب فقد بكى وحزن على أخيه زيد ورثاه. ففي الاستيعاب والإصابة في ترجمة زيد بن الخطاب أنه لما قتل باليمامة حزن عليه عمر حزناً شديداً وأخرج في الاستيعاب بسنده عن سفيان بن عيينة فوجد عليه عمر وجداً شديداً. وبسنده عن ابن جابر قال قال لي عمر بن الخطاب ما هبت الصبا إلا وأنا أجد منها ريح زيد في أوائل الجزء الأول من العقد الفريد قال عمر ابن الخطاب ما هبت الصبا إلا وجدت نسيم زيد ولما استشهد زيد بن الخطاب باليمامة وكان صحبه رجل من بني عدي بن كعب فلما رآه عمر دمعت عيناه وقال: «وخلفت زيداً ثاوياً وأتيتني». انتهى.

وقد بكى عمر أيضاً على النعمان بن مقرن حين قتل في فتح نهاوند واضعاً يده على رأسه علامة على شدة الحزن وعظيم المصاب (ففي الاستيعاب) في ترجمة النعمان ولما جاء نعيه عمر بن الخطاب خرج فنعاه إلى الناس على المنبر ووضع يده على رأسه يبكي.

---

(١) صفحة ١١٢ بهامش الجزء الخامس من مسند أحمد بن حنبل.

وبكى عبد الله بن عمر لقتل حجر بن عدي لما قتله معاوية بمرج عذرا ففي الاستيعاب في ترجمة حجر بن عدي بن الأدبر الكندي بسنده عن نافع قال كان ابن عمر في السوق فنعي إليه حجر فأطلق حبوته وقام وقد غلبه النحيب. انتهى.

(ومن التابعين) الذين بكوا على الحسين عليه السلام الحسن بن أبي الحسن البصري.

ففي تذكرة الخوص لسبط ابن الجوزي يوسف بن قِزأُغلي[١] الحنفي (ما لفظه) قال الزهري لما بلغ الحسن البصري قتل الحسين بكى حتى اختلج صدغاه ثم قال واذل أمة قتلت ابن بنت نبيها والله ليردن رأس الحسين إلى جسده ثم لينتقمن له جده وأبوه من ابن مرجانة. انتهى.

(ومن التابعين) الذين بكوا على الحسين عليه السلام الربيع بن خثيم[٢] ففي تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي الحنفي (ما لفظه) قال الزهري لما بلغ الربيع بن خثيم قتل الحسين بكى وقال لقد قتلوا فتية لو رآهم رسول الله صلى الله عليه وآله لأحبهم أطعمهم بيده وأجلسهم على فخذه قال وذكره ابن سعد أيضاً. (انتهت تذكرة الخواص).

الثامن والعشرون: من أدلة جواز البكاء على الحسين عليه السلام ورجحانه ما صح عن أئمة أهل البيت عليهم السلام من أنهم بكوا على الحسين عليه السلام في كل عصر وجيل وأمروا بالبكاء عليه والحزن لقتله

---

(١) لفظة تركية معناها ابن البنت. (المؤلف).

(٢) المعجمة المضمومة والثاء المثلثة المفتوحة وبعدها المثناة من تحت وبعدها ميم. (المؤلف).

ورثائه بالأشعار وإقامة المآتم عليه وترك السعي في الحوائج في مثل يوم قتله واتخاذه يوم حزن وبكاء وعدم اتخاذه عيداً وأقوالهم وأفعالهم حجة يجب التمسك بها (أما) ثبوت ذلك من أقوالهم وأفعالهم فسيأتي الكلام عليه (وأما) أن أقوالهم وأفعالهم حجة يجب إتباعها والتمسك بها فمن وجوه.

(الأول) أنه لو ثبت ذلك عن أبي حنيفة أو أبي يوسف أو الشافعي أو محمد بن الحسن الشيباني أو مالك أو أحمد بن حنبل وأمثالهم لما توقف الخصم في قبوله وأخذه والعمل به كما جرى في مسائل غسل الرجلين في الوضوء مع دلالة القرآن على المسح والتكفير في الصلاة والجماعة في نافلة رمضان والعول والتعصيب وغيرها من المسائل التي أفتى أئمة أهل البيت بخلافها وأئمة أهل البيت إن لم يكونوا أولى بالإتباع ممن ذكرنا فلا يقصرون عنهم لو أنصفهم الناس لأنهم أخذوا علومهم عن آبائهم عن جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وهم مفاتيح باب مدينة العلم فالمقلد لهم والآخذ بأقوالهم إن لم يكن أعذر من مقلد من ذكرنا فليس دونه.

(الوجه الثاني) لحجية أقوال أهل البيت (حديث الثقَلين) الذي رواه الفريقان من أئمة أهل السنة والشيعة.

فممن رواه من أئمة أهل السنة الإمام مسلم بن الحجاج القشيري في صحيحه[١] والإمام أحمد بن حنبل في مسنده[٢] بسندهما عن يزيد ابن حيان قال انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى

---

(١) صفحة ٣٠٣ من الجزء التاسع بهامش إرشاد الساري في باب من فضائل علي ابن أبي طالب.
(٢) صفحة ٣٦٦ من الجزء الرابع.

زيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حصين لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه (معه: أحمد) لقد لقيت (رأيت: أحمد) يا زيد خيراً كثيراً حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ قال يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوه وما لا فلا تكلفونيه ثم قال قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال أما بعد ألا أيها الناس فإنما (إنما: أحمد) أنا بشر يوشك أن يأتي (أن يأتيني: أحمد) رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال (قال: أحمد) وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته فقال نساؤه (إن نساءه: أحمد) من أهل بيته ولكن أهل بيته من حُرِم الصدقة بعده قال ومن هم قال آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قال كل (أكل: أحمد) هؤلاء حرم الصدقة قال نعم.

ورواه مسلم أيضاً بثلاثة طرق أخر عن زيد بن أرقم وزاد في أحدها بعد قوله كتاب الله فيه الهدى والنور «من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ومن أخطأه ضل» وقال في ثالثها إلا وإني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة (وفيه) فقلنا من أهل بيته نساؤه قال لا إن

المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده.

وممن روى حديث الثقلين من أئمة أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل في مسنده بعدة طرق غير ما مر من الرواية التي نقلناها عنه وعن مسلم وها نحن نوردها فنقول:

أخرج أحمد بن حنبل في مسنده(١) عن علي بن ربيعة قال لقيت زيد بن أرقم وهو داخل على المختار أو خارج من عنده فقلت له أسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إني تارك فيكم الثقلين فقال نعم. انتهى.

(أقول) المراد بالثقلين في هذا الحديث الكتاب والعترة لأنه إشارة إلى ما روي عنه في غيره من الأحاديث السابقة والآتية.

وأخرج أحمد بن حنبل أيضاً في مسنده(٢) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض.

وأخرج أحمد بن حنبل أيضاً في مسنده(٣) عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله قال إني أوشك أن أدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي كتاب الله حبل ممدود من

(١) صفحة ٣٧١ من الجزء الرابع.
(٢) صفحة ١٤ من الجزء الثالث.
(٣) صفحة ١٧ من الجزء الثالث.

السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظرا بمَ تخلفوني فيهما. انتهى.

قال ابن حجر في صواعقه وسنده لا بأس به.

وأخرج أحمد بن حنبل أيضاً في مسنده[(١)] عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ إني قد تركت فيكم ما إن أخذتهم به لن تضلوا بعدي الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض.

وأخرج أحمد بن حنبل أيضاً في مسنده[(٢)] عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي إلا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض.

وأخرج أحمد بن حنبل أيضاً في مسنده[(٣)] عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله ﷺ إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض أو ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض. (انتهى ما نقلنا من مسند أحمد).

وممن روى حديث الثقلين من أئمة أهل السنة الإمام الترمذي

(١) صفحة ٢٦ من الجزء الثالث.
(٢) صفحة ٥٩ من الجزء الثالث.
(٣) صفحة ١٨١ من الجزء الخامس:

فقد أخرج في صحيحه بإسنادين عن أبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم إنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وآله إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفونها فيهما.

وأخرج الترمذي أيضاً في باب مناقب أهل البيت بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصوى يخطب فسمعته يقول أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي. (انتهى المنقول عن الترمذي).

وفي لسان العرب في مادة (عتر) قال الأزهري وفي حديث زيد بن ثابت قال رسول الله صلى الله عليه وآله إني تارك فيكم الثقلين خلفي كتاب الله وعترتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض (وقال) قال محمد بن إسحاق وهذا حديث صحيح ورفعه نحوه زيد بن أرقم وأبو سعيد الخدري وفي بعضها إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فجعل العترة أهل البيت. (انتهى لسان العرب).

وممن روى حديث الثقلين من أئمة أهل السنة الثعلبي في تفسيره عند تفسير ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾ من سورة آل عمران فقد أخرج بسنده عن أبي سعيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول أيها الناس إني تركت فيكم الثقلين خليفتين إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض أو قال إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض. انتهى.

وممن روى حديث الثقلين من أئمة أهل السنة ابن المغازلي الشافعي فقد أخرجه في كتاب المناقب بعدة طرق وأخرجه صاحب الجمع بين الصحاح الستة وأخرجه الحميدي من إفراد مسلم والسمعاني في كتاب فضائل الصحابة وموفق بن أحمد المقلب بصدر الأئمة في كتاب فضائل علي وصاحب كتاب سير الصحابة والحمويني[١].

(أقول) أورد ابن حجر في صواعقه[٢] حديث الثقلين من طريق مسلم عن زيد بن أرقم ومن طريق الترمذي بلفظ الحديث الأول من حديثي الترمذي المذكورين آنفاً ومن طريق أحمد بن حنبل ثم قال وفي رواية أن ذلك كان في حجة الوداع وفي أخرى مثُله يعني كتاب الله كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومَثَلهم أي أهل بيته كمثل باب حطة من دخله غفرت له الذنوب إلى أن قال وفي رواية صحيحة إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن تبعتموهما وهما كتاب الله وعترتي أهل بيتي زاد الطبراني إني سألت ذلك لهما فلا تَقَدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم (إلى أن قال ابن حجر) ثم اعلم إن لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً قال ومر له طرق مبسوطة في حادي عشر الشُبَه وفي بعض تلك الطرق إنه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة وفي أخرى أنه قال بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه وفي أخرى إنه قال ذلك بغدير خم وفي أخرى أنه قال لما قام خطيباً بعد انصرافه من

(١) المنقول عن تفسير الثعلبي وما بعده إلى هنا منقول من غاية المرام صفحة ٢١٢.
(٢) الفصل الأول من الباب الحادي عشر صفحة ٩١ طبع عام ١٣٠٧.

الطائف كما مر ولا تنافي إذ لا مانع من إنه كرر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة. (انتهى المنقول من صواعق ابن حجر).

وقال ابن حجر أيضاً في باب وصية النبي صلى الله عليه وآله بأهل البيت من صواعقه[١] وقد جاءت الوصية الصريحة بهم في عدة أحاديث منها حديث إن تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي الثقلين أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما ثم قال ولم يصب ابن الجوزي في إيراده في العلل المتناهية قال كيف وفي صحيح مسلم وغيره في خطبته قرب رابغ مرجعه من حجة الوداع قبل وفاته بنحو شهر إني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي.. الخ. (ثم قال ابن حجر) وفي رواية صحيحة كأني قد دعيت فأجبت إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله عز وجل وعترتي أي بالمثناة فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض وفي رواية وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض سألت ربي لهما ذلك فلا تتقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم (قال) ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابياً لا حاجة لنا ببسطها (ثم قال) وسماهما ثقلين إعظاماً لقدرهما إذ يقال لكل خطير شريف ثقَل أو لأن

---

(١) صفحة ١٣٩ طبع عام ١٣٠٧.

العمل بما أوجب الله من حقوقهما ثقيل جداً. (انتهى المنقول من الصواعق).

هذا وقد روي حديث الثقلين من طرق أهل البيت عليهم السلام باثنين وثمانين طريقاً مذكورة في غاية المرام[١] ولا يتسع المقام لذكرها فليرجع إليها من أرادها.

فإذا عرفت هذه الأحاديث التي اتفق الفريقان على روايتها بطرق كثيرة تنبو عن الحصر ظهر لك منها **فوائد**:

الأولى: عصمة أئمة أهل البيت وحجية أقوالهم وأفعالهم ووجوب إتباعهم وإطاعتهم والإقتداء بأقوالهم وأفعالهم وعدم جواز الأخذ بالأقوال المخالفة لقولهم وإنه لا بد أن يوجد في كل زمان منهم من يكون مرجعاً للأمة وقدوة لها وذلك بوجوه من الدلالات:

أولاً: قوله صلى الله عليه وآله في رواية مسلم إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وإني أوشك أن أدعى فأجيب في رواية أحمد الدال على أنه أراد أن يجعل لهم مرجعاً بعد وفاته يرجعون إليه كما كانوا يرجعون إليه نفسه في حياته خوفاً من أن يبقوا بعده بلا مرجع وأن يوصيهم بأهم ما يحتاجون إليه وتلزمه الوصاية به ومن يريد أن يوصي يذكر في وصيته أهم أموره عنده فدل على أن الكتاب والعترة أهم ما يوصي به النبي صلى الله عليه وآله وإنهما مرجع للناس بعد وفاته كما كان هو مرجعاً لهم في حياته فكما وجبت عليهم إطاعته في حياته والإقتداء بأقواله وأفعاله وثبتت عصمته من الخطأ فكذلك من جعله في مكانه.

---

(١) صفحة ٢١٧ وسيأتي حديثان منها في الفائدة الرابعة من فوائد أحاديث الثقلين. (المؤلف).

ثانياً: إن اقتران أهل البيت بالكتاب في رواية مسلم دالٍ على وجوب عصمتهم وإطاعتهم كما أن الكتاب لا يخطئ ويجب الأخذ بما فيه وإن الرجوع إلى غيرهم كترك القرآن والرجوع إلى كتاب يخالفه.

ثالثاً: إنه وصف الكتاب في رواية مسلم بأنه فيه الهدى والنور وإنه حبل من الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة فكذلك أهل البيت الذين هم شركاؤه وقرناؤه.

رابعاً: إنه في رواية مسلم أمر بالأخذ بكتاب الله والاستمساك به وحث عليه ورغب فيه ثم عطف عليه الآل فدل على وجوب التمسك بهم والأخذ بأقوالهم والإقتداء بأفعالهم.

خامساً: قوله صلى الله عليه وآله في روايات أحمد بن حنبل لن يفترقا حتى يردا علي الحوض صرح بعدم افتراق القرآن والعترة نافياً ذلك بلن التي هي لتأييد النفي أو تأكيده ومسنداً ذلك مرة إلى اللطيف الخبير إنه أخبره بعدم افتراقهما لزيادة التأكيد والتثبيت. وعدم الافتراق كناية عن عدم مخالفة العترة لشيء مما جاء في القرآن الكريم وذلك لا يكون إلا مع عصمتهم ولو كانوا يخطئون لكانوا مفارقين للقرآن لأن القرآن لا يكون فيه خطأ فكما أن القرآن لا يخطئ فالعترة لا يخطئون وكما أن متبع القرآن لا يمكن أن يكون ضالاً فكذلك متبع العترة لا يكون ضالاً وفيه أيضاً دلالة على عدم خلو عصر من الأعصار من العترة الذين هذه صفتهم كما أنه لا يخلو من القرآن.

سادساً: قوله صلى الله عليه وآله في رواية أحمد حبل ممدود من السماء إلى الأرض (وتفسير ذلك) أن السماء محل رحمة الله تعالى وعذابه فمنها تنزل الأمطار والصواعق وفيها الشمس والقمر والكواكب التي لولاها لما عاش بنو آدم في الأرض وهي مسكن ملائكة الله الذين لا يعصون

الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المنفذون لما أمر الله به في حق سكان الأرض من خير وشر وفيها عرش الرحمن وفيها جنته وناره على أحد القولين وإليها يرفع الله من يريد كرامته من عباده كما قال الله تعالى في حق عيسى بن مريم عليه السلام ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾[١] وإني رافعك إلي[٢]، وفي حق إدريس ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[٣] إلى غير ذلك ومن هنا ورد في الشرع رفع اليدين إلى السماء في حالة الدعاء وإن كان الله تعالى لا يختص به مكان دون مكان فقوله حبل ممدود من السماء إلى الأرض على جهة التشبيه فكما أن من كان بينه وبين مكان حبل فإذا تعلق به وصعد عليه يمكنه الوصول إلى ذلك المكان أو يكون بينه وبين ذلك المكان صلة وعلاقة يمكنه أخذ وإرسال ما يريد من وإلى ذلك المكان أو تعريف حاله لمن في ذلك المكان كالذي في البئر أو البحر وبينه وبين غيره حبل فيحركه متى أراد فيخرجونه ويستنقذونه من العطب فكذلك القرآن حبل بين الله تعالى وعباده من تمسك به وعمل بما فيه وصل إلى طاعة الله ورضاه ونعمته وكذلك من أطاع العترة وعمل بأقوالهم واقتدى بهم لأنه قرنهم بالقرآن الذي هو حبل ممدود من السماء إلى الأرض وما وصفه بذلك إلا ليبين أنهم مثله وإلا فالقرآن المنزل من الله على رسوله لا يشك في أن المتمسك به والعامل بما فيه ناج.

سابعاً: إنه سماهما ثقلين والثقل بفتحتين الشيء الخطير الشريف

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٥٧ ـ ١٥٨. (المحقق).

(٢) إشارة لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ سورة آل عمران، الآية: ٥٥. (المحقق).

(٣) سورة مريم، الآية: ٥٧. (المحقق).

أو مأخوذ من الثقل ضد الخفة لأن العمل بهما ثقيل جداً كما من الوجهان عن ابن حجر (وحكى) في غاية المرام عن الحمويني أنه أخرج عن علي بن الفضل البغدادي أنه قال سمعت عمر صاحب أبي العباس غلام ثعلب يقول سمعت أبا العباس ثعلب سئل عن معنى قوله صلى الله عليه وآله إن تارك فيكم الثقلين لما سميا ثقلين قال لأن التمسك بهما ثقيل. انتهى. وكيفما فسرا ففي ذلك من الدلالة على عظم محلهما وإن العترة لا تشمل جميع قرابة النبي صلى الله عليه وآله ما لا يخفى سيما إن فسرا كما قاله ثعلب الذي هو من أعاظم أئمة اللغة فإن التمسك بهما لا يكون ثقيلاً إلا مع كونه طاعة لثقل الطاعة وخفة المعصية ولا يكون التمسك بهما طاعة إذا خالفا أو أحدهما الحق ولا يكون ذلك إلا مع العصمة.

ثامناً: قوله صلى الله عليه وآله في رواية أحمد حتى يردا علي الحوض فجعلهما مجتمعين لا يفترقان في الدنيا التي هي دار التكليف لأنه جعل ذلك مغيّاً بورود الحوض الذي يكون في الدار الأخرى عند انقطاع التكليف فيدل على وجود معصوم من العترة في كل زمان ولو خلا زمان من ذلك لافترقت العترة عن الكتاب وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله عن عدم افتراقهما.

(قال) ابن حجر في صواعقه[1] وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة كما أن الكتاب العزيز كذلك ويشهد له الخبر[2] في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي الخ. ثم أحق من يتمسك به

---

(١) في الآية الرابعة من الفصل الأول من الباب ١١ صفحة ٩٢ طبع عام ١٣٠٧.

(٢) سيأتي بتمامه في آخر الوجه الثالث من الوجوه الدالة على وجوب إتباع أئمة أهل البيت. (المؤلف).

منهم إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لما قدمناه من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته ومن ثم قال أبو بكر علي عترة رسول الله ﷺ أي الذين حث على التمسك بهم فخصه لما قلنا وكذلك خصه ﷺ بما مر يوم غدير خم. (انتهت الصواعق).

تاسعاً: قوله ﷺ: فانظروا بِمَ تخلفوني فيهما في رواية الترمذي الذي هو حثّ وحضّ على إطاعتهما وتهديد وتير من مخالفتهما.

عاشراً: قوله ﷺ أحدهما أكبر من الآخر في رواية أحمد أي أعظم وقد عبر به في رواية الترمذي والمراد به هو الكتاب كما صرح به في بعض روايات أهل البيت عليهم السلام المنقولة في غاية المرام لأنه كلام الله المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وفيه تبيان كل شيء ولذلك قدم في الذكر وإن كان الكتاب العزيز فيه المجمل والمفصل ولم يستوف جميع الأحكام بالبديهة وكونه فيه تبيان كل شيء محمول على بعض الوجوه من إنه قد ذكر فيه كل شيء تشتد الحاجة إليه وإن لم يفصل كل شيء ذكر فيه وقد أو كل تفصيل ذلك المجمل وبيان ما لم يذكر إلى الرسول ﷺ وبعد الرسول إلى عترته الذين هم باب مدينة علمه والذين أمر بإتباعهم في هذه الأحاديث وغيرها. ومن هنا قال أمير المؤمنين عليه السلام يوم رفع المصاحف بصفين هذا كتاب الله الصامت وأنا كتاب الله الناطق.

حادي عشر: قوله ﷺ إني تارك فيكم ما إن أخذتم به في رواية أحمد أو تمسكتم به في رواية الترمذي لن تضلوا بعدي نص على أن الآخذ بما في الكتاب والعامل به وبأقوال العترة لن يضل نافياً ذلك بلن التي هي للتأييد أو التأكيد ولا يكون ذلك إلا مع العصمة فإن الضلال مخالفة الواقع وكل من ليس بمعصوم يجوز في حقه

مخالفة الواقع فلا يأمن متبعه من الضلال وسلوك طريق الباطل (والمراد) من الأخذ بالكتاب العمل بما فيه ومن الأخذ بالعترة الأخذ بأقوالها والعمل بها وكذلك التمسك ليس معناه التمسك باليد بل الإقتداء والإتباع وفيه من المبالغة ما لا يخفي فإن تمسك لمبالغة مسك (وليس) المراد بالتمسك والأخذ وسائر ما ورد في هذه الأحاديث مجرد مودتهم والإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم وتأدية حقوقهم الواجبة والمندوبة كما يلوح من كلام ابن حجر في صواعقه في باب وصية النبي صلى الله عليه وآله بهم وأمثاله ممن دأبهم قلب الحقائق وتأويل ما ورد في حق أهل البيت ولو كان صريحاً وابتغاء المحامل البعيدة له وتوهينه وتشريك غيرهم معهم في ذلك ممن لا يصل إلى درجتهم كما يقف على ذلك المتتبع المنصف. (شنشنة أعرفها من أخزم).

ثاني عشر: قوله صلى الله عليه وآله فلا تَقَدَّموهم فتهلكوا في رواية الطبراني إذ الظاهر أن المراد بتقدمهم التقدم عليهم في الإمارة والسلطنة ودعوة الإمامة وفيه دلالة على أنهم أحق بذلك من كل أحد وكفى به دليلاً على وجوب الأخذ بأقوالهم لو لم يدل على عصمتهم ويرشد إليه ما ورد في بعض أحاديث أهل البيت المتقدم لهم مارق والمتأخر عنهم زاهق (المراد) بالمتقدم ما ذكرنا وبالمتأخر من لا يتبع قولهم ويخالفهم (ويحتمل) أن يراد بتقدمهم عدم الأخذ بقولهم وقد جعله موجباً للهلاك فيدل على عصمتهم لكن الظاهر الأول.

ثالث عشر: قوله صلى الله عليه وآله ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم في رواية الطبراني فجعلهم أعلم الخلق وكفى به دليلاً على وجوب الأخذ بقولهم.

الفائدة الثانية: تكرير قوله في رواية مسلم أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثاً يدل على شدة اهتمامه بأهل بيته فلم يكتف بتكرير الوصاية بهم مرتين حتى كررها ثلاثاً. وقوله أذكركم الله دون أن يقول أوصيكم أو نحو ذلك دال أيضاً على شدة اهتمامه بذلك فأضاف إلى التوصية التخويف من الله بمخالفتها وفي ذلك كله أيضاً دلالة على شدة تخوفه من أن لا يقوموا بهذه الوصية حق القيام وإيماء إلى أن الغالب على ظنه أنهم لا يقومون. وقد وقع ما تخوفه حتى آل الأمر إلى قتل وصيه وصهره وابن عمه ووارث علمه وقتل أولاده وذريته وقتل ولده الحسين أفظع قتلة وأفجعها وسبيت ذريات الرسول وبناته على اقتاب الجمال من بلد إلى بلد حتى صار جلساء يزيد يطلبون منه بعض بنات النبوة أن تكون خادمة عندهم وحتى قال له طغام أهل الشام لما استشارهم ما يصنع بأهل البيت ما قالوا مما لا يطيق اللسان النطق به وقد سجله التاريخ وحملت رؤوس أبنائه وذريته على الرماح وجعل ابن مرجانة وابن هند ينكتان ثغر ولده الحسين الذي طالما قبله بالخيزران وفعل ابن مرجانة برأس ولده الحسين ما لا يطيق اللسان النطق به ولا القلم تسطيره مما ذكره سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرة الخواص ولله در أبي تمام حيث يقول:

فعلتم بأبناء النبي ورهطه ... أفاعيل أدناها الخيانة والغدر

ولم تكتف أمته بهذا حتى صار بعضها يذم من يحزن لهذه المصائب ويبكي لهذه الفجائع التي حلت بأهل بيت النبوة وينبز محبي أهل بيته وشيعتهم بالرفض وينسبهم إلى الكذب ويرميهم بالمروق من الدين وهو أولى بما نسبهم إليه ورماهم به.

الفائدة الثالثة: قول زيد في رواية مسلم نساؤه من أهل بيته في جواب قول حصين أليس نساؤه من أهل بيته يراد به الإنكار بلا ريب أي أنساؤه من أهل بيته فحذفت همزة الاستفهام الإنكاري وحذفها في لسان العرب كثير كما ذكر في محله وقد حذفت في هذا الحديث في قوله كل هؤلاء على رواية مسلم ويدل على ذلك استدراكه بقوله ولكن أهل بيته من حرم الصدقة وقوله في الرواية الأخرى لأن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها... الخ. فمن الغريب ما في شرح النووي لصحيح مسلم من أن الروايتين ظاهرهما التناقض قال والمعروف في معظم الروايات في غير مسلم أنه قال نساؤه ليس من أهل بيته ثم أول الرواية الأولى بأنهن من أهل بيته الذين يساكنونه ويعولهم... الخ. وقد عرفت أن الأمر أظهر من أن يكون فيه شبهة تناقض هذا على رواية مسلم نساؤه بدون إن التي توافقت عليها النسخ ومنها نسخة الصواعق لابن حجر أما على رواية أحمد أن نساءه فالحال فيه كذلك أي أإن نساءه وإن كان ربما يتوهم فيه إرادة الإثبات لا الإنكار بسبب ذكر إن لكن يزول هذا التوهم بعد ملاحظة ما ذكرنا من القرائن.

الفائدة الرابعة: في النهاية الأثيرية عترة الرجل أخص أقاربه وعترة النبي صلى الله عليه وآله بنو عبد المطلب وقيل أهل بيته الأقربون وهم أولاده وعلي وأولاده وقيل الأقربون والأبعدون والمشهور المعروف أن عترته أهل بيته الذين حرمت عليهم الزكاة. انتهى. وعلى فرض أن العترة في اللغة تعم القريب والبعيد فقد فسرت في هذه الأخبار بأهل بيته خاصة وعلى فرض أن العترة وأهل البيت هم قرابة الرجل

وعشيرته وهم بالنسبة إليه ﷺ بنو هاشم الذين حرمت عليهم الصدقة وهي الزكاة كما قال زيد بن أرقم ولكن العترة وأهل البيت الذين جعلوا شركاء القرآن وأحد الثقلين الواجب التمسك بهم كالقرآن ليس جميع قرابة النبي ﷺ وعشيرته من بني هاشم بل هذا من العام المخصوص بمن دلت الأدلة على اختصاصهم بالعلم والفضل والزهد والعفة والنزاهة أمثال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وولديه الحسنين وأمهما بضعة الرسول ﷺ وسائر أئمة أهل البيت النبوي مثل علي بن الحسين زين العابدين وولده محمد الباقر وابنه جعفر الصادق وابنه موسى الكاظم وابنه علي الرضا وغيرهم من الأئمة الإثني عشر الذين تسالمت الأمة على تقدمهم في علمهم وفضلهم وزهدهم وعبادتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (وتفسير) زيد بن أرقم لهم بمطلق بني هاشم كما مر إن صح ذلك عنه ولم يكن من الشنشنة الأخزمية مبني على أصل الوضع اللغوي مع الغفلة عما اقتضته الأدلة من التخصيص فلا يجب تقليده فيه مع دلالة الدليل على خلافه وجواز الخطأ عليه وذلك لأن من عداهم من بني هاشم كانت تصدر منهم الذنوب والمعاصي ويجهلون كثيراً من الأحكام ولا يمتازون عن غيرهم من الخلق فلا يجوز أن يكونوا هم المجعولين شركاء القرآن وأحد الثقلين الذين يجب التمسك بهما فعلمنا من جعلهم شركاء للقرآن أنه ليس المراد جميعهم بل من كان يصلح لأن يكون شريك القرآن منهم وهم أئمة أهل البيت الطاهر لوقوع الإجماع على عدم عصمة من سواهم فينحصر الأمر فيهم عليهم السلام. وهذا واضح لمن تدبر وأنصف (ويدل) عليه أيضاً قوله ﷺ إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض وإني تركت فيكم ما إن أخذتم به أو تمسكتم به لن

تضلوا بعدي وقوله فلا تتقدموهم فتهلكوا أو لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم الدال على عصمتهم ووجوب الأخذ بقولهم كما عرفت.

(وفي غاية المرام) بعد ذكر حديث الثعلبي المتقدم الذي فيه كتاب الله وعترتي أهل بيتي (ما لفظه) قال سفيان أهل بيته هم ورثة علمه لأنه لا يورث من الأنبياء إلا العلم فهو كقول نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً. انتهى.

وروى الصدوق في معاني الأخبار بسند صحيح عن الصادق جعفر ابن محمد عن أبيه الباقر عن أبيه السجاد عن أبيه الحسين قال سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله إن مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي من العترة فقال أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقهم حتى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله حوضه. (وروى) فيه أيضاً بسنده عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه واحداً بعد واحد عن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض كهاتين وضم بين سبابتيه فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال يا رسول الله من عترتك؟ قال: علي والحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين إلى يوم القيامة.

الثالث: من الوجوه الدالة على وجوب إتباع أئمة أهل البيت وحجية أقوالهم وأفعالهم ما رواه الفريقان من أئمة أهل السنة والشيعة من قول النبي صلى الله عليه وآله مثل أهل بيتي مثل سفينة من ركبها نجا ومن تأخر عنها هلك أو من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق أو من دخلها نجا ومن تخلف عنها هلك.

قال ابن حجر في الصواعق[١] وجاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضاً إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا وفي رواية مسلم ومن تخلف عنها غرق وفي رواية هلك وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له وفي رواية غفر له الذنوب.

وقال في موضع آخر في باب الأمن ببقائهم[٢] وجاء من طرق كثيرة يقوي بعضها بعضاً مثل أهل بيتي وفي رواية إنما مثل أهل بيتي وفي أخرى أن مثل أهل بيتي وفي رواية إلا أن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وفي رواية من ركبها سلم ومن تركها غرق وإن مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له. (انتهت الصواعق).

(أقول) أورد في غاية المرام[٣] حديث السفينة بأحد عشر طريقاً من روايات أهل السنة عن ابن المغازلي الشافعي والحمويني وعلي بن صباغ المالكي في الفصول المهمة والسمعاني في كتاب فضائل الصحابة وأورده بتسعة طرق من روايات أهل البيت.

فتمثيلهم في هذه الروايات بسفينة نوح صريح في وجوب إتباعهم والإقتداء بأقوالهم وأفعالهم وحرمة إتباع من خالفهم وأي عبارة أبلغ في الدلالة على ذلك من قوله من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك أو غرق فكما إن كل من ركب مع نوح في سفيته نجا من

(١) في الفصل الأول من الباب ١١ في تفسير الآية السابعة صفحة ٩٣ طبع عام ١٣٠٧.
(٢) صفحة ١٤٤ طبع عام ١٣٠٧.
(٣) صفحة ٢٣٧.

الغرق ومن لم يركب غرق وهلك فكذلك كل من اتبع أهل البيت نجا من سخط الله وفاز برضوانه ومن خالفهم هلك ووقع في سخط الله وعذابه وذلك دليل عصمتهم وإلا لما كان كل متبع لهم ناجياً ولا كل مخالف لهم هالكاً وهذا عام مخصوص كما مر في حديث الثقلين وليس المراد به إلا أئمة أهل البيت الذين وقع الاتفاق على تفضيلهم واشتهروا بالعلم والفضل والزهد والورع والعبادة واتفقت الأمة على عدم عصمة غيرهم.

قال ابن حجر في صواعقه[1] بعد ذكر ما مر عنه آنفاً ووجه تشبيههم بالسفينة أن من أحبهم وعظمهم شكراً لنعمة مشرفهم صلى الله عليه وآله وسلم وأخذ بهدى علمائهم نجا من ظلمة المخالفات ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم وهلك في مفاوز الطغيان. انتهى.

(أقول) ولا يقصر عنه في الدلالة خبر تشبيههم بباب حطة الدال على أن النجاة في إتباعهم والخلاص من الذنوب والمعاصي بالأخذ بطريقتهم ويرشد إلى ذلك ويعضده ما نقله ابن حجر في صواعقه[2] عن الملا في سيرته أنه أخرج حديث في كل خلف من أمتي عدول ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين إلا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله عز وجل فانظروا من توفدون وحكى في باب الأمان ببقائهم من صواعقه[3] عن المحب الطبري أنه أورده بلا إسناد. انتهى.

---

(١) صفحة ٩٣ طبع عام ١٣٠٧ في الفصل الأول من الباب ١١.
(٢) صفحة ٩٢ طبع عام ١٣٠٧ في الآية الرابعة في الفصل الأول من الباب ١١.
(٣) صفحة ١٤٤ طبع عام ١٣٠٧.

الرابع: من الأدلة على وجوب إتباع أئمة أهل البيت وحجية أقوالهم وأفعالهم ما رواه الفريقان من أن النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي أو لأهل الأرض أو النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف.

ففي غاية المرام عن مسند الإمام أحمد بن حنبل ما صورته عبد الله ابن أحمد بن حنبل عن أبيه قال وفيما كتب إلينا محمد بن علي الحضرمي يذكر أن يوسف بن يعيش حدثهم قال حدثنا عبد الملك بن هارون عن عنترة عن أبيه عن جده عن علي قال: قال رسول الله ﷺ النجوم أمان لأهل السماء إذا ذهبت النجوم ذهبوا وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض. انتهى.

وأورده ابن حجر في صواعقه[(١)] في باب الأمن ببقائهم فقال وفي رواية لأحمد وغيره النجوم أمان إلى آخر ما تقدم. ثم قال وصح النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف وأورده أيضاً في الفصل الأول من الباب الحادي عشر في تفسير الآية السابعة[(٢)] من رواية أحمد ثم قال وفي رواية صححها الحاكم على شرط الشيخين[(٣)] النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس. انتهى. (قوله) من الاختلاف أي

(١) صفحة ١٤٤ طبع عام ١٣٠٧.
(٢) صفحة ٩٣ طبع عام ١٣٠٧.
(٣) البخاري ومسلم. (المؤلف).

الاختلاف في الدين فإذا خالفتها قبيلة فأخذوا بغير قولها اختلفوا في أحكام الدين فصاروا بسبب مخالفتهم لأهل بيت نبيهم حزب إبليس لأن الحق مع أهل البيت ومخالفهم على الباطل وليس المراد المخالفة في أمور الدنيا بدليل قوله فصاروا حزب إبليس مع أنه لو أريد ذلك لكفى في وجوب إتباعهم فإذا كان من خالفهم في أمر الدنيا من حزب إبليس فكيف بمن خالفهم في الدين.

فهذه الأحاديث التي سردناها من أحاديث الثقلين والسفينة وباب حطة والتشبيه بالنجوم وغيرها كافة لإثبات حجية أقوال أهل البيت ووجوب الإقتداء بهم وهل جاء في حق الأئمة الأربعة وسائر المجتهدين مثلها أو دونها.

على أن ما ورد في وجوب الإقتداء بأهل البيت وإتباعهم من طريق أهل السنة ينبو عن الحصر وهذا الذي ذكرناه طرف منه ولو أردنا استقصاءه لطال المقام وخرجنا عن موضوع هذه العجالة.

مع أن الإقتداء بأهل البيت والأخذ بأقوالهم في هذه المآتم وغيرها من أحكام الدين لا يتوقف على طريقة الخصم على إثبات عصمتهم لاتفاق الكلمة على إمامتهم في الفتوى والعلم والورع وإنهم إن لم يكونوا مقدمين في ذلك على الفقهاء الأربعة والثوري والأوزاعي وأبي يوسف والشيباني وأمثالهم فلا يقصرون عنهم علماً ولا عملاً.

ولو ثبتت هذه أو مثلها أو ما هو أعظم منها خطراً في الدين مما يتعلق بالأموال أو النفوس أو المناكح أو غيرها عن بعض من ذكرناه لما توقف الخصم فيا لعمل بها فما باله بعد ما ثبتت عن أئمة أهل

بيت النبوة ومعادن العلم يندد بها ويعيب فاعلها وينسبه إلى الإبداع في الدين فليحكم في ذلك العاقل المنصف. أفيرى الخصم أن في أئمة أهل البيت الذين هم أحد الثقلين الذين لا يضل المتمسك بهما ما يوجب الأعراض عنهم والإنكار على مقلدهم والأخذ بمذهبهم أو لديه أدلة خاصة تقصر الإمامة في الفتوى على غيرهم كلا بل الأمر بالعكس كما دل عليه ما قدمناه بأوضح دلالة ولكن التقليد الأعمى آفة الآفات بل نراهم قد واظبوا على ما أحدثه بعض الخلفاء أو ملوك الإسلام وإن لم يكونوا من أئمة الدين.

ففي السيرة الحلبية تأليف علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي[1] (ما لفظه) والثابت في الجمعة أذان واحد كان يفعل بين يديه ﷺ إذا صعد المنبر وجلس عليه كذا قال فقهاؤنا مستدلين على ذلك بحديث البخاري عن السائب بن يزيد قال كان التأذين يوم الجمعة حين يجلس الإمام على المنبر في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر(رض) وليس فيه أن ذلك الأذان كان بين يديه ولما كثر المسلمون أمر عثمان(رض) وقيل عمر وقيل معاوية بأن يؤذن قبله على المنارة وفي عبارة بعضهم وفي السنة الرابعة والعشرين زاد عثمان النداء على الزوراء يوم الجمعة ليسمع الناس فيأتوا إلى المسجد وأول من أحدثه بمكة الحجاج (والتذكير) قبل الأذان الأول الذي هو التسبيح أحدث بعد السبعمائة في زمن الناصر محمد بن قلاوون (وأول) ما أحدثت الصلاة والسلام على النبي ﷺ على الكيفية المعهودة الآن بعد تمام الأذان على المنارة في غير المغرب في زمن

(١) صفحة ١١٠ من الجزء الثاني في باب بدء الأذان طبع عام ١٣٢٠.

السلطان المنصور حاجي بن الأشرف شعبان بن حسن بن محمد بن قلاوون بأمر المحتسب نجم الدين الطنبدي في أواخر القرن الثامن واستمر ذلك إلى الآن لكن في غير أذان الصبح الثاني وغير أذان الجمعة أول الوقت أما أذان الصبح الثاني وأذان الجمعة المذكور فتقدم والصلاة والسلام عليه ﷺ على الأذان فيهما وكان أحدث ذلك في زمن صلاح الدين بن أيوب؛ ثم قال وأول ما أحدث التسبيح بالأسحار في زمن موسى عليه الصلاة والسلام (إلى أن قال) وأول حدوثه في ملتنا كان بمصر أمر به أميرها من قبل معاوية مسلمة بن مخلد الصحابي(رض) فإنه لما اعتكف بجامع عمرو سمع أصوات النواقيس عالية فشكا ذلك إلى شرحبيل بن عامر عريف المؤذنين بجامع عمرو ففعل ذلك من نصف الليل إلى قريب الفجر (إلى أن قال) ومسلمة أول من جعل بنيان المنابر التي هي محل التأذين في المساجد فلما ولي أحمد بن طولون رتب جماعة يكبرون ويسبحون ويحمدون فلما ولي صلاح الدين يوسف بن أيوب وحمل الناس على اعتقاد مذهب الأشعري والخروج عما كان يعتقد الفواطم أمر المؤذنين أن يعلنوا وقت التسبيح بذكر العقيدة المرشدة وقد وقفت عليها فإذا هي ثلاث ورقات فواظبوا على ذكرها في كل ليلة. انتهى ما أردنا نقله من السيرة الحلبية.

وقد نقل ابن حجر في صواعقه الشيء الكثير مما يدل على فضائل الأئمة الاثني عشر وعلومهم وزهدهم وعباداتهم وشدة خوفهم من الله تعالى ومعجزاتهم الباهرة وإمامتهم في الدين واستجابة دعائهم وكرم أخلاقهم وتفوقهم في ذلك كله على أهل زمانهم مما يطول

الكلام بنقله ليستر بذلك نصبه وعداوته لشيعتهم وموالاته لأعدائهم مع أن ذلك مسلم مشهور معروف لا يحتاج إلى نقل ما يدل عليه.

هذا الكلام على حجية أقوال أهل البيت وأفعالهم.

(أما) أنهم بكوا على الحسين عليه السلام وعدوا مصيبته أعظم المصائب وأمروا شيعتهم ومواليهم وأتباعهم بذلك وحثوا عليه واستنشدوا الشعر في رثائه وبكوا عند سماعه وجعلوا يوم قتله يوم حزن وبكاء وذموا من اتخذه عيداً وأمروا بترك السعي فيه في الحوائج وعدم ادخار شيء فيه فالأخبار فيه مستفيضة عنهم تكاد تبلغ حد التواتر روتها عنهم ثقات شيعتهم ومحبيهم بأسانيدها المتصلة إليهم ونحن نذكر أولاً ما ورد في بكاء أئمة أهل البيت عليهم السلام لهذه الفاجعة العظيمة ثم نتبعه بما ورد عنهم في الحث على البكاء والحزن لها وما يندرج في ذلك ويتبعه فنقول.

بكاء أمير المؤمنين علي عليه السلام لقتل ولده الحسين قبل وقوعه

وقد تقدم نقله مفصلاً في الدليل السابع والعشرين في بكاء الصحابة لذلك.

بكاء الزهراء عليها السلام على ولدها الحسين عليه السلام

روى المفيد في أماليه عن النيسابوري أن ذرة النائحة رأت فاطمة فيما يرى النائم أنها وقفت على قبر الحسين تبكي وأمرتها أن تنشد:

أيها العينان فيضا — واستهلا لا تغيضا
وابكيا بالطف ميتا — ترك الصدر رضيضا
لم أمرضه قتيلا — لا ولا كان مريضا

وسيأتي في بكاء الصادق عليه السلام قوله لأبي بصير يا أبا بصير إن فاطمة لتبكيه وقوله أما تحب أن تكون فيمن يسعد فاطمة.

بكاء علي بن الحسين زين العابدين على أبيه عليه السلام

روى ابن شهرآشوب في المناقب عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال بكى علي بن الحسين عشرين سنة وما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولى له جعلت فداك يا ابن رسول الله إني أخاف أن تكون من الهالكين قال عليه السلام إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة (ورواه) ابن قولويه في الكامل بسنده عن الصادق عليه السلام مثله إلا أنه زاد بعد عشرين سنة أو أربعين سنة (قال) ابن شهرآشوب وفي رواية أما آن لحزنك أن ينقضي فقال له ويحك إن يعقوب النبي عليه السلام كان له اثنا عشر ابناً فغيب الله واحداً منهم فابيضت عيناه من كثرة بكائه وأحدودب ظهره من الغم وكان ابنه حياً في الدنيا وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني (قال) وقد ذكر في الحلية نحوه. وقيل إنه بكى حتى خيف على عينيه وكان إذا أخذ إناء يشرب ماء بكى حتى يملأها دماً فقيل له في ذلك فقال وكيف لا أبكي وقد منع أبي من الماء الذي كان مطلقاً للسباع والوحوش وقيل له إنك لتبكي دهرك فلو قتلت نفسك لما زدت على هذا فقال نفسي قتلتها وعليها أبكي. (انتهت المناقب).

وروى ابن قولويه في الكامل بسنده قال أشرف مولى لعلي بن الحسين عليه السلام وهو في سقيفة له ساجد يبكي فقال له يا علي بن الحسين أما آن لحزنك أن ينقضي فرفع رأسه إليه فقال ويلك أو

ثكلتك أمك أما والله لقد شكا يعقوب إلى ربه في أقل مما رأيت حين قال يا أسفاً على يوسف وإنه فقد ابناً واحداً وأنا رأيت أبي وجماعة أهل بيتي يذبحون حولي. (انتهى الكامل).

(أقول) وهذا الذي روي عن زين العابدين عليه السلام من بكائه على أبيه طول عمره مع كونه في نفسه حجة قاطعة لما قدمناه مشتمل على الاحتجاج بفعل نبي الله يعقوب عليه السلام فيما هو أهون مما جرى على الحسين عليه السلام بمراتب.

بكاء أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق على مصيبة جده الحسين عليه السلام

روى ابن قولويه في الكامل بسنده عن ابن خارجة قال كنا عند أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام فذكرنا الحسين بن علي عليه السلام فبكى أبو عبد الله وبكينا ثم رفع رأسه فقال قال الحسين بن علي أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا بكى (وروى) في الكتاب المذكور بسنده عن مسمع كردين قال: قال لي أبو عبد الله يا مسمع أنت من أهل العراق أما تأتي قبر الحسين قلت لا أنا رجل مشهور من أهل البصرة وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة وأعداؤنا كثيرة من أهل القبائل من النصاب وغيرهم ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيميلوا علي قال لي أفما تذكر ما صنع به قلت بلى قال فتجزع قلت أي والله وأستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك علي فأمتنع عن الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي قال رحم الله دمعتك أما أنك من الذين يعدون في أهل الجزع لنا والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويخافون لخوفنا ويأمنون إذا أمنا (إلى أن قال) ثم استعبر

واستعبرت معه فقال الحمد الله الذي فضلنا على خلقه بالرحمة وخصنا أهل البيت بالرحمة يا مسمع إن الأرض والسماء لتبكي منذ قتل أمير المؤمنين رحمة لنا وما بكى لنا من الملائكة أكثر وما رقأت دموع الملائكة منذ قتلنا وما بكى أحد رحمة لنا ولما لقينا إلا رحمة الله قبل أن تخرج الدمعة من عينه. (الحديث). (ومنه) يعلم ما كان عليه شيعة أهل البيت ومحبوهم من الخوف والتقية من ملوك زمانهم في زمن بني العباس فضلاً عن زمني بني أمية وسلميان المذكور هو سلميان ابن علي بن عبد الله بن العباس الذي كانت له إمارة البصرة.

وروى الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد عن عبد الله بن سنان قال دخلت على سيدي أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام في يوم عاشوراء فلقيته كاسف اللون ظاهر الحزن ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط فقلت يا ابن رسول الله مم بكاؤك لا أبكى الله عينيك فقال لي أو في غفلة أنت أما علمت أن الحسين بن علي أصيب في مثل هذا اليوم فقلت يا سيدي فما قولك في صومه فقال لي صمه من غير تبييت وافطره من غير تشميت ولا تجعله يوم صوم كامل وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة من ماء فإنه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلت الهيجاء عن آل رسول الله صلى الله عليه وآله وانكشفت الملحمة عنهم وفي الأرض منهم ثلاثون رجلاً صريعاً في مواليهم يعز على رسول الله صلى الله عليه وآله مصرعهم ولو كان في الدنيا يومئذ حياً لكان صلوات الله عليه وآله هو المعزى بهم قال وبكى أبو عبد الله عليه السلام حتى اخضلت لحيته بدموعه. (الحديث).

(قوله) صمه من غير تبييت أي من غير نية الصوم الشرعي التي تبيّت من الليل بل مجرد ترك الطعام والشراب حزناً (قوله) وافطره من

غير تشميت التشميت بالشين المعجمة وبالمهملة أيضاً الدعاء أي لا تدع عند الإفطار بأدعية الإفطار المعروفة فإن تلك للإفطار من الصيام الشرعي وهذا ليس كذلك وفسرهما بقوله ولا تجعله. . . الخ. وفيه دلالة على رجحان إظهار الحزن بجميع أنواعه حتى الإمساك عن الطعام والشراب.

وروى ابن قولويه في الكامل بسنده عن أبي بصير قال كنت عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام فدخل عليه ابنه فقال له مرحباً وضمه وقبله وقال حقر الله من حقركم وانتقم ممن وتركم وخذل الله من خذلكم ولعن الله من قتلكم وكان الله لكم ولياً وحافظاً وناصراً فقد طالب بكاء النساء وبكاء الأنبياء والصديقين والشهداء وملائكة السماء ثم بكى وقال يا أبا بصير إذا نظرت إلى ولد الحسين أتاني ما لا أملكه بما أوتي إلى أبيهم وإليهم يا أبا بصير إن فاطمة لتبكيه إلى أن قال أما تحب أن تكون فيمن يسعد فاطمة فبكيت حين قالها فما قدرت على المنطق من البكاء. وسيأتي ما يدل على بكاء الصادق عليه السلام عند ذكر استنشاد الشعر في الحسين عليه السلام. وسيأتي أيضاً فيما جاء أن الحسين قتيل العبرة وعبرة كل مؤمن أنه ما ذكر الحسين عليه السلام عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام في يوم قط فرؤي متبسماً إلى الليل.

بكاء موسى[1] الكاظم على جده الحسين عليه السلام

روى الصدوق في الأمالي بسنده عن الرضا عليه السلام أنه قال أن المحرم شهر كان أهل الجاهلية يحرمون فيه القتال فاستحلت فيه

(١) أبو الحسن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي أبي طالب عليهم السلام. سابع=

دماؤنا وهتكت فيه حرمتنا وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا وأضرمت النار في مضاربنا والتهب ما فيها من ثَقَلنا ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا أن يوم الحسين أقرح جفوننا وأسبل دموعنا وأذل عزيزنا بأرض كرب وبلاء وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء فعلى مثل الحسين فليبك الباكون فإن البكاء عليه يحط الذنوب العظام ثم قال كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يُرى ضاحكاً وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضي عشرة أيام منه فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ويقول هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام.

بكاء أهل البيت عموماً وحداد نسائهم الطاهرات على الحسين عليه السلام

روى ابن قولويه في الكامل بسند معتبر عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام في حديث طويل أنه قال ما اختضبت منا امرأة ولا أدهنت ولا اكتحلت ولا رجلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد وما زلنا في عبرة بعده وكان جدي (يعني علي بن الحسين عليهما السلام) إذا ذكره بكى حتى تملأ عيناه لحيته وحتى يبكي لبكائه رحمة له من رآه وإن الملائكة الذين عند قبره ليبكون فيبكي لبكائهم كل من في الهواء والسماء من الملائكة (إلى أن قال) وما من عين أحب إلى الله ولا عبرة من عين بكت ودمعت عليه وما من باكٍ يبكيه إلا وقد وصل

=الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله ولد بالأبواء سنة ثمان وعشرين ومائة للهجرة وقبض في بغداد مسموماً شهيداً مظلوماً في حبس هارون الرشيد العباسي وسجانه السندي بن شاهك السندي سنة ثلاث وثمانين ومائة وله يومئذ خمس وخمسون سنة قبره ببغداد في الكاظمية المقدسة وعليه مرقد عامر وله من الجاه والكرامات يقصده الناس للزيارة والدعاء والبركة. . . (المحقق).

فاطمة وأسعدها عليه ووصل رسول الله ﷺ وأدى حقنا وما من عبد يحشر إلا وعيناه باكية إلا الباكي على جدي فإنه يحشر وعينه قريرة والبشارة تلقاه والسرور على وجهه. (الحديث).

استنشاد أئمة أهل البيت عليهم السلام الشعر في الحسين وبكاؤهم عليه وفضل إنشاد الشعر فيه والبكاء عليه

روى الصدوق في الأمالي وابن قولويه في الكامل بسنديهما عن أبي عمارة المنشد عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال: قال لي يا أبا عمارة أنشدني في الحسين بن علي فأنشدته فبكى ثم أنشدته فبكى قال فوالله ما زلت أنشده فيبكي حتى سمعت البكاء من الدار فقال يا أبا عمارة من أنشد في الحسين بن علي شعراً فأبكى خمسين فله الجنة ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنة ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرين فله الجنة ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرة فله الجنة ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى واحداً فله الجنة ومن أنشد الحسين شعراً فبكى فله الجنة ومن أنشد في الحسين شعراً فتباكى فله الجنة.

وروى الكشي في كتاب الرجال بسنده عن زيد الشحام قال كنا عند أبي عبد الله (يعني جعفر الصادق عليه السلام) ونحن جماعة من الكوفيين فدخل جعفر بن عفان على أبي عبد الله فقربه وأدناه ثم قال يا جعفر قال لبيك جعلني الله فداك قال بلغني أنك تقول الشعر في الحسين عليه السلام وتجيد فقال له نعم جعلني الله فداك قال قل فأنشده فبكى ومن حوله حتى صارت الدموع على وجهه ولحيته ثم قال يا جعفر والله لقد شَهِدتْ ملائكة الله المقربون ها هنا يسمعون قولك في

الحسين ولقد بكوا كما بكينا وأكثر ولقد أوجب الله تعالى لك يا جعفر في ساعتك الجنة بأسرها وغفر الله لك فقال يا جعفر ألا أزيدك قال نعم يا سيدي قال ما من أحد قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى إلا أوجب الله له الجنة وغفر له (أقول) وستأتي له مرثية في الحسين عليه السلام في الفصل الثاني.

وروى ابن قولويه في الكامل عن أبي هرون المكفوف قال دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي أنشدني فأنشدته فقال لا كما تنشدون وكما ترثيه عند قبره فأنشدته:

امرر على جدث الحسين وقل لأعظمه الزكية[1]

قال فلما بكى أمسكت أنا فقال مر فمررت ثم قال زدني فأنشدته:

يا مريم[2] قومي واندبي مولاك وعلى الحسين فأسعدي ببكاك

فبكى وتهايج النساء فلما سكتن قال لي يا أبا هارون من أنشد في الحسين فأبكى عشرة فله الجنة ثم جعل ينتقص واحداً واحداً حتى بلغ الواحد فقال من أنشد في الحسين فأبكى واحداً فله الجنة ثم قال من ذكره فبكى فله الجنة.

وروى الصدوق في ثواب الأعمال وابن قولويه في الكامل بسنديهما عن أبي هارون المكفوف قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام يا أبا هارون أنشدني في الحسين فأنشدته فقال لي أنشدني كما تنشدون

(١) هذا البيت للسيد الحميري كما يأتي أنشده أبو هارون إنشاداً ولم ينشئه إنشاء. (المؤلف).
(٢) هذه الكلمة في النسخة غير جلية. (المؤلف). هذه الكلمة هي مريم (المحقق).

يعني بالرقة قال فأنشدته امرر على جدث الحسين (البيت) فبكى ثم قال زدني فأنشدته القصيدة الأخرى فبكى وسمعت البكاء من خلف الستر فلما فرغت قال يا أبا هارون من أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى عشرة كتبت لهم الجنة ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى خمسة كتبت لهم الجنة ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى واحداً كتبت لهم الجنة ومن ذكر الحسين عنده فخرج من عينيه من الدمع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله عز وجل ولم يرض له بدون الجنة.

قوله بالرقة بكسر الراء المشددة أي بالطريقة التي تستعملونها عند الإنشاد التي فيها الرقة والطلاوة والتي توجب التأثير في القلب لا مجرد التلاوة وهو المارد بقوله في الرواية الأولى كما تنشدون وكما ترثيه عند قبره وسها من فسر الرقة هنا بالبلدة التي على الفرات التي هي بفتح الراء.

وروى ابن قولويه في الكامل بسنده عن عبد الله بن غالب قال دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأنشدته مرثية الحسين بن علي فلما انتهيت إلى هذا الموضع وذكر بيتاً من القصيدة[١] صاحت باكية من رواء الستر يا أبتاه.

وروى الصدوق في ثواب الأعمال وابن قولويه في الكامل بأسانيدهما عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال من أنشد في

(١) لم نذكره لأن النسخة مغلوطة ولا يستقيم للبيت المذكور فيها معنى فليذكره من يجده صحيحاً. (المؤلف). البيت هو: (لبلية تسقو حسيناً بمسقاة الثرى غير التراب) المحقق.

الحسين بيتاً من الشعر فبكى وأبكى عشرة فله ولهم الجنة ومن أنشد في الحسين بيتاً فبكى وأبكى تسعة فله ولهم الجنة فلم يزل حتى قال من أنشد في الحسين بيتاً فبكى وأظنه قال أو تباكى فله الجنة.

وروى أبو الفرج الأصبهاني وهو من عظماء المؤرخين الموثوق بهم والمعترف بفضلهم وسعة إطلاعهم عند جميع المسلمين في كتاب الأغاني[١] بسنده عن علي بن إسماعيل التميمي عن أبيه قال كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فاستأذن آذنه للسيد الحميري[٢] فأمر بإيصاله وأقعد حرمه خلف ستر ودخل فسلم وجلس فاستنشده فأنشد قوله:

امرر على جدث الحسيـ ... ـن فقل لأعظمه الزكيه
يا أعظماً لا زلت من ... وطفاء ساكبة رويه
وإذا مررت بقبره ... فأطل به وقف المطيه
وابك المطهر للمطهـ ... ـر والمطهرة النقيه
كبكاء معولة أتت ... يوماً لواحدها المنيه

قال فرأيت دموع جعفر بن محمد تتحدر على خديه وارتفع الصراخ من داره حتى أمره بالإمساك فأمسك. وروى أبو الفرج في الكتاب المذكور[٣] عن التيمي عن أبيه عن فضيل الرسان قال أنشد جعفر بن محمد قصيدة السيد:

لأم عمرو باللوى مربع ... طامسة أعلامه بلقع

(١) صفحة ٧ الجزء السابع.
(٢) اسمه إسماعيل بن محمد والسيد لقبه. (المؤلف).
(٣) صفحة ٧ الجزء السابع.

فسمعت النحيب من داره فسألني لمن هي فأخبرته أنها للسيد وسألني عنه فعرَّفته وفاته فقال رحمه الله. (الحديث).

وروى الصدوق في عيون أخبار الرضا بسنده عن عبد السلام بن صالح الهروي قال دخل دعبل بن علي الخزاعي رحمه الله على أبي الحسن علي ابن موسى الرضا عليه السلام بمرو فقال له يا ابن رسول الله إني قد قلت فيكم قصيدة وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك فقال عليه السلام هاتها فأنشده:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

فلما بلغ إلى قوله:

أرى فيأهم في غيرهم متقسما وأيديهم من فيئهم صفرات

بكى أبو الحسن الرضا عليه السلام وقال له صدقت يا خزاعي فلما بلغ إلى قوله:

إذا وتروا مدوا إلى واتريهم أكفا عن الأوتار منقبضات

جعل أبو الحسن يقلب كفيه ويقول أجل والله منقبضات فلما بلغ إلى قوله:

لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها وإني لأرجو ألا من بعد وفاتي

قال الرضا عليه السلام آمنك الله يوم الفزع الأكبر فلما انتهى إلى قوله:

وقبر ببغداد لنفس زكية تضمنها الرحمن في الغرفات

قال له الرضا عليه السلام أفلا الحق لك بهذا الموضع ببيتين بهما تمام قصيدتك قال بلى يا ابن رسول الله فقال عليه السلام:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة — توقد في الأحشاء بالحرقات
إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً — يفرج عنا الهم والكربات

فقال دعبل يا ابن رسول الله هذا القبر الذي بطوس قبر من هو فقال الرضا عليه السلام قبري. (الحديث).

ما جاء عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في أن يوم عاشوراء يوم مصيبة وغم وجزع وبكاء وإن مصيبة الحسين عليه السلام أعظم المصائب

روى الصدوق في علل الشرائع بسنده عن عبد الله بن الفضل أنه قال لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يا ابن رسول الله كيف صار يوم عاشوراء يوم مصيبة وغم وجزع وبكاء دون اليوم الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله واليوم الذي ماتت فيه فاطمة واليوم الذي قتل فيه أمير المؤمنين واليوم الذي قتل فيه الحسن بالسم فقال إن يوم قتل الحسين أعظم مصيبة من سائر الأيام وذلك أن أصحاب الكساء الذين هم من أكرم الخلق على الله عز وجل كانوا خمسة فلما مضى منهم النبي صلى الله عليه وآله بقي أربعة فكان فيهم للناس عزاء وسلوة وهكذا كلما مضى واحد منهم كان في الباقي عزاء وسلوة فلما قتل الحسين عليه السلام لم يكن بقي من أصحاب الكساء احد فكان ذهابه كذهاب جمعيهم كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة. (الحديث).

أقول هذه العلة التي رواها الصدوق رحمه الله إحدى العلل ولم يقل الصادق عليه السلام أن العلة منحصرة فيها وهناك علة أخرى لكون مصيبة الحسين عليه السلام أعظم من سائر المصائب وهي أنه جرى فيها من الفظائع ما لم يجر في غيرها مما لا يحتاج إلى البيان وبذلك وغيره

يظهر أنه لا قيمة لما قاله السوداني فيما تقدم من أن علياً وعمر وعثمان قتلوا كما قتل الحسين عليه السلام.

ما جاء عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في ترك السعي في الحوائج يوم عاشوراء واتخاذه يوم حزن والنهي عن اتخاذه يوم بركة

روى الشيخ الطوسي في الأمالي بسنده عن الرضا عليه السلام أنه قال من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل الله عز وجل يوم القيامة يوم فرحه وسروره وقرت بنا في الجنان عينه ومن سمى يوم عاشوراء يوم بركة وادخر فيه لمنزله شيئاً لم يبارك له فيما أدخر وحشر يوم القيامة مع يزيد وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد إلى أسفل درك من النار.

وروى الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد بسنده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال وذكر ثواب زيارة الحسين عليه السلام يوم عاشوراء حتى يظل عنده باكياً وقال إن البعيد يومي إليه بالسلام ويجتهد في الدعاء على قاتله ويصلي من بعد ركعتين قال وليكن ذلك في صدر النهار قبل أن تزول الشمس ثم ليندب الحسين وليبكه ويأمر من في داره ممن لا يتقيه بالبكاء عليه ويقيم من في داره المصيبة بإظهار الجزع عليه إلى أن قال وإن استطعت أن لا تمشي يومك في حاجة فافعل فإنه يوم نحس لا تقضي فيه حاجة مؤمن فإن قضيت لم يبارك له فيها ولم ير فيها رشداً ولا يدخرن أحدكم لمنزله فيه شيئاً فمن أدخر في ذلك اليوم شيئاً لم يبارك له فيما أدخر ولم يبارك له في أهله. (الحديث).

ما جاء من أئمة أهل البيت عليهم السلام في ثواب البكاء على الحسين عليه السلام والجلوس لذلك والحث عليه

روى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام والشيخ الطوسي في الأمالي بسنديهما عن الإمام الرضا عليه السلام ثامن أئمة أهل البيت الطاهر عليهم السلام أنه قال من تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب منا كان معنا في درجتنا يوم القيامة ومن ذكر بمصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون ومن جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب.

(أقول) وأي حث أعظم من هذا على تلك المجالس التي نعاب بها ممن أبت نفسه الإقتداء بأهل البيت وهو يدين بالإسلام.

وروى علي بن إبراهيم في تفسيره بسنده عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه دمع مثل جناح بعوضة غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر.

وروى الشيخ المفيد في المجالس والشيخ الطوسي في الأمالي عن ابن قولويه بسنده إلى جعفر الصادق عليه السلام أنه قال نفس المهموم لظلمنا تسبيح وهمه لنا عبادة وكتما سرنا جهاد في سبيل الله.

وروى الشيخ الطوسي في الأمالي عن المفيد بسنده عن أبي عمارة الكوفي قال سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول من دمعت عينه فينا دمعة لدم سفك لنا أو حق لنا انقضاه أو عرض انتهك لنا أو لأحد من شيعتنا بوأه الله تعالى بها في الجنة حقباً.

وروى المفيد في المجالس والشيخ الطوسي في الأمالي

بسنديهما عن الحسين بن علي عليه السلام أنه قال ما من عبد قطرت عيناه فينا قطرة أو دمعت عيناه فينا دمعة إلا بوأه الله بها في الجنة حقباً.

وروى الشيخ الطوسي في الأمالي عن المفيد بسنده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال كل الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين عليه السلام.

وروى ابن قولويه في الكامل بسنده عن الصادق عليه السلام أنه قال إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع ما خلا البكاء على الحسين ابن علي فإنه فيه مأجور.

وروى ابن قولويه في الكامل بسنده عن الباقر عليه السلام أنه قال أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين دمعة حتى تسيل على خده بوأه الله بها في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً.

وروى في الكتاب المذكور بسنده عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال من قطرت عيناه فينا قطرة ودمعت عيناه فينا دمعة بوأه الله بها في الجنة غرفاً يسكنها حقباً.

وروى في الكتاب المذكور بإسنادين عن جعفر الصادق عليه السلام في حديث أن الحسين لينظر إلى من يبكيه فيستغفر له ويسأل أباه الاستغفار له ويقول له أيها الباكي لو علمت ما أعد الله لك لفرحت أكثر مما حزنت. (الحديث).

وروى الصدوق في الأمالي والعيون بسنده عن الريان بن شبيب قال دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من المحرم إلى أن قال: قال يا ابن شبيب إن المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما

مضى يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمته فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها صلى الله عليه وآله لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته وسبوا نساءه وانتهبوا ثَقَله فلا غفر الله لهم ذلك أبداً يا ابن شبيب إن كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن علي ابن أبي طالب فإنه ذبح كما يذبح الكبش وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيه ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره فوجدوه قد قتل فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم فيكونوا من أنصاره وشعارهم يا لثارات الحسين يا ابن شبيب لقد حدثني أبي عن أبيه عن جده أنه لما قتل جدي الحسين عليه السلام أمطرت السماء دماً وتراباً أحمر يا ابن شبيب إن بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته صغيراً كان أم كبيراً قليلاً كان أو كثيراً (إلى أن قال) يا ابن شبيب إن سرك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا وعليك بولايتنا فلو أن رجلاً تولى حجراً لحشره الله معه يوم القيامة.

وروى علي بن إبراهيم في تفسيره وابن قولويه في الكامل والصدوق في ثواب الأعمال بأسانيدهم عن الباقر عليه السلام قال كان علي بن الحسين عليه السلام يقول أيما مؤمن دمعت عينه لقتل الحسين بن علي دمعة حتى تسيل على خده لأذى مسنا من عدونا في الدنيا بوأه الله مبوأ صدق في الجنة. (الحديث).

وروى الحميري في قرب الإسناد بسنده عن جعفر الصادق عليه السلام أنه قال لفضيل تجلسون وتتحدثون قال نعم جعلت

فداك قال إن تلك المجالس أحبها فأحيوا أمرنا يا فضيل فرحم الله من أحيى أمرنا يا فضيل من ذكرنا أو ذُكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر.

وروى البرقي في المحاسن وابن قولويه في الكامل بأسانيدهما عن الصادق عليه السلام قال من ذكرنا عنده ففاضت عيناه ولو مثل جناح الذباب غفر له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر.

وروى في الكامل أيضاً بسنده عن الصادق عليه السلام قال من ذُكرنا عنده ففاضت عيناه حرّم الله وجهه على النار.

وروي فيه أيضاً بسنده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال كان علي ابن الحسين عليه السلام يقول من ذكر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينه من الدمع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله عز وجل ولم يرض له بدون الجنة.

ما جاء عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في أن الحسين عليه السلام قتيل العبرة وأنه عبرة كل مؤمن

روى ابن قولويه في الكامل في حديث تقدم في بكاء جعفر الصادق على الحسين عليه السلام بسنده عن الصادق عليه السلام أنه قال: قال الحسين ابن علي أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا بكى.

وروى في الكتاب المذكور أيضاً بأسانيده إلى جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: قال الحسين بن علي أنا قتيل العبرة قتلت مكروباً وحقيق على الله أن لا يأتيني مكروب إلا رده الله وقَلَبَه إلى أهله مسروراً.

وروى الصدوق في الأمالي وابن قولويه في الكامل بسندهما إلى الصادق عن آبائه عليه وعليهم السلام قال: قال أبو عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا استعبر.

(قوله عليه السلام) قتيل العبرة أي البكاء أي منسوب إلى ذلك وفسر النسبة بقوله لا يذكرني مؤمن إلا بكى أو إلا استعبر (وقوله) قتلت مكروباً من باب ونفخ في الصور.

وروى ابن قولويه في الكامل بسنده عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال نظر أمير المؤمنين على الحسين عليهما السلام فقال يا عبرة كل مؤمن فقال أنا يا أبتاه فقال نعم يا بني.

وروى فيه بأسانيده عن أبي عمارة المنشد قال ما ذكر الحسين بن علي عند أبي عبد الله (يعني جعفر الصادق عليه السلام) في يوم قط فرؤي مبتسماً في ذلك اليوم إلى الليل وكان أبو عبد الله يقول الحسين عبرة كل مؤمن (قوله) عبرة كل مؤمن من باب ذكر المسبب وإرادة السبب لقصد المبالغة أي سبب لاستعباره وبكائه وهو قريب من قوله فيما مر أنا قتيل العبرة.

التاسع والعشرون: بكاء الجن لقتله عليه السلام الدال على فظاعة الأمر فظاعة لم يسبق لها مثيل.

ففي الصواعق المحرقة لابن حجر(١) أخرج الملا عن أم سلمة أنها سمعت نوح الجن على الحسين. (انتهت الصواعق). وقد مر في الأمر الثاني عن الصواعق أن أم سلمة قالت لما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلاً يقول:

---

(١) صفحة ١٢٠ في الفصل الثالث من الباب ١١ طبع عام ١٣٠٧.

أيها القاتلون جهلاً حسينا أبشروا بالعذاب والتذليل
قد لعنتم على لسان ابن داو د وموسى وحامل الإنجيل

وروى الطبري في تاريخه في حوادث سنة إحدى وستين عن هشام بسنده عن عمرو بن عكرمة قال أصبحنا صبيحة قتل الحسين بالمدينة فإذا مولى لنا يحدثنا قال سمعت البارحة منادياً ينادي وهو يقول:

أيها القاتلون جهلاً حسينا أبشروا بالعذاب والتنكيل
كل أهل السماء تدعو عليكم من نبي وملك وقبيل
قد لعنتم على لسان ابن داو د وموسى وحامل الإنجيل

ثم قال: قال هشام حدثني عمرو بن حيزوم الكلبي عن أبيه قال سمعت هذا الصوت. (انتهى تاريخ الطبري).

وفي البحار قال الطبري وسمع نوح الملائكة في أول منزل نزلوه قاصدين إلى الشام أيها القاتلون (الأبيات الثلاثة المتقدمة) والذي وجدناه في تاريخ الطبري هو ما سمعت.

وقال ابن الأثير في تاريخه سمع أهل المدينة ليلة قتل الحسين عليه السلام منادياً ينادي وذكر الأبيات الثلاثة المتقدمة إلا أنه قال وملاك بدل وملك.

وروى ابن قولويه في الكامل بسنده عن عمرو بن عكرمة قال أصبحنا ليلة قتل الحسين عليه السلام بالمدينة فإذا مولى لنا يقول سمعنا البارحة منادياً ينادي أيها القاتلون (الأبيات الثلاثة المتقدمة) إلا أنه قال (من نبي ومرسل) وقال (وذي الروح صاحب الإنجيل).

وفي إرشاد المفيد فلما كان الليل من ذلك اليوم الذي خطب فيه عمرو ابن سعيد بقتل الحسين بن علي بالمدينة سمع أهل المدينة في جوف الليل منادياً ينادي يسمعون صوته ولا يرون شخصه.

أيها القاتلون قتلاً حسينا … أبشروا بالعذاب والتنكيل
كل من في السماء يدعو عليكم[(١)] … من نبي وملك وقبيل
قد لعنتم على لسان ابن داو … د وموسى وصاحب الإنجيل

انتهى (وفي البحار) ذكر صاحب الذخيرة عن عكرمة أنه سمع ليلة قتله بالمدينة مناد يسمعونه ولا يرون شخصه أيها القاتلون (الأبيات الثلاثة المتقدمة) إلا أنه قال وملأك بدل وملك وصاحب بدل وحامل.

وأخرج أبو نعيم الحافظ في دلائل النبوة[(٢)] عن أم سلمة أنها قالت سمعت الجن تبكي على الحسين وتنوح عليه.

وأخرج ثعلب في أماليه[(٣)] عن أبي خباب الكلبي قال أتيت كربلاء فقلت لرجل من أشراف العرب أخبرني بما بلغني أنكم تسمعون من نوح الجن فقال ما تلقى أحداً إلا أخبرك أنه سمع ذلك قلت فأخبرني بما سمعت أنت قال سمعتهم يقولون:

مسح النبي جبينه … فله بريق في الخدود
أبواه من عليا قريـ … ـش وجده خير الجدود

---

(١) كل من في السماء يبكي عليه (خ ل).
(٢) كما عن تاريخ الخلفاء للسيوطي في ترجمة يزيد.
(٣) كما عن تاريخ الخلفاء للسيوطي.

وروى ابن قولويه في الكامل بسنده عن أبي زياد القندي قال كان الجصاصون يسمعون نوح الجن حين قتل الحسين بن علي عليه السلام في السحر بالجبانة وهم يقولون: مسح النبي... (البيتين).

وفي البحار عن المناقب القديم بسنده عن أبي خباب الكلبي عن الجصاصين مثله.

وفي تذكرة الخواص[1] لسبط ابن الجوزي شمس الدين يوسف ابن قِزأُغلي الواعظ الحنفي ما لفظه (ذكر نوح الجن عليه) حكى الزهري عن أم سلمة قالت ما سمعت نوح الجن إلا في الليلة التي قتل فيها الحسين سمعت قائلاً يقول:

ألا يا عين فاحتفلي بجهد ... ومن يبكي على الشهداء بعدي
على رهط تقودهم المنايا ... إلى متجبر في ثوب عبد[2]

قالت فعلمت أنه قتل الحسين (قال) وقال الشعبي سمع أهل الكوفة قائلاً يقول في الليل:

أبكي قتيلاً بكربلاء ... مضرج الجسم بالدماء
أبكي قتيل الطغاة ظلماً ... بغير جرم سوى الوفاء
أبكي قتيلاً بكى عليه ... من ساكن الأرض والسماء
هتك احلوه واستحلوا ... ما حرم الله في الإماء
بأبي جسمه المعرى ... إلا من الدين والحياء
كل الرزايا لها عزاء ... وما لذا الرزء من عزاء

(١) صفحة ١٥٢.
(٢) وستأتي قريباً رواية هذين البيتين بطرق أخرى. (المؤلف).

وقال الزهري ناحت الجن عليه فقالت:

لقد جئن نساء الجن ... يبكين شجيات
ويلطمن خدوداً كالد ... نانير نقيات
ويلبسن ثياب السو ... د بعد القصبيات

(قال) ومما حفظ من قول الجن

مسح النبي جبينه ... فله بريق في الخدود
أبواه من عليا قريـ ... ش وجده خير الجدود
قتلوك يا ابن الرسو ... ل فاسكنوا نار الخلود

(انتهت تذكرة الخواص) وفي البحار ذكر ابن الجوزي في كتاب النور في فضائل الأيام والشهور نوح الجن عليه فقال (لقد جئن نساء الجن) وذكر الأبيات الثلاثة السابقة.

وروى ابن شهرآشوب في المناقب عن ابن بطة في الإبانة من نوحهم:

نساء الجن يبكين ... من الحزن شجيات
وأسعدن بنوح للنـ ... ساء الهاشميات
ويندبن حسينا عظـ ... مت تلك الرزيات

ويلطمن البيتين السابقين.

وروى الصدوق في الأمالي وابن قولويه في الكامل بسندين يدخل أحدهما في الآخر عن أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله أنها قالت ما سمعت نوح الجن منذ قبض النبي صلى الله عليه وآله إلا الليلة ولا أراني إلا وقد أُصبت بابني قالت وجاءت الجنية منهم تقول:

ألا يا عين فانهملي بجهد فمن يبكي على الشهداء بعدي
على رهط تقودهم المنايا إلى متجبر في ملك عبد

ورواه ابن شهرآشوب في المناقب عن أمالي النيسابوري والطوسي مثله.

وفي البحار عن المناقب القديم عن شهردار الديلمي عن محمود بن إسماعيل عن أحمد بن ناز شاه قال وأخبرني أبو علي مناولة عن أبي نعيم الحافظ قالا أخبرنا الطبراني عن القاسم بن عباد الخطابي سويد بن سعيد بن عمرو ابن ثابت مثله إلا أنه قال (فاحتفلي بجهد).

وفي البحار أيضاً عن المناقب لما نزل الحسين الخزيمية أقام بها يوماً وليلة فلما أصبح أقبلت إليه أخته زينب فقالت يا أخي أخبرك بشيء سمعته البارحة فقال وما ذاك فقالت خرجت في بعض الليل لقضاء حاجة فسمعت هاتفاً يهتف وهو يقول:

ألا يا عين فاحتفلي بجهد ومن يبكي على الشهداء بعدي
على قوم تسوقهم المنايا بمقدار إلى إنجاز وعد

فقال لها الحسين عليه السلام يا أختاه كل الذي قضي فهو كائن.

وفي البحار قال ابن نما في مثير الأحزان ناحت عليه الجن وكان نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله منهم المسور بن مخزمة يستمعون النوح ويبكون.

وفيه أيضاً روي أن هاتفاً سمع بالبصرة ينشد ليلاً:

إن الرماح الواردات صدورها نحو الحسين تقاتل التنزيلا

ويهللون بأن قتلت وإنما ... قتلوا بك التكبير والتهليلا
فكأنما قتلوا أباك محمدا ... صلى عليه الله أو جبريلا

انتهى. (وروى) ابن شهرآشوب في المناقب عن ابن بطة في الإبانة أنه سمع من نوحهم:

أيا عين جودي ولا تجمدي ... وجودي على الهالك السيد
فبالطف أمسى صريعا فقد ... رزينا الغداة بأمر بدي[١]

قال ومن نوحهم:

احمرت الأرض من قتل الحسين كما ... أخضر عند سقوط الجونة العلق[٢]
يا ويل قاتله يا ويل قاتله ... فإنه في سعير النار يحترق

قال ومن نوحهم:

أبكي ابن فاطمة الذي ... من قتله شاب الشعر
ولقتله زلزلتم ... ولقتله خسف القمر

قال وسمع نوح جن ممن قصدوه لموازرته:

والله ما جئتكم حتى بصرت به ... بالطف منعفر الخدين منحورا

انتهى. (وروى) المفيد في المجالس والشيخ الطوسي في الأمالي بسنديهما عن المحفوظ بن المنذر قال حدثني شيخ من بني تميم كان يسكن الرابية قال سمعت أبي يقول ما شعرنا بقتل الحسين

---

(١) بديع غريب.
(٢) في الصحاح الجونة عين الشمس وإنما سميت جونة عند مغيبها لأنها تسود حين تغيب والعلق الدم الغليظ ولعل الصواب أحمر عند سقوط الجونة الأفق. (المؤلف). أقول وفي هذا الشعر دلالة على ما ورد في الأحاديث من بداية ظهور الحمرة في الأفق لأول مرة وبدايتها بالظهور من حين مقتل الإمام الحسين عليه السلام (المحقق).

حتى كان مساء ليلة عاشوراء فإني لجالس بالرابية ومعي رجل من الحي فسمعنا هاتفاً يقول:

والله ما جئتكم حتى بصرت به | بالطف منعفر الخدين منحورا
وحوله فتية تدمى نحورهم | مثل المصابيح يطفون الدجى نورا
وقد حثثت قلوصي كي أصادفهم | من قبل ما أن يلاقوا الخرد الحورا
فعاقني قدر والله بالغه | وكان أمراً قضاه الله مقدورا
كان الحسين سراجاً يستضاء به | الله يعلم أني لم أقل زورا
صلى الإله على جسم تضمنه | قبر الحسين حليف الخير مقبورا
مجاوراً لرسول الله في غرف | وللوصي وللطيار مسرورا

فقلنا له من أنت يرحمك الله قال أنا من جن نصيبين أردنا موازرة الحسين ومواساته بأنفسنا فانصرفنا من الحج فأصبناه قتيلاً. انتهى.

وروى ابن قولويه في الكامل بسنده عن الباقر عليه السلام قال لما هم الحسين عليه السلام بالشخوص إلى المدينة أقبلت نساء بني عبد المطلب إلى أن قال وأقبلت بعض عماته تبكي وتقول اشهد يا حسين لقد سمعت الجن ناحت بنوحك وهم يوقلون:

وإن قتيل الطف من آل هاشم | أذل رقاباً من قريش فذلت
حبيب رسول الله لم يك فاحشاً | أبانت رزاياه الأنوف وجلت

وقلن أيضاً:

ابكوا حسيناً سيداً | ولقتله شاب الشعر
ولقتله زلزلتم | ولقتله انكسف القمر
واحمرَّ آفاق السما | ء من العشية والسحر

وتغيرت شمس البلا د لهم وأظلمت الكور
ذاك ابن فاطمة المصا ب به الخلائق والبشر
أورثتنا ذلاً به جدع الأنوف مع الغرر

وروى في الكتاب المذكور بسنده عن عبد الله بن حسان الكناني قال بكت الجن على الحسين بن علي بن أبي طالب فقالت:

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بأهل بيتي وإخواني ومكرمتي من بين أسرى وقتلى ضرّجوا بدم

وروى في الكتاب المذكور بسنده عن داود الرقي قال حدثتني جدتي أن الجن لما قتل الحسين عليه السلام بكت عليه بهذه الأبيات:

يا عين جودي بالعبر وابكي فقد حق الخبر
ابكي ابن فاطمة الذي ورد الفرات فما صدر
الجن تبكي شجوها لما أتى منه الخبر
قتل الحسين ورهطه تعساً لذلك من خبر
فلأبكينك حرقة عند العشاء وبالسحر
ولأبكينك ما جرى عرق وما حمل الشجر

وروى في الكتاب المذكور بسنده عن الوليد بن غسان عمن حدثه قال كانت الجن تنوح على الحسين بن علي عليه السلام فتقول:

لمن الأبيات بالطـ ف على كره بنينه
تلك أبيات حسين يتجاوبن الرنينه

وروى في الكتاب المذكور بسنده عن علي بن الحزور قال سمعت ليلي نوح الجن على الحسين بن علي وهي تقول:

يا عين جودي بالدموع فإنما يبكي الحزين بحرقة وتوجع

يا عين ألهاك الرقاد بطيبه عن ذكر آل محمد فلتدمعي (ظ)
باتت ثلاثاً بالصعيد جسومهم بين الوحوش وكلهم في مصرع

وفي البحار عن بعض كتب المناقب المعتبرة بإسناده عن هند بنت الجون في حديث نزول رسول الله ﷺ بخيمة خالتها أم معبد الخزاعية في هجرته إلى المدينة المشار إليه في الأمر الثاني ومجه الماء على عوسجة إلى جنب خيمتها وفي آخر الحديث قال عبد الله بن محمد الأنصاري فلقيت دعبل بن علي الخزاعي بمدينة رسول الله ﷺ فحدثته بهذا الحديث فلم ينكره وقال حدثني أبي عن جدي عن أمه سعيدة (سعدى خ ل) بنت مالك الخزاعية أنها أدركت تلك الشجرة وأنها سمعت ليلة قتل الحسين نوح الجن تحت تلك الشجرة فحفظت منه:

يا ابن الشهيد ويا شهيدا عمه خير العمومة جعفر الطيار
عجباً لمصقول أصابك حده في الوجه منك وقد علاه غبار

قال دعبل فقلت في قصيدتي:

زر خير قبر بالعراق يزار واعص الحمار فمن نهاك حمار
لم لا أزورك يا حسين لك الفدا قومي ومن عطفت عليه نزار
ولك المودة في قلوب ذوي النهي وعلى عدوك مقتة ودمار
يا ابن الشهيد ويا شهيداً عمه خير العمومة جعفر الطيار

ومر في الأمر الثاني أنه سمع مناد ببيت المقدس ينادي في جوف الليل (أترجو أمة قتلت حسيناً) الأبيات الثلاثة وأن أم سلمة سمعت ليلة قتله قائلاً يقول (أيها القاتلون ظلماً حسيناً) البيتين.

هذا وربما يستعظم الخصم ويستنكر روايات نوح الجن على

الحسين عليه السلام مع رواية ثقات أصحابه لها كابن حجر وسبط ابن الجوزي والطبري وابن الأثير وغيرهم كما سمعت وينسبنا فيها إلى المغالاة على عادته في كل ما يعود إلى فضائل أهل البيت الطاهر مع رواية أجلاء أصحابه نوح الجن على الخليفة عمر بن الخطاب.

ففي كتاب سيرة عمر بن الخطاب للإمام جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي[١] ما لفظه:

الباب الثاني والسبعون في ذكر نوح الجن عليه عن ثمامة بن عبد الله بن أنس قال بينما عمر بن الخطاب يسير فيما بين مكة والمدينة في آخر حجة حجها إذ سمع هاتفاً يهتف بهذه الأبيات فطلب فلم يوجد قال زيد فحدثني عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن عائلة قالت ناحت الجن على عمر:

جزى الله خيراً من أمير وباركت ... يد الله في ذاك الإهاب الممزق
وليت أموراً ثم غادرت مثلها ... فوائح في أكمامها لم تفتق
فمن يسع أو يركب جناحي نعامة ... ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق
وما كنت أخشى أن تكون وفاته ... بكفي سبنتى أزرق العين مطرق
فيا لقتيل بالمدينة أظلمت ... له الأرض واهتز العضاه بأسوق
فلقاك ربي في الجنان تحية ... ومن كسوة الفردوس لا تتخرق

عن سليمان بن يسار ناحت الجن على عمر:

عليك سلام من أمير وباركت ... يد الله في ذاك الأديم الممزق
قضيت أموراً ثم غادرت بعدها ... بوائق في أكمامها لم تفتق

(١) صحة ٢٢٨ طبع مصر.

فمن يسع أو يركب جناحي نعامة ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق
أبعد قتيل بالمدينة أظلمت له الأرض واهتز العضاه بأسوق

عن معروف بن أبي معروف قال لما أصيب عمر سمع قائلاً يقول:

ليبك على الإسلام من كان باكياً فقدوا أوشكوا هلكاً وما بعد العهد
وأدبرت الدنيا وأدبر خيرها وقد ملها من كان يؤمن بالوعد

محمد بن ثابت البناني عن أبيه عن عائشة أنها قالت فوالله أنه (أي عمر) لمسجى بيننا إذ سمعنا صوتاً من جانب البيت لا ندري من أي يجيء.

ليبك على الإسلام من كان باكياً فقد أوشكوا هلكاً وما قدم العهد
وأدبرت الدنيا وأدبر خيرها وقد ملها من كان يؤمنه الوعد

انتهى ما ذكره ابن الجوزي.

الفصل الثاني

في رثاء الأموات بالشعر وذكر صفاتهم وتعداد مناقبهم ومآثرهم ومحامدهم وإنشاء ذلك واستنشاده وتهييج الحزن به

والحق جواز ذلك بل رجحانه إذا كان الميت من أهل المكانة عند الله تعالى وكان في رثائه وتعداد مناقبه تعظيماً للشعائر وحثاً على الاقتداء به في ذلك إلى غير ذلك من المرجحات وقد فعل ذلك من عهد آدم أبي البشر عليه السلام واستمرت عليه ذريته إلى يومنا هذا وفعله الصحابة في عصر النبي صلى الله عليه وآله وحضوره وبعده والتابعون واستمر عليه المسلمون في كل عصر وجيل بدون نكير وتسالمت عليه جميع الأمم وأهل الأديان في جميع الأعصار ولم يدل دليل من الشرع على منعه (والرثاء) نوع من المدح إلا إنه اشتهر إطلاق المدح على مدح الأحياء وإطلاق الرثاء على مدح الأموات والمدح في الحياة جائز اتفاقاً ما لم يشتمل على محرم آخر من كذب أو مدح من لا يستحق المدح لكونه من أعداء الله وفي مدحه ضرر بالدين وليس إلى مدحه ضرورة وقد مدح النبي صلى الله عليه وآله في حياته وبعد وفاته وعفى عن كعب بن زهير بن أبي سلمى حين مدحه بقصيدته المشهورة المعروفة ببانت سعاد وبردة البوصيري تتلى كما يتلى القرآن ويتبرك بها وكذلك همزيته ويزيد

الرثاء على المدح أنه قد يشتمل على التفجع لفقد المرثي وتهييج الحزن عليه ويكفي في جواز هذا ما تقدم في الفصل الأول.

ويظهر من القسطلاني في إرشاد الساري التفصيل في التحريم بين أفراد الرثاء حيث قال في شرح باب رثى النبي ﷺ سعد بن خولة من صحيح البخاري[١] ما لفظه المراد هنا توجعه عليه الصلاة والسلام وتحزنه على سعد لكونه مات بمكة بعد الهجرة منها لا مدح الميت وذكر محاسنه الباعث على تهييج الحزن وتجديد اللوعة إذ الأول مباح بخلاف الثاني فإنه منهي عنه وقد أطلق الجوهري الرثاء على عد محاسن الميت مع البكاء وعلى نظم الشعر فيه والأوجه حمل النهي على ما فيه تهييج الحزن كما مر أو على ما يظهر فيه تبرم أو على فعله مع الاجتماع له أو على الإكثار منه دون ما عدا ذلك فما زال كثير من الصحابة وغيرهم من العلماء يفعلونه وقد قالت فاطمة بنت النبي (ماذا على من شم تربة أحمد) وذكر البيتين الآتيين. انتهى.

أقول التفصيل الذي استوجهه غير وجيه فإن ما فعله الصحابة والتابعون والعلماء وأئمة أهل البيت الطاهر مما مر ويأتي كله أو جله مشتمل على ما فيه تهييج الحزن وأي شيء يهيج الحزن أكثر من قول سيدة النساء في أبيها مما استشهد به القسطلاني وغيره ومما قالته صفية وغيرها مما يأتي أما قوله أو يظهر فيه تبرم فما ندري ما يريد بهذا التبرم وهل المصاب الحزين مسرور مغبوط بما أصيب به غير متبرم نعم ما يدل على السخط لقضاء الله تعالى محرم بلا ريب ولا

---

(١) صفحة ٣٩٠ من الجزء الثاني في كتاب الجنائز.

كلام لأحد فيه أما حمله هذه النواهي المزعومة على صورة الاجتماع فحمل بلا دليل وجمع تبرعي غير مقبول وكذلك الحمل على الإكثار مع أن الإكثار قد وقع من فعل الصحابة بلا نكير كما ستعرف.

بل وقع الإكثار من الخنساء الصحابية في حق أخيها الكافر صخر بل أخويها صخر ومعاوية ولم ينكر عليها أحد بل كانوا يقرونها على ذلك.

فهذه النواهي المزعومة على فرض وجودها وصحتها تحمل على الكراهة في حق غير من يستحق التعظيم كما قرر في الأصول من حمل النهي الظاهر في التحريم على الكراهة إن وجد النص على الإباحة تقديماً للنص على الظاهر الذي هو قرينة على الخروج عن الظاهر.

ونحن نذكر نبذاً مما وقع من المراثي المنقولة عن الصحابة وبعض الأنبياء وغيرهم بدون استقصاء لأن ذلك يحتاج إلى مجلدات.

رثاء آدم عليه السلام لولده هابيل

قال الطبري في تاريخه[1] ما لفظه وذكر أن قابيل لما قتل أخاه هابيل بكاه آدم فقال فيما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن غياث بن إبراهيم عن أبي إسحاق الهمداني قال: قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لما قتل ابن آدم أخاه بكاه آدم فقال:

تغيرت البلاد ومن عليها ... فلون الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون ... وقلّ بشاشة الوجه المليح[2]

(١) صفحة ٧٢ الجزء الأول.
(٢) فيه الإقواء المعروف عند العرب. (المؤلف).

انتهى (وفي الكامل) لابن الأثير[١] أنه روى العلماء عن علي بن أبي طالب أن آدم لما قتل هابيل وذكر البيتين ثم قال في أبيات غيرها. انتهى.

مراثي النبي ﷺ

لما قبض النبي ﷺ رثته الصحابة بما ينبو عن الحصر ونحن ذاكرون طرفاً منه.

رثاء الزهراء عليها السلام لأبيها ﷺ

فرثته ابنته وبضعته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وشبيهة مريم ابنة عمران عليها السلام بأبيات تهيج الأحزان وتثير البلابل والأشجان.

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد[٢] وقفت فاطمة عليها السلام على قبر أبيها ﷺ فقالت:

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها وغاب مذ غبت عنا الوحي والكتب
فليت قبلك كان الموت صادفنا لما نعيت وحالت دونك الكثب

(انتهى) (وقال) ابن الأثير في نهايته وصاحب تاج العروس في الحديث أن فاطمة قالت بعد موت النبي ﷺ:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كان شاهدها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها فاختل قومك فاشهدهم ولا تغب[٣]

(١) صفحة ٢٠ من الجزء الأول طبع عام ١٣٠١.
(٢) في أوائل الجزء الثاني.
(٣) فيه الإقواء المعروف عند العرب. (المؤلف).

وقالت عليها السلام أيضاً ترثيه ﷺ أوردهما القاري في شرح الشمائل للترمذي[١] قال روي في شرح السنة عن أنس قال قالت فاطمة[٢] يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله ﷺ زاد بعضهم وأخذت من تراب القبر فوضعته على عينها وأنشدت. انتهى. وأوردهما القسطلاني في إرشاد الساري شرح صحيح البخاري[٣] وأوردهما دحلان في السيرة النبوية[*] قال لما دفن ﷺ قالت فاطمة أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب وأخذت من تراب القبر الشريف ووضعته على عينيها وأنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو أنها ... صبت على الأيام عدن لياليا

وقالت أيضاً ترثيه ﷺ أورده دحلان في سيرته:

إغبر آفاق السماء وكورت ... شمس النهار وأظلم العصران
والأرض من بعد النبي كئيبة ... أسفاً عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها ... وليبكه مضر وكل يمان

رثاء صفية بنت عبد المطلب للنبي ﷺ

ورثته عمته صفية بنت عبد المطلب فقالت أورده ابن عبد البر في الاستيعاب مسنداً:

---

(١) صفحة ٢٦٣ من الجزء الثاني.
(٢) سيأتي نقل ذلك عنها عليها السلام مع زيادة في الفصل الثالث (المؤلف).
(٣) في موضعين من الجزء الثاني في باب الرجل ينعى إلى الميت نفسه صفحة ٣٦٣ وفي باب رثي النبي ﷺ سعد بن خولة صفحة ٣٩٠.
(*) ص ٤٠٢، ج٣، بهامش السيرة الحلبية طبع عام ١٣٢٠.

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا براً ولم تك جافيا
وكنت رحيماً هادياً ومعلماً ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكي النبي لفقده ولكن لما أخشى من الهرج آتيا
كأن على قلبي لذكر محمد وما خفت من بعد النبي المكاويا
أفاطم صلى الله رب محمد على جدث أمسى بيثرب ثاويا
فداً لرسول الله أمي وخالتي وعمي وآبائي ونفسي وماليا
صدقت وبلغت الرسالة صادقاً ومت صليب العود أبلج صافيا
فلو أن رب الناس أبقى نبينا سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية وأدخلت جنات من العدن راضيا
أرى حسناً يتمته وتركته يبكي ويدعو جده اليوم نائيا

مراثي حسان بن ثابت للنبي ﷺ

ورثاه ﷺ حسان بن ثابت بهذه القصيدة أوردها ابن هشام في سيرته وتركنا بعضها:

بطيبة رسم للرسول ومعهد منير وقد تعفو الرسوم وتَهمَد
ولا تنمحي الآيات من دار حرمة بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وواضح آثار وباقي معالم وربع له فيه مصلى ومسجد
عرفت بها رسم الرسول وعهده وقبراً بها واراه في الترب ملحد
ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت عيون ومثلاها من الجن تسعد
يذكرن آلاء الرسول وما أرى لها محصياً نفسي فنفسي تبلد
مفجعة قد شفها فقد أحمد فظلت لآلاء الرسول تعدد
أطالت وقوفاً تذرف العين جهدها على طلل القبر الذي فيه أحمد
فبوركت يا قبر النبي وبوركت بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد

وبورك لحد منك ضمن طيبا عليه بناء من صفيح منضد
لقد غيبوا حلماً وعلماً ورحمة عشية علّوه الثرى لا يوسد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
تبكون من تبكي السماوات يومه ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد
وهل عدلت يوماً رزية هالك رزية يوم مات فيه محمد
تقطع فيه منزل الوحي عنهم وقد كان ذا نور يغور وينجد
يدل على الرحمن من يقتدي به وينقذ من هول الخزايا ويرشد
إمام لهم يهديهم الحق جاهداً معلم صدق أن يطيعوه يسعدوا
وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله فمن عنده تيسير ما يتشدد
فبينا هم في نعمة الله بينهم دليل به نهج الطريقة يقصد
عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى حريص على أن يستقيموا ويهتدوا
فبينا هم في ذلك النور إذ غدا إلى نورهم سهم من الموت مقصد
وأمست بلاد الحرم وحشاً بقاعها لغيبة ما كانت من الوحي تعهد
وبالجمرة الكبرى له ثَم أوحشت ديار وعرصات وربع ومولد
فبكي رسول الله يا عين عبرة ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد
ومالك لا تبكين ذا النعمة التي على الناس منها سابغ يتغمد
فجودي عليه بالدموع واعولي لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد
وما فقد الماضون مثل محمد ولا مثله حتى القيامة يفقد
اعف وأوفي ذمة بعد ذمة واقرب منه نائلاً لا ينكد
وأكرم صيتاً في البيوت إذا انتمى وأكرم جداً أبطحياً يسود
وامنع ذروات واثبت في العلى دعائم عز شاهقات تشيد
تناهت وصاة المسلمين بكفه فلا العلم محبوس ولا الرأي يفند

وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكي رسول الله ﷺ أوردها ابن هشام في سيرته وتركنا بعضها:

ما بال عينك لا تنام كأنما كحلت مآقيها بكحل الأرمد
جزعاً على المهدي أصبح ثاوياً يا خير من وطئ الحصى لا تبعد
وجهي يقيك الترب لهفي ليتني غيبت قبلك في بقيع الغرقد
بأبي وأمي من شهدت وفاته في يوم الاثنين النبي المهتدي
يا بكر آمنة المبارك بكرها ولدته محصنة بسعد الأسعد
نوراً أضاء على البرية كلها من يهد للنور المبارك يهتدي
والله اسمع ما بقيت بهالك ألا بكيت على النبي محمد
صلى الإله ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك أحمد

وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكي رسول الله ﷺ أوردها ابن هشام في سيرته وتركنا بعضها:

كان الضياء وكان النور نتبعه بعد الإله وكان السمع والبصرا
فليتنا يوم واروه بملحده وغيبوه وألقوا فوقه المدرا
لم يترك الله منا بعده أحداً ولم يعش بعده أنثى ولا ذكرا
ذلت رقاب بني النجار كلهم وكان أمراً من أمر الله قد قدرا
واقتسم الفيء دون الناس كلهم وبددوه جهاراً بينهم هدرا

وقال حسان بن ثابت يبكيه أيضاً أوردها ابن هشام في سيرته وتركنا بعضها:

تالله ما حملت أنثى ولا وضعت مثل الرسول نبي الأمة الهادي
ولا برى الله خلقاً من بريته أوفى بذمة جار أو بميعاد
من الذي كان فينا يستضاء به مبارك الأمر ذو عدل وإرشاد
يا أفضل الناس إني كنت في نهر أصبحت منه كمثل المفرد الصادي

رثاء أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم للنبي ﷺ

قال في الاستيعاب وكان من الشعراء المطبوعين وقال أيضاً ذكر ابن إسحاق أن أبا سفيان بن الحارث بكى النبي ﷺ كثيراً ورثاه فقال:

أرقت فبات ليلي لا يزول ... وليل أخي المصيبة فيه طول
فأسعدني البكاء وذاك فيما ... أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت ... عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها ... تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه ... نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا ... بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا ... علينا والرسول لنا دليل
أفاطم إن جزعت فذاك عذر ... وإن لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر ... وفيه سيد الناس الرسول

رثاء أبي ذؤيب الهذلي للنبي ﷺ

ورثاه أبو ذؤيب الهذلي بأبيات رواها ابن عبد البر في الاستيعاب مسندة واخترنا منها هذين البيتين:

كسفت لمصرعه النجوم وبدرها ... وتزعزعت آطام بطن الأبطح
وتزعزعت أجبال يثرب كلها ... ونخيلها لحلول خطب مفدح

وروى ابن عبد البر أيضاً في الاستيعاب عن محمد بن إسحاق

بسنده عن أبي ذؤيب قال بلغنا أن رسول الله ﷺ عليل فاستشعرت حزناً وبت بأطول ليلة حتى إذا كان قرب السحر أغفيت فهتف بي هاتف وهو يقول:

خطب أجل أناخ بالإسلام بين النخيل ومعقد الآطام
قبض النبي محمد فعيوننا تذري الدموع عليه بالتسجام

رثاء أبي الهيثم ابن التيهان للنبي ﷺ

ورثاه ﷺ أبو الهيثم بن التيهان بقصيدة أورد منها ابن حجر في إصابته هذا البيت

لقد جدعت آذاننا وأنوفنا غداة فجعنا بالنبي محمد

رثاء أم رعلة للنبي ﷺ

ورثته أم رعلة القشيرية بقصيدة رواها ابن حجر في إصابته عن المستغفري وذكر حديثاً قال فيه فذكر لها قصة في الحزن على النبي ﷺ وتطوافها بالحسن والحسين أزقة المدينة تبكي عليه قال وأنشد لها مرثية منها:

يا دار فاطمة المعمور ساحتها هيجت لي حزناً حييت من دار

إلى أن قال وقال في آخر الحديث فهاجت المدينة مأتماً فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وأهلها يبكون. انتهى.

رثاء عامر بن الطفيل للنبي ﷺ

ورثاه ﷺ عامر بن الطفيل بقصيدة أورد ابن حجر في إصابته منها هذين البيتين:

بكت الأرض والسماء على النو ... ر الذي كان للعباد سراجا
من هدينا به إلى سبل الحق ... وكنا لا نعرف المنهاجا

رثاء سواد بن قارب للنبي ﷺ

ورثاه سواد بن قارب حكاها في حسن الصحابة عن السهيلي في الروض الأنف وتركنا بعضها:

أبقى لنا فقد النبي محمد ... صلى عليه الله ما يعتاد
حزناً لعمرك في الفؤاد مخامرا ... أم هل لمن فقد النبي فؤاد
كنا نحل به جناباً ممرعا ... جف الجناب فأجدب الرواد
فبكت عليه أرضنا وسماؤنا ... وتصدعت وجداً به الأكباد
لو قيل تفدون النبي محمدا ... بذلت له الأموال والأولاد

مراثي الصحابة

نبذة من مراثي سيد الشهداء

حمزة(١) بن عبد المطلب عم النبي شهيد أحد

رثاء صفية بنت عبد المطلب أخاها حمزة

قالت صفية بنت عبد المطلب ترثي أخاها حمزة حكاه ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق:

أسائلة أصحاب أحد مخافة ... بنات أبي من أعجم وخبير
فقال الخبير أن حمزة قد ثوى ... وزير رسول الله خير وزير
دعاه إله الحق ذو العرش دعوة ... إلى جنة يحيى بها وسرور
فذلك ما كنا نرجي ونرتجي ... لحمزة يوم الحشر خير مصير
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا ... بكاءً وحزناً محضري ومسيري
على أسد الله الذي كان مِدْرَهاً(٢) ... يذود عن الإسلام كل كفور

(١) حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ أسن منه بسنتين وقيل بثلاث سنوات وهو أخو النبي محمد ﷺ بالرضاعة حيث أرضعتهما توبة وقيل ثوبة مولاة أبي لهب وقيل مولاة أبي طالب وقال ابن قتيبة أرضعتهما امرأة من قريش من أهل مكة وقيل أن أمه هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فهو ابن خالة الرسول ﷺ بناءاً على هذا القول وهو ضعيف عندي وإن ورد في الكتب لقولنا أن آمنة وحيدة لوالدها كما ذكرنا في بعض مؤلفاتنا فلا تغفل. استشهد حمزة في معركة أحد ثاني معارك الإسلام. المحقق.

(٢) المدره زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم والذي يرجعون إلى رأيه والميم زائدة. (نهاية).

فيا ليت شلوي عند ذاك واعظمي لدى أضبع تعتادني ونسور
أقول وقد أعلى النعي عشيرتي جزى الله خيراً من أخ ونصير

مراثي كعب بن مالك في حمزة بن عبد المطلب

قال ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة حمزة بن عبد المطلب (ما لفظه وأنشد أبو زيد عمر بن شبه لكعب بن مالك يرثي حمزة وقال ابن إسحاق هو لعبد الله بن رواحة). انتهى. (أقول) حكى ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق أنه نسبها لعبد الله بن رواحة قال ابن هشام أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك:

بكت عيني وحق لها بكاها وما يغني البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا لحمزة ذاكم الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعاً هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الأركان هدت وأنت الماجد البر الوصول
عليك سلام ربك في جنان يخالطها نعيم لا يزول
ألا يا هاشم الأخيار صبراً فكل فعالكم حسن جميل
رسول الله مصطبر كريم بأمر الله ينطق إذ يقول

في أبيات أخر تركناها لأنها لا تتعلق بالرثاء.

وفي سيرة ابن هشام قال ابن إسحاق وقال كعب بن مالك (الأنصاري) يبكي حمزة بن عبد المطلب وقتلى أحد من المسلمين:

نشجت وهل لك من مُنِشج وكنت متى تذكر تلجج
تذكر قوم أتاني لهم أحاديث في الزمن الأعوج
فقلبك من ذكرهم خافق من الشوق والحزن المُنضَج
وقتلى همو في جنان النعيـ ـم كرام المداخل والمخرج

بما صبروا تحت ظل اللواء ... لواء الرسول بذي الأضوَج[١]
غداة أجابت بأسيافها ... جميعاً بنو الأوس والخزرج
وأشياع أحمد إذ شايعوا ... على الحق ذي النور والمنهج
فما برحوا يضربون الكماة ... ويمضون في القسطل المرهج
كحمزة لما وفى صادقاً ... بذي هِبَّة[٢] صارم سلْجَج[٣]

في أبيات أخر تركنا ذكرها.

وقال كعب بن مالك يبكي حمزة بن عبد المطلب أيضاً أوردها ابن هشام في سيرته وتركنا يسيراً منها وهي من غرر الشعر.

طرقت همومك فالرقاد مسهد ... وجزعت أن سلخ الشباب الأغيد
ودعت فؤادك للهوى ضمريه[٤] ... فهواك غوري وصحوك[*] منجد
فدع التمادي في الغواية سادرا[٥] ... قد كنت في طلب الغواية تفند[٦]
ولقد أتى لك أن تناهى طائعاً ... أو تستفيق إذا نهاك المرشد
ولقد هددت لفقد حمزة هدة ... ظلت بنات الجوف منها ترعد
ولو أنه فجعت حراء[٧] بمثله ... لرأيت رأسي صخرها يتبدد
قرم تمكن في ذؤابة هاشم ... حيث النبوة والندى والسؤدد
والعاقر الكوم الجلاد[٨] إذا غدت ... ريح يكاد الماء فيها يجمد

---

(١) بفتح الواو موضع بقرب المدينة.
(٢) بكسر الهاء وتشديد الموحدة المفتوحة مضاء في الضريبة.
(٣) السلجج الماضي الذي يقطع الضريبة بسهولة. (المؤلف).
(٤) منسوبة إلى بني ضمرة.
(*) الإفاقة من الهوى.
(٥) لاهياً.
(٦) أفند تكلم بالفند أي الكذب.
(٧) مكان.
(٨) قيل هي الغزيرة اللبن وأظن أنها جمع جليدة أي قوية.

والتارك القرن الكمي مجدلاً ... يوم الكريهة والقنا يتقصد
وتراه يرفل في الحديد كأنه ... ذو لبدة شثن البراثن أربد
عم النبي محمد وصفيه ... ورد الحمام فطاب ذاك المورد
وأتى المنية معلماً في أسرة ... نصروا النبي ومنهم المستشهد
ولقد إخال بذاك هنداً بشرت ... لتميت داخل غصة لا تبرد
مما صبحنا بالعقنقل[(١)] قومها ... يوما تغيب فيه عنها الأسعد
وببئر بدر إذ يرد وجوههم ... جبريل تحت لوائنا ومحمد
حتى رأيت لدى النبي سراتهم ... قسمين نقتل من نشاء ونطرد
فأتاك بفل المشركين كأنهم ... والخيل تثقفهم نعام شرد
شتان من هو في جهنم ثاوياً ... أبداً ومن هو في الجنان مخلد

وقال كعب بن مالك يبكي حمزة أيضاً أورده ابن هشام في سيرته:

صفية قومي ولا تعجزي ... وبكي النساء على حمزة
ولا تسأمي أن تطيلي البكا ... على أسد الله في الهزة
فقد كان عزاً لأيتامنا ... وليث الملاحم في البزة
يريد بذاك رضا أحمد ... ورضوان ذي العرش والعزة

وقال حسان بن ثابت يبكي حمزة بن عبد المطلب حكاها ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق وتركنا بعض أبياتها:

أتعرف الدار عفا رسمها ... بعدك صوب المسبل الهاطل
دع عنك داراً قد عفا رسمها ... وابك على حمزة ذي النائل

(١) الرمل المتلبد والمراد به الكثيب الذي نزلت خلفه قريش يوم بدر. (المؤلف).

المـائـئ الـشـيـزي إذا عـصـفـت … غـبـراء فـي ذي الـشـيـم الـمـاحـل
والـتـارك الـقـرن لـدى لـبـدة … يـعـثـر فـي ذي الـخـرص الـذابـل
والـلابـس الـخـيـل إذا أحـجـمـت … كـالـلـيـث فـي غـابـتـه الـبـاسـل
أبـيـض فـي الـذروة مـن هـاشـم … لـم يـمـر دون الـحـق بـالـبـاطـل
مـال شـهـيـداً بـيـن أسـيـافـكـم … شـلـت يـداً وحـشـي مـن قـاتـل
أظـلـمـت الأرض لـفـقـدانـه … واسـود نـور الـقـمـر الـنـاصـل
صـلـى عـلـيـه الله فـي جـنـة … عـالـيـة مـكـرمـة الـداخـل
كـنـا نـرى حـمـزة حـرزاً لـنـا … فـي كـل مـا أمـر بـنـا نـازل
وكـان فـي الإسـلام ذا تـدرؤ … يـكـفـيـك فـقـد الـقـاعـد الـخـاذل
لا تـفـرحـي يـا هـنـد واسـتـحـلـبـي … دمـعـاً وأذري عـبـرة الـثـاكـل

وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكي حمزة بن عبد المطلب ومن أصيب من أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد حكاه ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق وأسقطنا شيئاً منها:

يـا مـي قـومـي فـانـدبـي … بـسـحـيـرة شـجـو الـنـوائـح
أصـحـاب أحـد غـالـهـم … دهـر ألـم لـه جـوارح
مـن كـان فـارسـنـا وحـا … مـيـنـا إذا بـعـث الـمـسـالـح
يـا حـمـزة والله لا … أنـسـاك مـا صـر الـلـقـائـح
لـمـنـاخ أيـتـام وأضـ … ـيـاف وأرمـلـة تـلامـح
ولـمـا يـنـوب الـدهـر فـي … حـرب لـحـرب وهـي لاقـح
يـا فـارسـاً يـا مِـدْرهـاً[1] … يا حـمـزة قـد كـنـت الـمـصـامـح[2]

---

(١) المدره زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم والذي يرجعون إلى رأيه (نهاية).
(٢) المصافح خ ل.

عــنـــا شـــديـــدات الـــخـــطـــو ب إذا يــنــوب لــهـــن فــادح
ذكـــرتـــنـــي أســـد الـــرســـو ل وذاك مـدر هـنـا الـمـنـافـح
عــــنــــا وكــــان يـــعـــد إذ عـد الـشـريـفـون الـجـحـاجـح
يــعــلــو الــقــمــاقــم جــهــرة ســبــط الــيــديــن أغــروا ضــج
بــحــر فــلــيــس يــغــب جــا رأ مــنــه ســيــب أو مــنــادح[1]
أودى شــبــاب أولــي الــحــفــا ئـظ والـثـقـيـلـون الـمـراجـح
لــيــدافــعــوا عــن جــارهــم مـا رام ذو الـضـغـن الـمـكـاشـح
لـــهـــفـــي لـــشـــبـــان رزء نـاهـم كـأنـهـم الـمـصـابـح
شــم بــطــارقــة غــطــا رفـة حـضـارمـة مـسـامـح
الــمــشــتــرون الــحــمــد بــالــ أمـوال أن الـحـمـد رابـح
والــجــامــزون بــلــجــمــهــم يـومـاً إذا مـا صـاح صـائـح
يــا حــمــز قــد أوحــدتــنــي كـالـعـود شـذَّبـه الـكـوافـح
أشــكــو إلــيــك وفــوقــك الـ تـرب الـمـكـرر والـصـفـائـح
مــن جــنــدل يــلــقــيــه فــو قـك إذا جـاد الـضـرح ضـارح
فــي واســع يــحــشــونــه بـالـتـرب سـوتـه الـمـمـاسـح
مــن كــان أمــســى وهــو عــمــ اً أوقـع الـحـدثـان جـانـح
فــلــيــأتــنــا فــلــتــبــك عــيــ نـاه لـهـلـكـانـا الـنـوافـح
الــقــائــلــيــن الــفــاعــلــيــ ن ذوي الـسـمـاحـة والـمـمـادح
مــن لا يــزال نــدى يــديــ ه لـه طـوال الـدهـر مـائـح

---

(١) بعيد أي يصل عطاؤه إلى القريب والبعيد (المؤلف).

رثاء عبيد بن الحارث بن عبد المطلب شهيد بدر

في سيرة ابن هشام قال ابن إسحاق لما هلك عبيدة بن الحارث من مصاب رجله يوم بدر قال كعب بن مالك الأنصاري يبكيه:

أيا عين جودي ولا تبخلي ... بدمعك حقاً ولا تنزري
على سيد هدًنا هلكه ... كريم الشماهد والعنصر
جريء المقدم شاكي السلاح ... كريم الثنا طيب المكسر
عبيدة أمسى ولا نرتجيه ... لعرف عرانا ولا منكر
وقد كان يحمي غداة القتا ... ل حامية الجيش بالمبتر

رثاء جعفر بن أبي طالب وشهداء مؤتة

قال حسان بن ثابت الأنصاري يرثي جعفر بن أبي طالب وأصحاب مؤتة من قصيدة أوردها ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق وتركنا بعضها:

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا ... بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد الله فيمن تتابعوا ... جميعاً وأسباب المنية تخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم ... إلى الموت ميمون النقيبة أزهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم ... أبي إذا سيم الظلامة مجسر
فطاعن حتى مال غير موسد ... بمعترك فيه قنا متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه ... جنان وملتف الحدائق اخضر
وكنا نرى من جعفر من محمد ... وفاء وأمراً حازماً حين يأمر
وما زال في الإسلام من آل هاشم ... دعائم عز لا تزول ومفخر
بهاليل منهم جعفر وابن أمه ... علي ومنهم أحمد المتخير
وحمزة والعباس منهم ومنهم ... عقيل وماء العود من حيث يعصر

بهم تفرج اللأواء في كل مأزق عماس إذا ما ضاق بالناس مصدر
هم أولياء الله أنزل حكمه عليهم وفيهم ذا الكتاب المطهر

وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكي جعفر بن أبي طالب حكاه ابن هشام في سيرته:

ولقد بكيت وعز مهلك جعفر حب النبي على البرية كلها
ولقد جزعت وقلت حين نعيت لي من للجلاد لدى العقاب(١) وظلها
بالبيض حين تسل من أغمادها ضرباً وانهال الرماح وعلها
بعد ابن فاطمة المبارك جعفر خير البرية كلها وأجلها
رزأً وأكرمها جميعاً محتداً وأعزها متظلماً وأذلها
للحق حين ينوب غير تنحل كذباً أنداها يداً وأقلها
فحشا وأكثرها إذا ما يجتدى فضلاً وأنداها يداً وابلها
بالعرف غير محمد لا مثله حي من أحياء البرية كلها

وقال حسان أيضاً في يوم مؤتة يبكي زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة من أبيات أوردها ابن هشام في سيرته وتركنا بعضها:

عين جودي بدمعك المنزور واذكري في الرخاء أهل القبور
واذكري مؤتة وما كان فيها يوم راحوا في وقعة التغوير
حين راحوا وغادروا ثم زيداً نعم مأوى الضريك والمأسور
إن زيداً قد كان منا بأمر ليس أمر المكذب المغرور
ثم جودي للخزرجي بدمع سيداً كان ثم غير نزور
قد أتانا من قتلهم ما كفانا فبحزن نبيت غير سرور

(١) العقاب راية للنبي ﷺ. (المؤلف).

وقال الشاعر المجيد كعب بن مالك الأنصاري يبكي جعفراً وأصحاب مؤتة أورده ابن هشام في سيرته وهي من غرر الشعر:

نام العيون ودمع عينك يهمل ... سحّا كما وكف الطباب المخضل
في ليله وردت علي همومها ... طوراً أخن[١] وتارة أتململ
واعتادني حزن فبت كأنني ... ببنات نعش والسماك موكل
وكأنما بين الجوانح والحشا ... مما تأوبني شهاب مدخل
وجداً على النفر الذين تتابعوا ... يوماً بمؤتة أسندوا لم ينقلوا
صلى الإله عليهم من فتية ... وسقى عظامهم الغمام المسبل
صبروا بمؤتة للإله نفوسهم ... حذراً لردى ومخافة أن ينكلوا
إذ يهتدون بجعفر ولوائه ... قدام أولهم فنعم الأول
حتى تفرجت الصفوف وجعفر ... حيث التقى وعث الصفوف مجدل
فتغير القمر المنير لفقده ... والشمس قد كسفت وكادت تأفل
قرم علا بنيانه من هاشم ... فرعا أشم وسؤدداً ما ينقل
قوم بهم عصم الإله عباده ... وعليهم نزل الكتاب المنزل
فضلوا المعاشر عزة وتكرماً ... وتغمدت أحلامهم من يجهل
لا يطلقون إلى السفاه حباهم ... وترى خطيبهم بحق يفصل
بيض الوجوه ترى بطون أكفهم ... تندى إذا اعتذر الزمان الممحل
وبهديهم رضي الإله لخلقه ... وبحدهم نصر النبي المرسل

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من غزوة مؤتة أورده ابن هشام في سيرته:

كفى حزناً أني رجعت وجعفر ... وزيد وعبد الله في رمس أقبر
ثلاثة رهط قدموا فتقدموا ... إلى ورد مكروه من الموت أحمر

---

(١) الخنين بالخاء المعجمة صوت من البكاء. (المؤلف).

رثاء أصحاب النبي ﷺ المقتولين يوم الرجيع

قال حسان بن ثابت يبكي خُبَيب بن عدي وأصحابه الذين قتلوا يوم الرجيح حكاه ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق (وكان) من خبرهم أنه قدم على رسول الله ﷺ رهط فطلبوا منه أن يرسل معهم من يعلمهم شرائع الإسلام فأرسل معهم ستة من أصحابه فلما كانوا على الرجيع ماء لهذيل غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلاً فأرادوا أن يقاتلوهم فقالوا إنا لا نريد قتلكم بل نريد تسليمكم إلى أهل مكة لنأخذ منهم جائزة فقاتل بعضهم حتى قتل واستسلم خُبَيب وصاحب له فأسروهما ثم أفلت صاحبه في الطريق وأخذ سيفه فقتلوه بالحجارة وسلموا خُبَيباً إلى أهل مكة فصلبوه فقال حسان يبكيهم:

صلى الإله على الذين تتابعوا ... يوم الرجيع فأكرموا وأثيبوا
رأس السرية مرثد وأميرهم ... وابن البكير أمامهم وخُبيب
وابن لطارق وابن دثنة منهم ... وافاه ثم حمامه المكتوب
والعاصم المقتول عند رجيعهم ... كسب المعالي أنه لكسوب
منع المقادة أن ينالوا ظهره ... حتى يجالد أنه لنجيب

وقال حسان بن ثابت يبكيهم أيضاً أورده ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة خالد بن البكير الليثي:

ألا ليتني فيها شهدت ابن طارق ... وزيداً وما تغني الأماني ومرثدا
فدافعت عن حبي خبيب وعاصم ... وكان شفاء لو تداركت خالدا

وقال حسان يبكي منها خبيبا أيضاً حكاه ابن هشام في سيرته:

ما بال عينيك لا ترقا مدامعها ... سحاً على الصدر مثل اللؤلؤ الفلق
على خبيب فتى الفتيان قد علموا ... لا فشل حين تلقاه ولا نزق

فاذهب خبيب جزاك الله طيبة وجنة الخلد عند الله في الرفق
ماذا تقولون إن قال النبي لكم حين الملائكة الأبرار في الأفق
فيم قتلتم شهيد الله في رجل طاغ قد أوعث في البلدان والطرق

وقال أيضاً يبكيه حكاه ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق:

يا عين جودي بدمع منك منسكب وابكي خبيباً مع الفتيان لم يؤب
صقراً توسط في الأنصار منصبه سمح السجية محضاً غير مؤتشب[1]
قد هاج عيني على علات عبرتها إذ قيل نص[2] إلى جذع من الخشب
يا أيها الراكب الغادي لطيته[3] أبلغ لديك وعيداً ليس بالكذب
بني كُهَيبة إن الحرب قد لقحت محلوبها الصاب إذ تمرى لمحتلب
فيها أسود بني النجار تقدمهم شهب الأسنة في معصوصب لجب

رثاء نعم زوجها شماسا الصحابي المقتول بأحد

وقالت نعم تبكي زوجها شماس بن عثمان وأصيب يوم أحد أورده ابن هشام في سيرته:

يا عين جودي بفيض غير أبساس على كريم من الفتيان لباس
صعب البديهة ميمون نقيبته حمال ألوية ركاب أفراس
أقول لما أتى الناعي له جزعاً أودى الجواد وأودى المطعم الكاسي
وقلت لما خلت منه مجالسه لا يبعد الله عنا قرب شماس

قال ابن هشام فأجابها أخوها أبو الحكم بن سعيد بن يربوع فقال:

---

(١) المؤتشب الذي ليس بصريح النسب.
(٢) رفع.
(٣) لحاجته. (المؤلف).

اقني حياءك في ستر وفي كرم فإنما كان شماس من الناس
لا تقتلي النفس إذ حانت منيته في طاعة الله يوم الروع والباس
قد كان حمزة ليث الله فاصطبري فذاق يومئذ من كأس شماس

(أقول) ومن الغريب أن ابن حجر في الإصابة قال أبو سنان بن حريث المخزومي ذكره الزبير بن بكار في ترجمة شماس بن عثمان المخزومي فقال: لما مات عثمان بن شماس قالت بنت حريث المخزومية وكأنها كانت زوجته:

يا عين جودي بدمع غير أمناس وابكي رزية عثمان بن شماس
صعب البديهة ميمون نقيبته حمال ألوية ركاب أفراس
غيث مريع إذا ما أزمة أزمت يبري السهام ويبري قبة الراس
قد قلت لما أتوا ينعونه جزعاً أودى الجواد وأودى المطعم الكاسي

قال ابن بكار وكان استشهد يوم أحد قال فأجابها أخوها أبو سنان بن حريث:

اقني حيائك في ستر وفي خفر فإنما كان عثمان من الناس
لا تقتلي النفس إذ حانت منيته في طاعة الله يوم الروع والباس
قد كان حمزة ليث الله فاصطبري قد ذاق ما ذاق عثمان بن شماس

(انتهى) فانظر إلى هذا التفاوت الذي وقع بين هذين الروايين المشهورين.

مراثي سعد بن معاذ الذي جرح يوم الخندق

وقال رجل من الأنصار في سعد بن معاذ حكاه ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق وابن عبد البر في الاستيعاب:

وما اهتز عرش الله من موت هالك سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو

وقالت أم سعد حين احتمل نعشه وهي تبكيه أورده ابن هشام في سيرته:

ويل أم سعد سعداً صرامة وحدا
وسؤدداً ومجداً وفارساً معدا
سد به مسداً يقد هاماً قدا

قال ابن هشام يقول رسول الله ﷺ كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ. (انتهى). وفيه دلالة على تعارف النياحة في عصره ﷺ ونوع تقرير بل مدح لها.

وقال حسان بن ثابت يبكي سعد بن معاذ أورده ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق وتركنا بعضها:

لقد سجمت من دمع عيني عبرة وحق لعيني أن تفيض على سعد
قتيل ثوى في معرك فجعت به عيون ذواري الدمع دائمة الوجد
على ملة الرحمن وارث جنة مع الشهداء وفدها أكرم الوفد
فإن تك قد ودعتنا وتركتنا وأمسيت في غبراء مظلمة اللحد
فأنت الذي يا سعد ابت بمشهد كريم وأثواب المكارم والحمد
بحكمك في حيي قريظة بالذي قضى الله فيهم ما قضيت على عمد

وقال حسان أيضاً يبكي سعد بن معاذ ورجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ من الشهداء ويذكرهم بما كان فيهم من الخير أوردها ابن هشام في سيرته وتركنا بعضها:

ألا يا لقومي هل لما حم دافع وهل ما مضى من صالح العيش راجع
تذكرت عصراً قد مضى فتهافتت بنات الحشى وانهل منها المدامع

صبابة وجد ذكرتني أخوة ... وقتلى مضى فيها طفيل ورافع
وسعد فأضحوا في الجنان وأوحشت ... منازلهم فالأرض منهم بلاقع
وفوا يوم بدر للرسول وفوقهم ... ظلال المنايا والسيوف اللوامع
دعا فأجابوه بحق وكلهم ... مطيع له في كل أمر وسامع

مراثي قتلى بئر معونة من الصحابة(١)

قال عبد الله بن رواحة يبكي نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي شهيد بئر معونة أورده ابن هشام في سيرته:

رحم الله نافع بن بديل ... رحمة المبتغي ثواب الجهاد
صابر صادق وفي إذا ما ... أكثر القوم قال قول السداد

وقال حسان بن ثابت يبكي قتلى بئر معونة أورده ابن هشام في سيرته:

على قتلى معونة فاستهلي ... بدمع العين سحا غير نزر
على خيل الرسول غداة لاقوا ... ولاقتهم مناياهم بقدر
فيا لهفي لمنذر إذ تولى ... واعنق في منيته بصبر
وكائن قد أصيب غداة ذاكم ... من ابيض ماجد من سر عمرو

رثاء عثمان بن مظعون

في الاستيعاب أنه لما مات عثمان بن مظعون رثته امرأته فقال:

يا عين جودي بدمع غير ممنون ... على رزية عثمان بن مظعون

---

(١) وكان من خبرهم فيما ذكره ابن هشام أن أبا براء قال لرسول الله ﷺ لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد رجوت أن يستجيبوا لك فبعث رسول الله ﷺ جماعة فساروا حتى نزلوا بئر معونة فبعثوا بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل فلم ينظر فيه وقتل الرسول واستنصر عليهم القبائل فقتلوهم. (المؤلف).

على امرئ كان في رضوان خالقه ... طوبى له من فقيد الشخص مدفون
طاب البقيع له سكنى وغرقده ... وأشرقت أرضه من بعد تفتين
وأورث القلب حزناً لا انقطاع له ... حتى الممات وما ترقى له شوقي

رثاء الوليد بن الوليد بن المغيرة أخي خالد بن الوليد

في الاستيعاب قالت أم سلمة زوج النبي ﷺ تبكي الوليد بن المغيرة:

يا عين فابكي للولي ... د بن الويد بن المغيرة
قد كان غيثاً في السني ... ن ورحمة فينا وميره
ضخم الدسيعة ماجداً ... يسمو على طلب الوتيره
مثل الوليد بن الولي ... د أبي الوليد كفى العشيره

رثاء زهير أو عروة الهذلي من الصحابة

قال أبو خراش الهذلي واسمه خويلد بن بمرة وكان في الجاهلية من فتاك العرب ثم أسلم وكان يعدو على قدميه فيسبق الخيل يرثي أخاه أو ابن عمه زهيراً الذي قتله جميل بن معمر الجمحي أسيراً يوم حنين وقيل يوم خيبر وهو مكتوف جاءه من خلفه فقتله وزهير مسلم وقيل قاله في أخيه عروة ابن مرة كما في الاستيعاب في ترجمة أبي خراش الهذلي:

فجع اضيافي جميل بن معمر ... بذي مفخر تأوي إليه الأرامل
طويل نجاد السيف ليس بحيدر[١] ... إذا اهتزوا واسترخت عليه الحمائل

---

(١) قصير.

إلى بيته يأوي الغريب إذا شتا ... ومهتلك بالي الدريسين[١] عائل
تكاد يداه تسلمان رداءه ... من الجود لما استقبلته الشمائل
فاقسم لو لاقيته غير موثق ... لآبك بالجزع الضباع النواهل
وإنك لو واجهته ولقيته ... فنازلته وكنت ممن ينازل
لكنت جميل أسوأ الناس صرعة ... ولكن أقران الظهور مقاتل
فليس كعهد الدار يا أم مالك ... ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل[٢]
وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل ... سوى الحق شيئاً فاستراح العواذل

وقال أبو خراش أيضاً يرثي أخاه عروة أورده في الاستيعاب:

تقول أراه بعد عروة لاهياً ... وذلك رزء ما علمت جليل
فلا تحسبي أني تناسيت عهده ... ولكن صبري يا أميم جميل

قال ابن عبد البر في الاستيعاب وزاد أبو الحسن الأخفش بعد البيتين المذكورين قوله:

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا ... خليلاً صفاء مالك وعقيل[٣]
أبى الصبر إني لا يزال يهيجني ... مبيت لنا فيما مضى ومقيل
وإني إذا ما الصبح آنست ضوءه ... يعاودني قطع علي ثقيل

وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة يرثي زهيراً أيضاً أورده في الاستيعاب:

إن عدياً ليلة البقيع ... تكشفوا عن رجل صريع
مقابل في الحسب الرفيع ... أدركه شؤم بني مطيع

---

(١) تثنية دريس وهو الثوب الخلق.
(٢) قال ابن عبد البر يقول جاء الإسلام فمنع من طلب الآثار إلا بحقها. (المؤلف).
(٣) هما نديما جذيمة بن الأرش المشهوران. (المؤلف).

وقال أبو خراش الهذلي يرثي أخاه عروة أورده في الاستيعاب أيضاً:

حمدت إلهي بعد عروة إذ نجا خراش وبعض الشراهون من بعض
على أنها تدمى الكلوم وإنما توكل بالأدنى وإن جل ما يمضي
فوالله لا أنسى قتيلاً رزئته بجانب قوسي ما مشيت على الأرض
ولم أدر من ألقى عليه رداءه ولكنه قد سل عن ماجد محض

رثاء زيد بن عمر بن الخطاب المقتول في حرب بني عدي

قال أياس بن البكير يرثي زيد بن عمر بن الخطاب أورده في الاستيعاب وتركنا بعضها:

ألا يا ليت أمي لم تلدني ولم أك في الغزاة لدى البقيع
ولم أر مصرع ابن الخير زيد وهدته هنالك من صريع
هو الرزء الذي عظمت وجلت مصيبته على الحي الجميع
كريم في النجار تكنفته بيوت المجد والحسب الرفيع
شفيع الجود ما للجود حقاً سواه إذا تولى من شفيع
أصاب الحي حي بني عدي مجللة من الخطب الفظيع
وخصهم الشقاء به خصوصاً لما يأتون من سوء الصنيع

مراثي عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوية لأزواجها

وهي التي تزوجت بعدة أزواج فقتلوا فقيل عنها من أحب الشهادة فليتزوج عاتكة.

قالت عاتكة ترثي زوجها عبد الله بن أبي بكر المقتول مع النبي ﷺ في وقعة الطائف أورده ابن عبد البر في الاستيعاب:

رزئت بخير الناس بعد نبيهم وبعد أبي بكر وما كان قصرا
فآليت لا تنفك عيني حزينة عليك ولا ينفك جلدي أغبرا
فلله عينا من رأى مثله فتى أكر وأحمى في الهياج واصبرا
إذا شرعت فيه الأسنة خاضها إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

قال في الاستيعاب ثم تزوجها عمر بن الخطاب ثم قتل عنها فقالت ترثيه:

عين جودي بعبرة ونحيب لا تملي على الإمام النجيب
فجعتني المنون بالفارس المعـ ـلم يوم الهياج والتثويب
قل لأهل الضرَّاء والبؤس موتوا قد سقته المنون كأس شعوب

وقالت أيضاً ترثيه كما حكاه في حسن الصحابة عن زهر الآداب قال ويوجد في بعض نسخ ديوان حسان بن ثابت والله أعلم.

وفجعني فيروز لا در دره بأبيض تال للكتاب منيب
رؤوف على الأدنى غليظ على العدى أخي ثقة في النائبات نجيب
متى ما يقل لا يُكذب القولَ فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب

وقالت أيضاً ترثيه أورده أبو تمام في الحماسة:

من لعين عادها أحزانها ولعين شفها طول السُّهُد
جسد لفف في أكفانه رحمة الله على ذاك الجسد

قال ابن عبد البر ثم تزوجها الزبير بن العوام فلما قتل عنها قالت ترثيه:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير معرد
يا عمرو لو نبهته لوجدته لا طائشاً رعش الجنان ولا اليد

ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله فيمن مضى ممن يروح ويغتدي
والله ربك إن قتلت لمسلماً حلت عليك عقوبة المتعمد

رثاء رباب بن رميلة

قال الأشهب بن رميلة الدارمي وهو من الصحابة يرثي أخاه رباب ابن رميلة المقتول قوداً أورده ابن حجر في الإصابة:

أعيني قلت عبرة من أخيكما بأن تسهرا الليل التمام وتجزعا
وباكية تبكي ربابا وقائل جزى الله خيراً ما أعف وامنعا
فلو كان قلبي من حديد أذابه ولو كان من صم الصفا لتصدعا

رثاء بني عبد المدان

كان عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب صاهر عبد الله بن عبد المدان وهو من الصحابة على ابنته فلما أمره علي عليه السلام على اليمن وسار بسر ابن أرطأة إليها من قبل معاوية خرج عنها عبيد الله واستخلف فيها صهره هذا فقتله بسر وابنه مالكاً وولدي عبيد الله ابني أخت مالك فقال عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب يرثي عبد الله بن المدان وابنه مالكاً وكانا صديقين له أورده ابن حجر في الإصابة:

ولولا أن تعنفني قريش بكيت على بني عبد المدان
فإنهم اشد الناس فجعاً وكلهم لبيت المجد باني
لهم إيوان قد علمت يمان على آبائهم متقدمان

مراثي الخنساء لأخويها صخر ومعاوية

وقالت الخنساء وهي صحابية ترثي أخويها صخراً ومعاوية بأشد ما يهيج الحزن حتى ضرب بها المثل في ذلك وقد ماتا كافرين فلم

ينكر عليها أحد حتى أن رسول الله ﷺ كان يستنشدها إياه قال في الإصابة قال أبو عمر قدمت على النبي ﷺ[١] مع قومها من بني سليم فأسلمت معهم فذكروا أن رسول الله ﷺ كان يستنشدها ويعجبه شعرها وكانت تنشده وهو يقول هيه يا خناس ويومئ بيده. (انتهى).

فمن قولها في صخر:

أعيني جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى

ألا تبكيان الجريَّ الجميل ألا تبكيان الفتى السيدا

طويل النجاد عظيم الرماد وساد عشيرته أمردا

ومن قوله فيه:

ألا يا صخر إن أبكيت عيني فقد[٢] أضحكتني دهراً طويلا

ذكرتك[٣] في نساء معولات وكنت أحق من أبدى العويلا

دفعت بك الجليل وأنت حي فمن ذا يدفع الخطب الجليلا

إذا قبح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلا

ومن شعرها فيه:

يا عين مالك لا تبكين تسكابا إذ راب دهر وكان الدهر ريابا

---

(١) هذه عادة ابن حجر العسقلاني في الإصابة كلما ذكر الصلاة النبي ﷺ ذكر معه آله تفادياً من الصلاة البتراء المنهي عنها التي يأتي بها الأكثرون مراغمة لأهل البيت ومحبيهم فإن اتفق أنهم ذكروا الآل ذكروا معهم الأصحاب وهذا يدل على فضل العسقلاني وإنصافه ويوجد غيره أيضاً على هذه الطريقة. (المؤلف).

(٢) لقد خ ل.

(٣) بكيتك خ ل.

فابكي أخاك لأيتام وأرملة ... وأبكي أخاك إذا جاورت أجنابا[١]
وأبكيه للفارس الحامي حقيقته ... وللضريك[٢] إذا ما جاء منتابا[*]
يعدو به سابح نهد مراكله ... إذا اكتسى من سواد الليل جلبابا
فالحمد حلته والجود حليته ... والصدق حوزته إن قربنه هابا
حمال ألوية شهاد أنجية ... قطاع أودية للوتر طلابا
سم العداة وفكاك العناة إذا ... لاقى الوغى لم يكن للقرن هيابا

ومن قوله فيها:

تبكي خناس على صخر وحق لها ... إذ رابها الدهر إن الدهر ضرار
يا صخر وراد ماء قد تناذره ... أهل الموارد ما في ورده عار[٣]
مشي السبنتى إلى هيجاء معضلة ... له سلاحان أنياب وأظفار
وما عجول على بوٍّ تطيف به[٤] ... لها حنينان إعلان وأسرار
ترتع ما رتعت[٥] حتى إذا أدكرت ... فإنما هي إقبال وإدبار
يوماً بأوجد[٦] مني يوم فارقني ... صخر وللدهر[**] أحلاء وإمرار
وإن صخراً لوالينا وسيدنا ... وإن صخراً إذا نشتو لنحار
وإن صخراً لمقدام إذا ركبوا ... وإن صخراً إذا جاعوا لعقار
وإن صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

---

(١) غرباء.
(٢) المحتاج.
(*) المنتاب الزائر أو الذي أصابته النوائب. (المؤلف).
(٣) أهل المياه وما في ورده عار خ ل.
(٤) تحن له خ ل.
(٥) غفلت خ ل.
(٦) بأوج خ ل.
(**) وللعيش خ ل.

حمال ألوية هباط أودية شهاد أندية للجيش جرار
لم تره جارة يمشي بساحتها لريبة حين يخلي بيته الجار
ليبكه مقتر أفنى حريبته دهر وحالفه بؤس واقتار
ورفقة حار حاديهم بمهلكة كأن ظلمتها في الطخية القار
لا يمتنع القوم إن سالوه خلعته ولا يجاوزه بالليل مراد

ومن شعرها فيه أورده في الإصابة

ألا يا صخر لا أنساك حتى أُفارق مهجتي ويشق رمسي
يذكرني طلوع الشمس صخراً وأذكره لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

وشعرها فيه كثير ينبو عن الحصر موجود في ديوانها وغيره.

ومن قولها في رثاء أخيها معاوية أورده المبرد في الكامل:

أريقي من دموعك واستفيقي وصبر إن أطقت ولن تطيقي
وقولي إن خير بني سليم وفارسها بصحراء العقيق
ألا هل ترجعنَّ لنا الليالي وأيام لنا بلوى الشقيق
وإذ نحن الفوارس كل يوم إذا حضروا وفتيان الحقوق
وإذا فينا معاوية بن عمرو على أدماء كالجمل الفنيق
فبكيه فقد أودى حميداً أمين الرأي محمود الصديق

رثاء متمم بن نويرة وغيره أخاه مالكاً

قال أبو العباس المبرد في الكامل وابن خلكان في ترجمة وثيمة ابن موسى بن الفرات من الوفيات أن متمماً لما بلغه مقتل أخيه حضر إلى مسجد رسول الله ﷺ فلما صلى أبو بكر صلاة الصبح قام متمم بحذائه واتكأ على سية قوسه ثم قال:

نعم القتيل إذا الرياح تناوحت[١] خلف البيوت قتلت يا ابن الأزور[٢]
أدعوته بالله ثم غدرته لو هو دعاك بذمة لم يغدر

وأومأ إلى أبي بكر فقال والله ما دعوته ولا غدرته ثم أنشد:

ولنعم حشو الدرع كان وحاسراً ولنعم مأوى الطارق المتنور[٣]
لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه حلو شمائله عفيف المئزر

ثم بكى وانحط عن سية قوسه فما زال يبكي حتى دمعت عينه العوراء فقام إليه عمر بن الخطاب فقال لوددت أنك رثيت زيداً أخي بمثل ما رثيت به مالكاً أخاك (إلى أن قال) ويروى عن عمر أنه قال لو كنت أقول الشعر كما تقول لرثيت أخي كما رثيت أخاك (قال) ويروى أن متمما رثى زيداً فلم يجد فقال له عمر لمَ لم ترث زيداً كما رثيت مالكاً فقال والله إنه ليحركني لمالك ما لا يحركني لزيد. انتهى.

وروى ابن عبد ربه في العقد الفريد عن الرياشي أن متمم بن نويرة أنشد بعد فراغ أبي بكر من صلاة الصبح وذكر الأبيات المتقدمة سوى قوله ولنعم حشو الدرع (البيت) وقال بدل خلف البيوت تحت البيوت وبدل ثم غدرته ثم قتلته وبدل لا يمسك لا يضمر (قال) ثم بكى حتى سالت عينه العوراء قال أبو بكر ما دعوته ولا قتلته. انتهى.

فهذا متمم قد رثى أخاه وبكاه وهما من الصحابة أمام عامة الصحابة فلم ينكر عليه أحد بل تمنى عمر أن يكون قد رثي أخوه كما سمعت.

---

(١) تقابلت.
(٢) هو ضرار الأزور الأسدي الذي قتل مالكاً بأمر خالد بن الوليد. (المؤلف).
(٣) الطالب نار القرى. (المؤلف).

وقال متمم أيضاً يرثي أخاه مالكاً هي التي تسمى أم المراثي كما في العقد الفريد (وقال) المبرد في الكامل أنها من إشعار العرب المشهورة المتخيرة في المراثي. انتهى. ونحن نختار بعد ما أورداه منها وبين روايتيهما اختلاف في التقديم والتأخير والزيادة والنقصان.

لقد غيب[١] المنهال تحت ردائه ... فتى غير مبطان العشيات[٢] أروعا
تراه كنصل السيف يهتز للندى ... إذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا
فعيني هلا تبكيان لمالك ... إذا هزت الريح الكثيب الممرعا
وما كان وقافاً إذا الخيل أحجمت ... ولا طالباً من خشية الموت مفزعا
ولا بكهام سيفه من عدوه ... إذا هو لاقى حاسراً أو مقنعا
وإني متى ما أدع باسمك لم تجب ... وكنت حرياً أن تجيب وتسمعا
فإن تكن الأيام فرقن بيننا ... فقد بان محموداً أخي حين ودعا
فعشنا بخير في الحياة وقبلنا ... أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
سقى الله أرضاً حلها قبر مالك ... رهام الغوادي المزجيات[٣] فأمرعا

وقد تمثلت عائشة بشعر متمم استحساناً له (قال) ابن عبد البر في ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر أنه لما اتصل خبر موته بأخته عائشة أم المؤمنين(رض)ظعنت من المدينة حاجة حتى وقفت على قبره وكانت شقيقته فبكت عليه وتمثلت. وكنا كندماني البيت السابق والذي بعده. انتهى.

---

(١) كفن خ ل.
(٢) قال المبرد أي كان لا يأكل في آخر نهاره انتظاراً للضيف. (المؤلف).
(٣) ذهاب الغوادي المدجنات خ ل.

وقال متمم أيضاً يرثي أخاه مالكاً أورده أبو تمام في الحماسة:

لقد لامني عند القبور على البكا ... صديق لتذراف الدموع السوافك
فقال أتبكي كل قبر رأيته ... لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له أن الشجى يبحث الشجى ... فذرني فهذا كله قبر مالك

وقال أبو زهير السعدي في قتل خالد بن الوليد مالكاً وتزوجه امرأته ذكر ذلك ابن خلكان في ترجمة وثيمة بن موسى بن الفرات:

ألا قل لحي أوطئوا بالسنابك ... تطاول هذا الليل من بعد مالك
قضى خالد بغياً عليه لعرسه ... وكان له فيها هوى قبل ذلك
فأمضى هواه خالد غير عاطف ... عنان الهوى عنها ولا متمالك
وأصبح ذا أهل وأصبح مالك ... إلى غير شيء هالكاً في الهوالك
فمن لليتامى والأرامل بعده ... ومن للرجال المعدمين الصعالك
أصيبت تميم غثها وسمينها ... بفارسها المرجو سحب الحوالك

فهذه نبذة مقنعة من مراثي الصحابة (أما) مراثي شعراء المسلمين للحسين عليه السلام خاصة من يوم قتله إلى اليوم فلا يحيط بها نطاق البيان فضلاً عن مراثي غيره التي تسالم المسلمون عليها بدون نكير وأنشدوها واستنشدوها ودونوها وحفظوها وكلها مما يثير الأحزان ويهيج الأشجان بل لم توضع المراثي إلا لذلك.

نبذة من مراثي المسلمين للحسين عليه السلام من يوم قتله إلى اليوم

قال أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين كانت الشعراء لا تقدم على رثاء الحسين مخافة من بني أمية وخشية منهم (انتهى) ولما أورد ابن الأثير قصيدة أعشى همدان التي يرثي بها التوابين الذين طلبوا بثار الحسين عليه السلام التي أولها:

ألـمَّ خـيـال مـنـك يـا أم غـالـب فحييت عنا من خليل مجانب

قال وهي مما يكتم في ذلك الزمان (انتهى) ومنه تعلم مبلغ الخوف والتقية في محبي أهل البيت ومن يذكرهم بخير في مدة ملك بني أمية وكانت مثلها أو أشد منها مدة ملك بني العباس وإن ظهور فضائلهم وعدم انطماسها طول تلك المدة الطويلة من خوارق العادات.

وأول من رثى الحسين عليه السلام عقبة بن عمرو العبسي فيما حكاه سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرة الخواص عن السدي (وحكى) المفيد في المجالس بسنده عن إبراهيم بن داحة قال أول شعر رثي به الحسين بن علي عليه السلام قول عقبة بن عمرو السهمي من بني سهم بن عوف بن غالب (ورواه) الشيخ الطوسي في الأمالي بسنده عن المفيد:

إذا العين قرت في الحياة وأنتم تخالفون في الدنيا فأظلم نورها

مررت على قبر الحسين بكربلاء ففاض عليه من دموعي غزيرها

وما زلت ابكيه وارثي لشجوه ويسعد عيني دمعها وزفيرها

وناديت من حول الحسين[١] عصائباً أطافت به من جانبيه قبورها

سلام على أهل القبور بكربلا وقلَّ لها مني سلام يزورها

سلام بآصال العشي وبالضحى تؤديه نكباء الرياح ومورها

ولا برح الزوار زوار قبره يفوح عليهم مسكها وعبيرها

وقال سليمان بن قَتَّة[٢] وهو رجل من بني تميم بن مرة بن

(١) وبكيت من بعد الحسين خ ل.

(٢) في القاموس وتاج العروس (قتة كضبة) اسم (أم سليمان) بن حبيب المحاربي (التابعي) المشهور يعرف بابن قتة وهو القائل في رثاء الحسين عليه السلام وإن قتيل الطف من آل هاشم. أذل رقاب المسلمين فذلت. انتهى. (المؤلف).

كعب ابن لؤي وكان منقطعاً إلى بني هاشم كما في كامل المبرد وهو من التابعين يرثي الحسين عليه السلام.

مررت على أبيات آل محمد فلم أرها كعهدها[١] يوم حلت
وإن قتيل الطف من آل هاشم أذل رقاب المسلمين فذلت
وكانوا رجاء ثم صاروا رزية فقد[٢] عظمت تلك الرزايا وجلت
وعند غني قطرة من دمائنا سنجزيهم[٣] يوماً بها حيث حلت
إذا افتقرت قيس جبرنا فقيرها[٤] وتقتلنا قيس إذا النعل زلت

هذه رواية المبرد وتبعه ابن الأثير وأوردها أبو الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبيين وخالف ترتيب الأبيات وزاد فيها بعد الأول.

ألم تر أن الأرض[٥] أضحت مريضة لفقد حسين والبلاد اقشعرت

وقال سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرة الخواص ذكر الشعبي وحكاه ابن سعد أيضاً قال مر سليمان بن قتة بكربلا فنظر إلى مصارع القوم فبكى حتى كاد أن يموت ثم قال:

وإن قتيل الطف من آل هاشم أذل رقاباً من قريش فذلت

ثم البيت الثاني والثالث والبيت الذي زاده أبو الفرج (ثم قال).

فقال له عبد الله بن حسن بن حسن هلا قلت أذلت رقاب المسلمين. انتهى. (أقول) والموجود في جميع الكتب أذلت رقاب

(١) لمثالها خ ل.
(٢) لقد خ ل.
(٣) سنطلبهم خ ل.
(٤) وتسألنا قيس فنعطي فقيرها خ ل.
(٥) الشمس خ ل.

المسلمين (وأورد) ابن شهرآشوب في المناقب أربعة أبيات الأول والذي زاده أبو الفرج والثالث والرابع وروى ابن نما في مقتله عن ابن عائشة قال مر سليمان بن قتة العدوي مولى بني تيم بكربلاء بعد قتل الحسين عليه السلام بثلاث فنظر إلى مصارعهم واتكأ على فرس له عربية وأنشأ يقول وذكر الأبيات الستة الأولى بمخالفة في الترتيب وزاد فيها ألم تر أن الشمس (البيت) وزاد أيضاً قوله:

وقد اعولت تبكي السماء لفقده وأنجمنا ناحت عليه وصلت

وعن المرزباني أنه دخل أبو الرجح الخزاعي إلى فاطمة بنت الحسين ابن علي عليهما السلام فأنشدها مرثية في الحسين عليه السلام:

أجالت على عيني سحائب عبرة فلم تصح بعد الدمع حتى أرمعلت
تُبكّي على آل النبي محمد وما أكثرت في الدمع لا بل أقلت
أولئك قوم لم يشيموا سيوفهم وقد نكأت أعداءهم حين سلت
وإن قتيل الطف من آل هاشم أذل رقاباً من قريش فذلت

فقالت فاطمة يا أبا الرجح هكذا تقول قال فكيف أقول جعلني الله فداك قالت قل (أذل رقاب المسلمين فذلت) فقال لا أنشدها بعد اليوم إلا هكذا.

وقال بعض فضلاء التابعين وهو خالد بن معدان (وفي) الملهوف روي أنه لما شاهد رأس الحسين عليه السلام بالشام أخفى نفسه شهراً من جميع أصحابه فلما وجدوه بعد إذ فقدوه سألوه عن سبب ذلك فقال ألا ترون ما نزل بنا وأنشأ يقول:

جاؤا برأسك يا ابن بنت محمد متزملاً بدمائه تزميلا
وكأنما بك يا ابن بنت محمد قتلوا جهاراً عامدين رسولا

قتلوك عطشاناً ولما يرقبوا في قتلك التأويل والتنزيلا
ويكبرون بأن قتلت وإنما قتلوا بك التكبير والتهليلا

وفي العقد الفريد عن المدايني بسنده عن الحسن البصري قال قتل مع الحسين ستة عشر من أهل بيته والله ما كان على الأرض يومئذ أهل بيت يشبهون بهم وحمل أهل الشام بنات رسول الله ﷺ سبايا على أحقاب الإبل فلما أدخلن على يزيد قالت فاطمة ابنة الحسين يا يزيد أبنات رسول الله سبايا قال بل حرائر كرام أدخلي على بنات عمك تجدينهن قد فعلت ما فعلت قالت فدخلت إليهن فما وجدت فيهن سفيانية إلا متلدمة تبكي وقالت بنت عقيل بن أبي طالب ترثي الحسين ومن أصيب معه.

عيني أبكي بعبرة وعويل واندبي إن ندبت آل الرسول
ستة كلهم لصلب علي قد أصيبوا وخمسة لعقيل

(انتهى) وفي تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي الحنفي: قال الواقدي لما وصل الرأس (أي رأس الحسين عليه السلام) إلى المدينة والسبايا لم يبق بالمدينة أحد وخرجوا يضجون بالبكاء وخرجت زينب بنت عقيل بن أبي طالب تصيح واحسيناه واإخوتاه واأهلاه وامحمداه ثم قالت:

ماذا تقولون إذا قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بأهل بيتي وأولادي أما لكم عهد أما أنتم توفون بالذمم
ذريتي وبنو عمي بمضيعة منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

وقال أبو دَهبل الجمحي وهو من شعراء قريش المشهورين وكان

في عصر معاوية وابنه يزيد يرثي الحسين عليه السلام أورده أبو الفرج في الأغاني والشريف المرتضى رضي الله عنه في أماليه (وهذا) الشعر يدل على تشيع أبي دهبل فإن مثله لا يقال في زمن سطوة بني أمية من غير شيعي فقد سمعت آنفاً قول أبي الفرج أن الشعراء كانت لا تقدم على رثاء الحسين خوفاً من بني أمية وقول ابن الأثير أن قصيدة الأعشى مما يكتم في ذلك الزمان.

تبيت النشاوى(١) من أمية نوّما وبالطف قتلى لا ينام(٢) حميمها
وما أفسد الإسلام إلا عصابة تأمر نوكاها ودام نعيمها(٣)
وأضحت(٤) قناة الدين في كف ظالم إذا مال(٥) منها جانب لا يقيمها

وقال الحسن بن الضحاك يرثي الحسين عليه السلام أوردته في الدر النضيد(٦) ولا أعلم الآن من أين نقلته وهو من الشعر القديم.

ومما شجى قلبي وكفكف عبرتي محارم من آل النبي استحلت
ومهتوكة بالطف عنها سجوفها كعاب كقرن الشمس لما تبدت
إذا خفرتها وزعة من منازع لها المرط عادت بالخضوع ورنت
وربات خدر(٧) من ذؤابة هاشم هتفن بدعوى خير حي وميت

---

(١) سكارى خ ل.
(٢) ما ينام خ ل.
(٣) ونام زعيمها خ ل.
(٤) فصارت خ ل.
(٥) أعوج خ ل.
(٦) الدر النضيد كتاب شعري جمعه السيد الأمين رحمه الله وضمّنه قصائده وقصائد فحول الشعراء في رثاء السبط الشهيد الإمام الحسين عليه السلام (المحقق).
(٧) وسرب ظباء على رواية بدلاً من وربات خدر (المحقق).

أرد يـداً مـنـي إذا مـا ذكـرتـه ... عـلـى كـبـد حـرى وقـلـب مـفـتـت
فـلا بـات لـيـل الـشـامـتـيـن بـغـبـطـة ... ولا بـلـغـت آمـالـهـا مـا تـمـنـت(١)

وقال عامر بن يزيد بن ثبيط العبدي من عبد القيس وقد قتل أبوه وأخواه مع الحسين عليه السلام.

يـا فـرو قـومـي فـانـدبـي ... خـيـر الـبـريـة فـي الـقـبـور
وابـكـي الـشـهـيـد بـعـبـرة ... مـن فـيـض دمـع ذي درور
وارثـي الـحـسـيـن مـع الـتـأو ... ه والـتـفـجـع والـزفـيـر
قـتـلـوا الـحـرام مـن الأئـمـ ... ة فـي الـحـرام مـن الـشـهـور

وقال الفضل بن عباس بن عقبة بن أبي لهب الهاشمي:

أعيني إن ألا تبكيا لمصيبتي ... فكل عيون الناس عني أصبر
اعيني جودي من دموع غزيرة ... فقد حق اشفاقي وما كنت أحذر
..................(٢) ... المنايا دارعون وحسر
من الأكرمين البيض من آل هاشم ... لهم سلف من واضح المجد يذكر
مصابيح أمثال الأهلة إذ هم ... لدى الجود أو دفع الكريهة أبصر
بهم فجعتنا والفواجع كاسمها ... تميم وبكر والسكون وحمير
وفي كل حي نضحة من دمائنا ... بني هاشم يعلو سناها ويشهر
فلله محيانا وكان مماتنا ... ولله قتلانا تدان وتنشر

(١) أقول مصدره مثير الأحزان لابن نما الحلي ص٥٨ (المحقق).
(٢) بياض بالأصل، أقول: وتكملة البيت كما في كشف الغمة للأربلي ج٢، ص٢٧١:
أعيني هذا الأكرمين تتابعوا ... وصلوا المنايا دارعون وحسّر
وفي بصائر الدرجات الرفيعة للسيد علي بن معصوم ص٥٦٢ الأكرمون بدلاً من الأكرمين (أعيني هذا الأكرمون تتابعوا...) ولعله أراد هكذا الأكرمون أو هكذا الأكرمين وكلاهما صحيح على مبنى من مباني اللغة. (المحقق).

لكل دم مولى ومولى دمائنا بمرتقب يعلو عليكم ويظهر
فسوف يرى أعداؤنا حين نلتقي لأي الفريقين النبي المطهر

وقال الكميت بن زيد الأسدي رحمه الله يرثي الحسين عليه السلام وأهل بيته:

أضحكني الدهر وأبكاني والدهر ذو صرف وألوان
لتسعة بالطف قد غودروا صاروا جميعاً رهن أكفان
وستة لا يجازى بهم بنو عقيل خير فرسان
ثم علي الخير مولاهم ذكرهم هيج أحزاني

وقال دعبل الخزاعي من قصيدة طويلة مشهورة يرثي الحسين عليه السلام وأهل بيته:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً وقد مات عطشاناً بشط فرات
إذاً للطمت الخد فاطم عنده وأجريت دمع العين في الوجنات
أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي نجوم سماوات بأرض فلاة
قبور بكوفان وأخرى بطيبة وأخرى بفخ نالها صلواتي
قبور بجنب النهر من أرض كربلا معرسهم فيها بشط فرات
توفوا عطاشى بالفرات فليتني توفيت فيهم قبل حين وفاتي
رزايا أرتنا خضرة الأفق حمرة[1] وردت أجاجاً طعم كل فرات
سأبكيهم ما ذرفي الأرض شارق ونادى منادي الخير للصلوات

وقال جعفر بن عفان وهو من أصحاب الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يرثي الحسين عليه السلام:

---

(١) هذا يدل على أن كون الحمرة لم تظهر في السماء قبل قتل الحسين عليه السلام كما مر في الفصل الأول كان أمراً معروفاً مشهوراً (المؤلف).

لبيك على الإسلام من كان باكياً　　فقد ضيعت أحكامه واستحلت
غداة حسين للرماح دريئة　　وقد نهلت منه السيوف وعلت
وغودر في الصحراء لحماً مبدداً　　عليه عتاق الطير باتت وظلت
فما نصرته أمة السوء إذ دعا　　لقد طاشت الأحلام منها وضلت
إلا بل محو أنوارهم بأكفهم　　فلا سلمت تلك الأكف وشلت
وناداهم جهداً بحق محمد　　فإن ابنه من نفسه حيث حلت
فما حفظوا قربى النبي ولا رعوا　　وزلت بهم أقدامهم واستزلت
أذاقته حر القتل أمة جده　　هفت نعلها في كربلاء وزلت
فلا قدس الرحمن أمة جده　　وإن هي صامت للإله وصلت
كما فجعت بنت النبي بنسلها　　وكانوا حماة الحرب حيث استقلت

ومرت أبيات السيد الحميري الشاعر المشهور الذي كان في عصر الصادق عليه السلام في الفصل الأول كما أننا قد ذكرنا في ذلك الفصل استنشاد أئمة أهل البيت عليهم السلام الشعر في الحسين عليه السلام من عدة من الشعراء وبكاءهم لإنشاده وما ورد عنهم في فضل إنشاد الشعر في رثائه وطلب الصادق عليه السلام إنشاده بالرقة التي تهيج الحزن وتؤثر في القلب.

وقال منصور النمري من النمر بن قاسط وكان في زمن الرشيد وهو من شعراء الشيعة من قصيدة كما وجدنا ذلك في بعض المجاميع نقلاً عن المرزباني في معجم الشعراء:

قتيل ما قتيل بني زياد　　ألا بأبي وأمي من قتيل
أيخلو قلب ذي ورع ودين　　من الأحزان والهم الطويل
وقد شرقت رماح بني زياد　　بري من دماء بني الرسول

وفي البحار عن بعض كتب المناقب القديمة أخبرني سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي عن محيي السنة أبي الفتح

إجازة قال أنشدني أبو الطيب البابلي أنشدني أبو النجم بدر بن إبراهيم بالدينور للشافعي محمد بن إدريس (وفي) ينابيع المودة قال الحافظ جمال الدين الزرندي المدني في كتابه معراج الوصول في معرفة آل الرسول نقل أبو القاسم الفضل بن محمد المستملي أن القاضي أبا بكر سهل بن محمد حدثه قال: قال أبو القاسم ابن الطيب بلغني أن الشافعي رحمه الله أنشد هذه الأبيات (أقول) وأوردها ابن شهرآشوب في المناقب للشافعي:

تأوب غمي[١] والفؤاد كئيب وأرق نومي[٢] والرقاد غريب
ومما نفى نومي وشيب لمتي تصاريف أيام لهن خطوب
فمن مبلغ عني الحسين رسالة وإن كرهتها أنفس وقلوب
قتيل بلا جرم كأن قميصه صبيغ بماء الأرجوان خضيب
وللسيف أعوال وللرمح رنة وللخيل من بعد الصهيل نحيب[٣]
تزلزلت الدنيا لآل محمد وكادت لهم صم الجبال تذوب
وغارت نجوم واقشعرت كواكب وهتك أستار وشق جيوب[٤]
يصلي على المبعوث من آل هاشم ويغزى بنوه إن ذا لعجيب
(نصلي على المختار من آل هاشم ونؤذي بنيه إن ذا لعجيب خ ل)
لئن كان ذنبي حب آل محمد فذلك ذنب لست عنه أتوب
هم شفعائي يوم حشري وموقفي إذا ما بدت للناظرين خطوب[٥]

(١) همي خ ل.
(٢) عيني خ ل.
(٣) لم يذكر هذا البيت والبيت السابع في رواية ينابيع المودة.
(٤) هذا البيت في مناقب ابن شهرآشوب خاصة.
(٥) وبغضهم للشافعي ذنوب خ ل وهذا البيت في المناقب والينابيع خاصة. (المؤلف).

قال سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرة الخواص أنشدنا أبو عبد الله محمد بن البندنيجي البغدادي قال أنشدنا بعض مشائخنا أن ابن الهبارية الشاعر اجتاز بكربلاء فجلس يبكي على الحسين عليه السلام وأهله وقال بديها:

أحسين والمبعوث جدك بالهدى قسماً يكون الحق عنه مسائلي
لو كنت شاهد كربلا لبذلت في تنفيس كربك جهد بذل الباذل
وسقيت حد السيف من أعدائكم علا وحد السمهري الذابل
لكنني أخرت عنك لشقوتي فبلابلي بين الغري وبابل
هبني حرمت النصر من أعدائكم فأقل من حزن ودمع سائل

ثم نام في مكانه فرأى النبي صلى الله عليه وآله فقال له جزاك الله عني خيراً أبشر فإن الله قد كتبك ممن جاهد بين يدي الحسين عليه السلام. انتهى.

(أقول) وابن الهبارية هذا هو نظام الدين أبو يعلى محمد بن محمد بن صالح العباسي الهاشمي الشاعر المشهور المتوفى سنة ٥٠٩ المعروف بابن الهبارية بفتح الهاء وتشديد الباء الموحدة نسبة إلى أمه بنت هبار صاحب كتاب الصادح والباغم الذي نظمه لسيف الدولة صدقة بن دبيس صاحب الحلة.

وقال سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرة الخواص ذكر جدي في كتاب التبصرة وقال إنما سار الحسين إلى القوم لأنه رأى الشريعة قد دثرت فجد في رفع قواعد أصلها فلما حصروه فقالوا له انزل على حكم ابن زياد فقال لا أفعل وأختار القتل على الذل وهكذا النفوس الأبية ثم أنشد جدي رحمه الله:

ولما رأوا بعض الحياة مذلة عليهم وعز الموت غير محرم

أبوا أن يذوقوا العيش والذل واقع عليه وماتوا ميتة لم تذمم
ولا عجب للأسد إن ظفرت بها كلاب الأعادي من فصيح وأعجم
فحربة وحشي سقت حمزة الردى وحتف علي من حسام ابن ملجم

وقال سبط ابن الجوزي أيضاً في تذكرة الخواص أنشدنا أبو عبد الله النحوي بمصر قال كحل بعض العلماء عينه يوم عاشوراء فعوتب على ذلك فقال:

وقائل لم كحلت عينا يوم استباحوا دم الحسين
فقلت كفوا أحق شيء تلبس فيه السواد عيني

وقال سبط ابن الجوزي أيضاً في تذكرة الخواص أنشدنا بعض أشياخنا:

لا تطلبوا المولى الحسيـ ـن بأرض شرق أو بغرب
ودعوا الجميع وعرجوا نحوي فمشهده بقلبي

وقال السري الرفا من مشاهير الشعراء:

أقام روح وريحان على جدث ثوى الحسين به ظمآن آمينا
كأن أحشاءنا من ذكره أبداً تطوى على الجمر أو تحشى السكاكينا
مهلاً فما نقضوا أوتار والده وإنما نقضوا في قتله الدينا

وقال كشاجم الشاعر المشهور من قصيدة طويلة:

إذا تفكرت في مصابهمو أثقب زند الهموم قادحه
فبعضهم قرّبت مصارعه وبعضهم بعُدت مطارحه
أظلم في كربلاء يومهم ثم تجلى وهم ذبائحه
ذل حماه وقل ناصره ونال أقوى مناه كاشحه

وقال الزاهي الشاعر المشهور:

أعاتب عيني إذا قصرت ... وافني دموعي إذا ما جرت
لذكراكم يا بني المصطفى ... دموعي على الخد قد سطرت
لكم وعليكم جفت غمضها ... جفوني عن النوم واستشعرت
أمثل أجسادكم بالعراق ... وفيها الأسنة قد كسرت
أمثلكم في عراص الطفوف ... بدورا تكسف إذ أقمرت
غدت أرض يثرب من جمعكم ... كخط الصحيفة إذا أقفرت
وأضحت بكم كربلا مغربا ... كزهر النجوم إذا غورت
وللسبط فوق الثرى شيبة ... بفيض دم النحر قد عفرت
ورأس الحسين أمام النساء ... كغرة صبح إذا أسفرت

وقال الناشي الشاعر المشهور:

مصائب نسل فاطمة البتول ... نكت حسراتها كبد الرسول
ألا بأبي البدور لقين كسفا ... وأسلمها الطلوع إلى الأفول
ألا يا يوم عاشورا رماني ... مصابي منك بالداء الدخيل
كأني بابن فاطمة جديلا ... يلاقي الترب بالوجه الجميل
وقد قطع العداة الرأس منه ... وعلَّوه على رمح طويل
وفاطمة الصغيرة بعد عز ... كساها الحزن أثواب الذليل
تنادي جدها يا جد إنا ... طلبنا بعد فقدك بالذخول

وقال البوصيري صاحب البردة من جملة قصيدته الهمزية في مدح خير البرية:

يا أبا القاسم الذي ضمن أقسا ... مي عليه مدح له وثناء
بالعلوم التي لديك من اللـ ... ـه بلا كاتب لها إملاء

إلى أن قال:

وريحانتين طيبهما منـ ... ـك الذي أودعتهما الزهراء
كنت تؤويهما إليك كما آ ... وت من الخط نقطتيها الياء
من شهيدين ليس طيبة تنسيـ ... ـني مصابيهما ولا كربلاء
ما رعى فيهما ذمامك مرؤو ... س وقد خان عهدك الرؤساء
أبدلوا الود والحفيظة في القر ... بى وأبدت ضبابها النافقاء
وقست منهمو قلوب على من ... بكت الأرض فقدهم والسماء
فابكهم ما استطعت إن قليلا ... في عظيم من المصاب البكاء
كل يوم وكل أرض لكربي ... منهم كربلا وعاشوراء
آل بيت النبي . فؤادي ... ليس يسليه عنكم التأساء
آل بيت النبي طبتم فطاب الـ ... ـمدح لي فيكم وطار الرثاء
أناس حسان مدحكم فإذا نحـ ... ـت عليكم فإنني الخنساء
سدتم الناس بالتقى وسواكم ... سودته الصفراء والبيضاء

ولا ندري أيقبل السوداني صاحب مجلة الذخيرة قوله فابكهم ما استطعت أم يعد ذلك أيضاً خطأ منه وغلطاً.

فهذه نبذة يسيرة من مراثي أعيان الأمة في الحسين عليه السلام واستقصاء ذلك يطول به الكلام ومن أراد الكثير من ذلك فليرجع إلى كتابنا (الدر النضيد في مراثي السبط الشهيد) فقد حوى قسطاً وافياً من ذلك.

رثاء العباس ابن أمير المؤمنين عليه السلام شهيد كربلاء وأخوته الثلاثة لأمه

لما قتل الحسين عليه السلام استشهد معه أربعة أخوة له لأم واحدة وهم العباس وعبد الله وجعفر وعثمان وأمهم فاطمة بنت حزام الكلابية

المكناة بأم البنين فكانت تخرج إلى البقيع كل يوم وتحمل معها عبيد الله ابن ولد العباس فتندب أولادها الأربعة سيما العباس أشجى ندبة وأحرقها فيجتمع الناس إليها وفيهم مروان بن الحكم على عداوته لبني هاشم فلا يزال يسمع ندبتها ويبكي وذلك بمسمع من الصحابة ولم ينقل أن أحداً نهاها أو لامها على ذلك وكانت تقول في ندبتها كما عن الأخفش في شرح كامل المبرد:

يا من رأى العباس كرّ ... على جماهير النَّقَد[1]
ووراه من أبناء حيـ ... در كل ليث ذي لبد
أنبئت أن ابني أصيـ ... ب برأسه مقطوع يد
ويلي على شبلي أما ... ل برأسه ضرب العمد
لو كان سيفك في يديـ ... ك لما دنا منه أحد

ومن رثائها في أولادها الأربعة قولها:

لا تدعوني ويك أم البنين ... تذكريني بليوث العرين
كانت بنون لي أدعى بهم ... واليوم أصبحت ولا من بنين
أربعة مثل نسور الربى ... قد واصلوا الموت بقطع الوتين
تنازع الخرصان أشلاءهم ... وكلهم أمسى صريعاً طعين
يا ليت شعري أكما أخبروا ... بأن عباساً قطيع اليمين

وقال الفضل بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن العباس ابن أمير المؤمنين عليه السلام يرثي جده العباس:

إني لأذكر للعباس موقفه ... بكربلاء وهام القوم تختطف

---

(١) النقد جنس من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه وزاد البيت حسناً أن العباس من أسماء الأسد. (المؤلف).

يحمي الحسين ويحميه على ظمأ ولا يولي ولا يثني فيختلف
ولا أرى مشهداً يوماً كمشهده مع الحسين عليه الفضل والشرف
أكرم به مشهداً بانت فضيلته وما أضاع له أفعاله خلف

وقالت زوجة عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ترثي ولدين صغيرين لها أخذهما بسر بن أرطأة لما بعثه معاوية ليغير على أعمال علي عليه السلام فذبحهما على درج صنعاء (وقال) المبرد في الكامل فيقال أنه أخذهما من تحت ذيل أمهما فقتلهما فقالت ترثيهما (أقول) ولم يسمع أن أحداً لامها أو نهاها عن ذلك:

هامن أحسن بابني اللذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف
هامن أحس بابني اللذين هما سمعي وقلبي فقلبي اليوم مختطف
هامن أحسن بابني اللذين هما مخ العظام فمخي اليوم مزدهف
نبئت بسراً وما صدقت ما زعموا من قيلهم ومن الإفك الذي اقترفوا
انحنى على ودجي ابني مرهفة مشحوذة وكذلك الإثم يقترف
من دل وألهة حسرى مسلبة على صبيين ضلا إذ مضى السلف

الفصل الثالث

في تأبين الأموات ورثائهم بالنثر وذكر مدائحهم وفضائلهم ومناقبهم ونقل الأحاديث المشتملة على ذلك وذكر مصيبة الميت وكيفية وفاته ونحو ذلك

وهذا جائز شرعاً لم يدل دليل من الشرع على المنع منه طال الزمان أو قصر إذا لم يشتمل على محرم خارجي كالسخط لقضاء الله أو وصف الميت بما ليس فيه أو غير ذلك مما ثبت منع الشرع منه وراجح إذا كان الميت من أهل المكانة لما فيه من معرفة الفضل لأهله وتعظيم من يستحق التعظيم والحث على الاقتداء به في محاسن الأخلاق وجميل الأفعال والصفات وقد تطابق على فعله واستحسانه جميع العقلاء من جميع أهل الأديان في كل عصر وزمان ولا يلتفت إلى استقباح السوداني صاحب مجلة الذخيرة وبعض أتباع بني أمية وأشياعهم ذلك في حق الحسين عليه السلام فإنه إنما نشأ عن نصب أو جهل أو تقليد لبعض الجاهلين أو النصاب.

وما زالت الأمم تقيم حفلات التأبين والتذكار لعظمائها بعد موتهم بألوف من السنين (والفرنسيون) يقيمون كل عام في جميع

البلدان التي تخفق فيها أعلامهم حفلة تذكار في مثل يوم قتل (جان دارك) الفتاة الفرنسية التي جاهدت لإعزاز قومها ووطنها وقتلها خصومها وأحرقوها حية قبل مئات من السنين ويصورونها على جلود الدفاتر. (والإنكليز) لم يبرموا معاهدة الصلح مع الأتراك بعد الحرب العمومية حتى أعطوهم البقعة التي قتل فيها جماعة من عساكر الإنكليز بجانب الدردنيل ليشيدوا لهم فيها تذكاراً ولو أردنا استقصاء عما ما هو من هذا القبيل لأدى إلى التطويل فمن تأبين العظماء في الإسلام.

تأمين رسول الله ﷺ لعمه حمزة

بقوله يا عم رسول الله ويا أسد الله إلى آخر ما مر في الأمر العاشر في بكاء النبي ﷺ على عمه حمزة وكفى به قدوة وبفعله دليلاً.

تأبين سيدة النساء فاطمة الزهراء لأبيها رسول الله ﷺ ورثاؤها له بالنثر وبكاؤها عليه

في أوائل الجزء الثاني من العقد الفريد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال لما فرغنا من دفن رسول الله ﷺ أقبلت علي فاطمة فقالت يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب. ثم بكت ونادت: يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه من ربه ما أدناه، يا أبتاه من ربه ناداه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه. انتهى.

وفي أعلام الورى بأعلام الهدى للطبرسي صاحب مجمع البيان: روى ثابت عن أنس قال قالت فاطمة لما ثقل النبي ﷺ وجعل

يتغشاه الكرب ناديت يا أبتاه إلى جبريل ينعاه، يا أبتاه من ربه ما أدناه، يا أبتاه جنان الفردوس مأواه، يا أبتاه أجاب رباً دعاه. انتهى. (وفي) البحار عن ابن ماجة في السنن وأبي يعلى الموصلي في المسند قال أنس كانت فاطمة عليها السلام تقول لما ثقل النبي ﷺ وذكر مثله إلا أنه قال: يا أبتاه جبريل إلينا ينعاه. وفي السيرة الحلبية[١] وقالت فاطمة لما توفي رسول الله ﷺ واأبتاه أجاب داعياً دعاه، يا أبتاه الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه. انتهى. وفي السيرة النبوية لدحلان[٢] روى البخاري أن فاطمة لما توفي رسول الله ﷺ قالت يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه من إلى جبريل ننعاه، زاد في رواية الطبري يا أبتاه من ربه ما أدناه. انتهى.

تأبين عائشة أم المؤمنين لأبيها

في أوائل الجزء الثاني من العقد الفريد وقفت عائشة على قبر أبي بكر فقالت نضر الله وجهك وشكر لك صالح سعيك فقد كنت للدنيا مذلاً بإدبارك عنها وكنت للآخرة معزاً بإقبالك عليها وإن كان أجل الحوادث بعد رسول الله ﷺ رزؤك وأعظم المصائب بعده فقدك[٣].

(١) صفحة ٣٩١ ج٣.

(٢) ص ٣٩٣ ج٣ بهامش السيرة الحلبية.

(٣) أما ما ذكر في العقد الفريد وغيره من أنه لما قبض أبو بكر قال علي بن أبي طالب رحمك الله يا أبا بكر كنت والله أول القوم إسلاماً... الخ. فهو من قلب الحقائق لأنها قد وردت الرواية بأنه قيل يوم قتل أمير المؤمنين علي عليه السلام والصفات التي فيه لا تنطبق إلا عليه نعم فيه زيادة يسيرة ملحقة ممن قلبه نعوذ بالله من إتباع الهوى. (المؤلف).

تأبين عبد الله بن مسعود لعمر

في أوائل الجزء الثاني من العقد الفريد. لما دفن عمر بن الخطاب(رض) أقبل عبد الله بن مسعود وقد فاتته الصلاة عليه فوقف على قبره يبكي ويطرح رداءه ثم قال والله لئن فاتتني الصلاة عليك لا فاتني حسن الثناء أما والله لقد كنت سخياً بالحق بخيلاً بالباطل ترضى حين الرضا وتسخط حين السخط ما كنت عياباً ولا مداحاً فجزاك الله عن الإسلام خيراً.

وقوف أمير المؤمنين عليه السلام على قبر خباب وثناؤه عليه

روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين وابن الأثير في الجزء الثالث من تاريخه أن علياً عليه السلام لما رجع من صفين وقف على قبر خباب ابن الأرتّ وكان قد توفي بعد خروجه إلى صفين فأوصى أن يدفن بظهر الكوفة وكان أول منن دفن هناك فدفن الناس إلى جنبه فقال علي عليه السلام: «رحم الله خباباً قد أسلم راغباً وهاجر طائعاً وعاش مجاهداً وابتلي في جسده أحوالاً ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً».

ونقله في أوائل الجزء الثاني من العقد الفريد.

قول الحسن السبط صلوات الله وسلامه عليه لما توفي أبوه أمير المؤمنين عليه السلام

روى الطبري في تاريخه بسنده عن خالد بن جابر قال سمعت الحسن يقول لما قتل علي عليه السلام وقد قام خطيباً فقال:

«لقد قتلتم الليلة رجلاً في ليلة فيها نزل القرآن وفيها رفع عيسى بن مريم عليه السلام وفيها قتل يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام والله ما سبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد يكون بعده والله إن كان رسول الله صلى الله عليه وآله ليبعثه في السرية وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره والله ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا ثماني مائة أو سبعمائة أرصدها لخادمه.

قول علي بن الحسين زين العابدين عند قبر جده أمير المؤمنين عليه السلام

اشهد لقد جاهدت في الله حق جهاده واتبعت سنن نبيه حتى دعاك الله إلى جواره فقبضك إليه باختياره لك كريم ثوابه وألزم أعداءك الحجة في قتلهم إياك مع ما لك من الحجج البالغة على جميع خلقه.

قول محمد بن الحنفية على قبر أخيه الحسن عليه السلام

في أوائل الجزء الثاني من العقد الفريد: وقف محمد بن الحنفية على قبر الحسن بن علي فخنقته العبرة ثم نطق فقال: يرحمك الله أبا محمد فلئن عزت حياتك فلقد هدت وفاتك ولنعم الروح روح ضمه بدنك ولنعم البدن بدن ضمه كفنك وكيف لا يكون كذلك وأنت بقية ولد الأنبياء وسليل الهدى وخامس أصحاب الكساء غذتك أكف الحق وربيت في حجر الإسلام فطبت حياً وطبت ميتاً وإن كانت أنفسنا غير طيبة بفراقك ولا شاكة في الخيار لك.

قول جابر بن عبد الله الأنصاري عند قبر الحسين عليه السلام

عن الأعمش عن عطية العوفي قال خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنه) زائراً قبر الحسين عليه السلام (وكان جابر مكفوف البصر) فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل ثم ائتزر بإزار وارتدى بآخر ثم فتح صرة فيها سُعد فنثرها على بدنه ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله تعالى حتى إذا دنا من القبر قال ألمسنيه فألمسته غياه فخر على القبر مغشياً عليه فرششت عليه شيئاً من الماء فلما أفاق قال يا حسين ثلاثاً ثم قال حبيب لا يجيب حبيبه ثم قال وإني لك بالجواب وقد شحجت أوداجك على أثباجك وفرق بين بدنك ورأسك أشهد إنك ابن خير النبيين وابن سيد المؤمنين وابن حليف التقوى وسليل الهدى وخامس أصحاب الكسا وابن سيد النقبا وابن فاطمة سيدة النسا ومالك لا تكون هكذا وقد غذتك كف سيد المرسلين وربيت في حجر المتقين ورضعت من ثدي الإيمان وفطمت بالإسلام فطبت حياً وطبت ميتاً غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة بفراقك ولا شاكة في حياتك فعليك سلام الله ورضوانه وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا ثم جال ببصره حول القبر وقال السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلت بفناء الحسين عليه السلام وأناخت برحله أشهد أنكم أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وجاهدتم الملحدين وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين.

قول ابن عباس في مقتل الحسين عليه السلام وأهل بيته في جملة كتابه إلى يزيد[١]

وهو يشتمل على المقصود لنا في هذا الفصل وفيه تصريح بأن يزيد هو الذي أمر بقتل الحسين عليه السلام ووجه إليه من يغتاله في الحرم وسبي نساءه وأطفاله وإبطال لما يتمحله بعض متعصبي عصرنا ممن ينسب إلى الفضل وإن كان بطلانه أوضح من الشمس الضاحية من إنكار كون يزيد أمر بقتل الحسين عليه السلام وإنما قتله ابن زياد بغير أمره كما تأتي الإشارة إلى ذلك في الفصل السادس (وهذا الكتاب) رواه ابن الأثير في الكامل عن شقيق ابن سلمة ورواه غيره من أهل السير والأخبار وتشهد ألفاظه ومضامينه بصحة نسبته وفيه يقول ابن عباس مخاطباً ليزيد:

إنك تسألني نصرتك وتحثني على ودك وقد قتلت حسيناً وفتيان عبد المطلب مصابيح الهدى ونجوم الأعلام غادرتهم خيولك بأمرك في صعيد واحد مرملين بالدماء مسلوبين بالعراء مقتولين بالظما لا مكفنين ولا موسدين تسفي عليهم الرياح وتنتابهم عرج الضباع حتى أتاح الله بقوم لم يشركوا في دمائهم كفنوهم وأجنّوهم وبي وبهم لو عززت وجلست مجلسك الذي جلست فما أنس من الأشياء فلست بناس إطرادك حسيناً من حرم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى حرم الله وتسييرك إليه الرجال (الخيول إليه خ ل) لتقتله في الحرم فما زلت بذلك وعلى ذلك حتى أشخصته من مكة إلى العراق فخرج خائفاً يترقب فنزلت به

(١) وقد أوردناه بتمامه في المجلس السابع والتسعين من المجالس السنية. (المؤلف).

(فزلزلت به خ ل) خيلك عداوة منك لله ولرسوله ولأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا أولئك لا كآبائك الجلاف الجفاة أشباه الحمير فطلب إليكم الموادعة وسألكم الرجعة فاغتنمتم قلة أنصاره واستئصال أهل بيته وتعاونتم عليه كأنكم قتلتم أهل بيت من الترك والكفر (إلى أن قال) ألا وإن من أعجب الأعاجيب وما عسى أن أعجب حملك بنات عبد المطلب وأطفالاً صغاراً من ولده إليك بالشام كالسبي المجلوبين إلى آخر كلامه. هذه نبذة من تأبين العظماء واستيفاء ذلك يؤدي إلى التطويل.

الفصل الرابع

في الجلوس لإقامة المآتم وإظهار الحزن وتأبين الميت بالنظم والنثر وذكر مناقبه ومآثره وما يجري هذا المجرى

والأصل جوازه بل ورجحانه إذا كان الميت من أهل المكانة عند الله تعالى إذ لم يدل دليل من الشرع على المنع منه (ويكفي) في جوازه ورجحانه في حق أهل الفضيلة ما تقدم من جواز البكاء ورجحانه على ذوي الفضيلة وإظهار الحزن والتأبين بالنظر والنثر ضرورة إنه إذا جاز ذلك أو كان راجحاً جاز الجلوس له أو كان راجحاً ولا يتفاوت الحال بين قرب العهد وبعده كما لا يخفى سيما في مثل مصيبة الحسين عليه السلام التي لا تبليها الأيام.

روى البخاري في صحيحه[١] في باب من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن بسنده عن عائشة قالت لما جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم قتل ابن حارثة وجعفر وابن رواحة جلس يعرف فيه الحزن (الحديث) قال القسطلاني في الشرح بعد قوله جلس (أي في المسجد كما في رواية أبي داود).

---

(١) صفحة ٣٩٣ من الجزء الثاني من إرشاد الساري.

وروى أيضاً في الباب المذكور بسنده عن أنس قال قَنَت رسول الله ﷺ شهراً حين قتل القراء فما رأيت رسول الله ﷺ حزن حزناً قط أشد منه.

والقراء هم الذين كانوا يتعلمون القرآن في صفة المسجد أرسلهم النبي ﷺ إلى أهل نجد فقتلوا في الطريق (كذا يفهم من القسطلاني).

وفي لسان العرب القنوت الإمساك عن الكلام وقيل الدعاء في الصلاة. انتهى. فالقنوت هنا إما الدعاء على من قتلهم وهو الأظهر أو الإمساك عن الكلام حزناً عليهم ويرشد إلى الأول ما في لسان العرب روي عن النبي ﷺ إنه قنت شهراً في صلاة الصبح بعد الركوع يدعو على رعل وذكوان. انتهى. ورعل وذكوان رجلان والظاهر إرادة القبيلتين كما أن الظاهر أن المراد بما في الحديثين واحد فإذا جاز القنوت شهراً لإظهار الحزن عليهم جاز الجلوس لذلك.

الفصل الخامس

في الانفاق عن الميت بقصد إهداء ثواب ذلك إليه أو في وجوه البر

روى مسلم في صحيحه في باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه[١] بعدة أسانيد عن عائشة أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إن أمي افتلتت نفسها ولم توص وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها أجر إن تصدقت عنها قال نعم. قال النووي في الشرح افتلتت بالفاء ونفسها بالضم نائب فاعل أو بالنصب مفعول به أي ماتت فجأة ثم قال وفي هذا الحديث أن الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو كذلك فإجماع العلماء. انتهى.

وروى أحمد بن حنبل في مسنده فيما أخرجه من حديث عائشة[٢] أن رجلاً قال للنبي ﷺ أن أمي افتلتت نفسها وأظنها لو تكلمت لتصدقت فهل لها أجر أن أتصدق عنها قال نعم. (وروى) أحمد بن حنبل أيضاً فيما أخرجه من حديث ابن عباس[٣] أن بكراً خابني ساعدة توفيت أمه وهو غائب عنها فقال يا رسول الله إن أمي

---

(١) صفحة ٣٧٧ من الجزء الرابع من شرح النووي بهامش إرشاد الساري.
(٢) صفحة ٥١ من الجزء السادس.
(٣) صفحة ٣٣ من الجزء الأول.

توفيت وأنا غائب عنها فهل ينفعها إن تصدقت بشيء عنها قال نعم قال أشهدك أن حائط المخرف صدقة عليها (عنها ظ) وقال ابن بكر المخراف.

وروى البخاري في صحيحه في باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها[١] بسنده عن عائشة قالت ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة (وقد ظ) هلك قبل أن يتزوجني لما كنت أسمعه يذكرها وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن.

وروى البخاري أيضاً بسند آخر قالت ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة فرما قلت له كأنه لم ينكن في الدنيا إلا خديجة فيقول إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد.

وروى مسلم في صحيحه[٢] بسنده عن عائشة قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين لما كنت أسمعه يذكرها ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت من قصب في الجنة وإن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها.

ورواه أحمد بن حنبل في مسنده[٣] مثله إلا إنه قال ثم يهدي في خلتها منها وفي إرشاد الساري[٤] أخرجه الترمذي في البر.

---

(١) صفحة ١٦٠ من الجزء الأول من إرشاد الساري.
(٢) صفحة ٣٢٨ من الجزء التاسع بهاشم إرشاد الساري في باب فضائل خديجة.
(٣) صفحة ٥٨ من الجزء السادس.
(٤) صفحة ١٦٢ من الجزء السادس.

وروى مسلم أيضاً بسند آخر عن عائشة قالت ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة وإني لم أدركها قالت وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة يقول أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة قالت فأغضبته يوماً فقلت خديجة فقال رسول الله ﷺ إني قد رزقت حبها.

(أقول) إهداء النبي ﷺ إلى صدائق خديجة كما دلت عليه الأخبار الأخيرة ليس فيه دلالة على إهداء ثواب ذلك إليها كما دلت عليه الأخبار الأولى نعم هو تصدق وإهداء في وجوه البر يراد به إكرام خديجة وتعظيمها وإدخال السرور عليها بإكرام صدائقها وبرهن فهو داخل فيما نحن فيه.

إذا عرفت هذا فاعلم أن المآتم التي تقام على الحسين عليه السلام لا تعدو هذه الأمور الخمسة المتقدمة في الفصول الخمسة وقد دلت الأدلة السابقة على جوازها ورجحانها وأطبق العقلاء على استحسانها إلا من مالت به المصيبة والنصب أو التقليد عن جادة الصواب.

كما إنه ظهر مما تقدم في الفصل الخامس والفصل الأول أن عد السوداني وغيره الحزن على الحسين عليه السلام وإطعام الطعام من البدع. من البدع.

الفصل السادس

في الإشارة إلى ما في هذه المآتم من الفوائد الدينية والدنيوية التي اعترف بها كافة العقلاء إلا من أعماه الهوى والغرض

ولذلك اتفق العقلاء كافة على تجديد الذكرى لعظمائهم في كل عام والاهتمام بها على قدر عظم الشخص الذي تعمل لأجله وقد أقيمت في دمشق وسائر بلاد سورية ونحن نشتغل بهذا الكتاب حفلة تذكار لمن يسمونهم شهداء الوطن الذين صلبهم جمال باشا في عهد الدولة العثمانية وأبان الحرب العمومية وذلك لأنهم سعوا في تحرير الوطن وتخليصه من ظلم الأتراك وإن كانت عاقبة أعمالهم ما هو معلوم فأقيمت لهم شعائر الحزن وأنشدت في رثائهم وتأبينهم القصائد وتليت الخطب وسارت المواكب تحمل بشارات الحزن وإنا لنكتب هذه السطور ونحن نسمع قصف المدافع بدمشق لذكرى يوم مقتل (جان دارك) الفتاة الافرنسية التي قتلت في سبيل وطن قومها وأحرقت حية كما مر في الفصل الثالث. ومن عهد غير بعيد قامت ضجة في مجلس الصلح بين الدول طلب فيها الإنكليز من الأتراك تملك الأرض التي دفنت فيها قتلاهم بجنب الدردنيل ولم يبرموا معاهدة الصلح حتى أعطوهم ذلك كما مر في الفصل الثالث أيضاً وتعداد ما هو من هذا

القبيل يوجب طول الكلام ومحافظة عقلاء الأمم على ذلك ليس إلا لما علموه فيه من الفوائد.

وأي عظيم في أي أمة قام بمثل ما قام به الحسين بن علي عليه السلام من الأعمال العظيمة لإقامة الحق وإماتة الباطل وهدم ما أسسه الظالمون لهدم الدين الإسلامي وقاوم الظلم والاستبداد بأقوى الوسائل فلو أنصف جميع المسلمين ما تعدوا خطة الشيعة في هذه المآتم التي اعترف بعظيم فوائدها عقلاء الأمم ومفكروهم كما ستعرف عند نقل كلام (جوزيف) الإفرنسي و(ماربين) الألماني.

ونحن نشير إلى جملة من فوائد هذه المآتم التي نقيمها هي في غاية الظهور والبداهة لمن تأمل وأنصف إذا روعيت شروطها وأقيمت على أصولها.

الأول: مواساة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته فإنه حزين لقتل ولده بلا ريب وقد دلت عليه جملة من الأحاديث تقدمت في مجالها وأي أمر أهم وأوجب وأعظم فائدة من مواساته صلى الله عليه وآله وسلم وهل يمكن أن يكون المرء صادقاً في دعوى حبه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وهو لا يحزن لحزنهم ولا يفرح لفرحهم أو يتخذ يوم حزنه صلى الله عليه وآله وسلم يوم عيد وسرور.

الثاني: أن فيها نصرة للحق وإحياء له وخذلاناً للباطل وإماتة له وهي الفائدة التي من أجلها أوجب الله المر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقلب وباللسان وبالجوارح فإن لم يكن بالجوارح اقتصر على اللسان والقلب فإن لم يكن باللسان اقتصر على القلب.

الثالث: أن فيها حثاً على وجوب معرفة الفضل والصفات

السامية لأهلها وفي ذلك من الحث على وجوب الإقتداء بهم ما لا يخفى.

الرابع: إن في تلاوة أخبار هذه الواقعة العظيمة وتذكرها في كل عام فائدة عظيمة هي الفائدة في تدوين التواريخ وحفظها وضبطها.

الخامس: إنه لولا إعادة ذكرها في كل عام لنسيت وآل أمرها إلى الاضمحلال ولوجد أهل الأغراض وسيلة إلى إنكارها وإنكار فظائعها وقد وقع ذلك في عصرنا فقام بعض من يريد التنويه بشأن بني أمية ويتعصب لهم ينفي عن يزيد قتل الحسين عليه السلام ويقول إنه وقع بغير أمره وبغير رأيه ويودع ذلك مؤلفاته ويقوم به خطيباً على المنابر فذكرنا بذلك قول ابن منير في رائيته المشهورة:

وأقول أن يزيد ما شرب الخمور ولا فجر
ولجيشه بالكف عن أبناء فاطمة أمر
وله مع البيت الحرا م يد تكفر ما غبر

وذكرنا بذلك أيضاً ما وقع مع بعض علماء الشيعة حين قيل له أن الحسين عليه السلام قتل قبل ألف ومئات من السنين فما معنى تجديدكم لذكرى قتله في كل عام فقال خفنا أن تنكروا قتله كما أنكرتم بيعة الغدير.

السادس: إن فيها تهجيناً للظلم والقسوة حيث إنها تصورها بأقبح صورها وفي ذلك الحث على التباعد عنها وبغض الظلم وأهله ما لا يخفى.

السابع: إنها ترقق القلوب وتبعث على الرحمة والشفقة والانتصار للمظلوم.

الثامن: إنها تغرس في النفوس حب الفضيلة والاعتماد على النفس والشجاعة وعز النفس وإباء الضيم وعدم الخنوع للظلم ومقاومته بأقصى الجهد بإيراد ما صدر من الحسين عليه السلام من اختيار المنية على الدنية وموت العز على حياة الذل ومصرع الكرام على طاعة اللئام وإلى ذلك أشار مصعب ابن الزبير بقوله[(١)]:

وإن الأولى بالطف من آل هاشم   تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

التاسع: إنها مدرسة يسهل فيها التعلم والاستفادة لجميع طبقات الناس فيتعلمون فيها التاريخ والخلاق والتفسير والخطابة والشعر واللغة وغير ذلك وتوقف السامع على بليغ الكلام من نظم ونثر زيادة على ما فيها من تهذيب النفوس وغرس الفضيلة فيها لأن ما يتلى فيها لا يخلو غالباً من شيء مما ذكر ويشتغل فيها الخاصة بمذاكرة المسائل العلمية من كل علم والبحث عنها وتبادل الآراء فيها كما هي العادة المألوفة في العراق وغيره.

العاشر: إنها نادٍ للوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يجري هذا المجرى ففيها جلب إلى طاعة الله وإبعاد عن معصيته بأحسن الطرق وأنفعها بما يلقى فيها من المواعظ المؤثرة وقضايا الصالحين والزهاد والعباد وغير ذلك.

---

(١) ذكر ابن الأثير في تاريخه أن مصعب بن الزبير لما كان يحارب عبد الملك ابن مروان ورأى تخاذل أهل الكوفة عنه قال لعروة بن المغيرة بن شعبة أخبرني عن الحسين بن علي كيف صنع بامتناعه من النزول على حكم ابن زياد وعزمه على الحرب فأخبره فقال وإن الأولى بالطف «البيت».

الحادي عشر: أن الاجتماع في تلك المجالس يكون مانعاً عن اجتماع البطالين في القهوات والمجالس المعلوم حالها خصوصاً في مثل هذا الزمان فإن الإنسان مدني بالطبع ولا بد له من الاجتماع مع أبناء جنسه إما على خير أو على شر فالاجتماع في هذه المجالس مانع عن الاجتماع في مجالس الشر لا سيما إنها تشتمل على ما يجذب النفوس إليها ويرغبها فيها.

الثاني عشر: إنها جامعة إسلامية دينية تجتمع فيها القلوب على مقصد واحد وترمي إلى هدف واحد في جميع أقطار الأرض وهو مواساة النبي وأهل بيته عليه وعليهم الصلاة والسلام في مصابهم وفي ذلك من إعلاء شأنهم والتمسك بحبلهم وجمع القول على حبهم والائتمار بأمرهم والانتهاء عن نهيهم ما لا يخفى.

الثالث عشر: إنها مجمع ومؤتمر ديني ودنيوي يتسنى فيه للمجتمعين البحث وتبادل الآراء في شؤونهم وشؤون إخوانهم النائين عنهم الدينية والدنيوية بغير كلفة ولا مشقة.

الرابع عشر: إنها نادي تبشير بالدين الإسلامي ومذهب أهل البيت في جميع أنحاء المعمور بأقوى الوسائل وأنفعها وأسهلها وأبسطها وأشدها تأثيراً في النفوس بما تودعه في قلوب المستمعين من بذل أهل البيت الذي هم رؤساء الدين الإسلامي أنفسهم وأموالهم ودماءهم في نصرة دين الإسلام وما تشتمل عليه من إظهار محاسن الإسلام ومزاياه وآياته ومعجزاته التي أبانوا عنها بأقوالهم وأفعالهم وشؤونهم وأحوالهم مما لا يدانيه ما تبذل عليه الأموال الطائلة من سائر الأمم وتتحمل لأجهل المشاق العظيمة.

الخامس عشر: إن فيها عزاء عن كل مصيبة وسلوة عن كل رزية فإذا رأى الإنسان أن سادات المسلمين بل سادات الناس وآل بيت المصطفى ﷺ جرى عليهم من أنواع الظلم والمصائب ما جرى هانت عليه كل مصيبة وفي المثل المشهور من رأى مصيبة غيره هانت عليه مصيبته وإلى ذلك أشار الشاعر بقوله:

أنست رزيتكم رزايانا التي سلفت وهونت الرزايا الآتية

السادس عشر: إن فيها حثاً على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة فإذا علم المرء أن سادات المسلمين وأئمتهم وأهل بيت النبوة قد ابتلوا بهذه المصائب في الدنيا فكانت سبباً لعلو درجتهم في الآخرة علم أن الدنيا لو كانت تساوي عند الله تعالى جناح بعوضة لما ابتلى أولياءه فيها بما ابتلاهم ولما سقى الكافر منها شربة ماء كما جاء في الأثر وكما أشار إليه الشاعر بقوله:

لهم جسوم على الرمضاء مهملة وأنفس في جوار الله يقريها
كأن قاصدها بالضر نافعها وأن قاتلها بالسيف محييها

السابع عشر: أن فيها تأليفاً للقلوب وبالتزاور والاجتماع والتحادث والتعاون والتعارف.

الثامن عشر: ما فيها من البر والمواساة وإعانة الفقراء والضعفاء بما ينفق فيها من المال والزاد في ثواب الحسين عليه السلام.

التاسع عشر: وهو من أهمها أن المصلحة التي استشهد الحسين عليه السلام من أجلها وفي سبيلها والغاية السامية التي كان يرمي في جهاده واستشهاده إليها وهي إحياء دين جده ﷺ وإظهار فضائح المنافقين تقضي باستمرار هذه المآتم طول الدهر وإقامة التذكار لها في

كل عصر وإظهارها للخاص والعام تقوية لتلك المصلحة وتثبيتاً لها فلولا قتل الحسين عليه السلام لما ظهر للخاص والعام فسق يزيد وكفره وفجوره وقبائح من مهد له ومكنه من رقاب المسلمين.

وذلك لأن الذين دفعوا أهل البيت عن حقهم ظهروا للناس بمظهر النيابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وتظاهروا بتأييد الدين فخفي أمرهم على أكثر الناس وبدلوا من أحكام الشريعة ما شاءوا واتبعهم جل الأمة جهلاً أو رغباً أو رهباً وأمروا على الأمة أعوانهم وأتباعهم وأقصوا أولياء الله وأبعدوهم وحرموهم وساموهم أنواع الأذى من القتل والضرب والنفي والصلب ولعنوا أمير المؤمنين عليه السلام على منابر الإسلام وكنَّوا به عن أخيه وابن عمه وأظهروا للأمة أنهم هم آل رسول الله صلى الله عليه وآله وقرابته والأحق بمقامه وقد قال أهل الشام لبني العباس إنهم ما كانوا يعرفون قرابة لرسول الله صلى الله عليه وآله إلا بني أمية ولو دام الحال على ذلك لأصبح الدين أثراً بعد عين فلما ثار عليهم الحسين عليه السلام وأبى إطاعتهم والانقياد لهم قائلاً إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا ختم ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله وسلم نفسه وولده وخواص شيعته وأهل بيته للقتل وأطفاله للذبح وعياله ونساءه للسبي وأمواله للنهب ولسان حاله يقول:

إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي يا سيوف خذيني

ظهر بذلك ما هم عليه خصومه من الكفر والنفاق بل الخرج عن حدود الإنسانية وظهرت عداوتهم لله وانتقامهم من رسول الله صلى الله عليه وآله كما صرح بذلك رئيسهم بقوله:

لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

فلم يكتفوا بقتل ولده وسبطه وأهل بيته وأنصاره عطشاً حتى قطعوا رأسه ورؤوس أصحابه وداروا بها في البلدان وداسوا جسده الشريف بحوافر الخيل ونهبوا رحله وأحرقوا خيامه ولم يكتفوا بذلك حتى حملوا عقائل بيت النبوة سبايا على اقتاب المطايا من بلد إلى بلد كأنهن سبايا الترك أو الديلم وأدخلوهن على مجالس الرجال وقابلوهن بأخشن المقال وأوقفوهن على درج باب المسجد الجامع بدمشق حيث يقام السبي ووضعوا الأغلال في عنق زين العابدين حتى كأنه من قطاع الطريق أو من أسارى الكفار العاتين فأظهر الحسين عليه السلام بقتله فضائح المنافقين وأسقطهم من قلوب المسلمين واستلفت الأنظار بمصيبته إلى سائر مصائب أهل البيت وأبان بمصيبته أن هذا البناء على ذلك الأساس وهذا الحصد من ذلك الزرع وهذا السيل من ذلك المطر وهذه النار من ذلك الشرر وأن الحسين عليه السلام لم يقتل في يوم كربلاء بل قبله بعشرات من الأعوام ونبه الأفكار إلى البحث عن أساس هذه الفاجعة وأسبابها وعن أول شرارة قدحت لإضرامها.

(وما المسبب لو لم ينجح السبب)

بنى لهم الماضون أساس هذه فعلُّوا على أساس تلك القواعد

سهم أصاب وراميه بذي سلم من بالعراق لقد أبعدت مرماك

فتحركت النفوس لنصرة أهل البيت عليهم السلام والأخذ بثأرهم حتى قتل من أهل الشام في وقعة عين الوردة بين إبراهيم بن مالك الأشتر وعبيد الله بن زياد سبعون ألفاً ولم يقتل منهم بعد وقعة صفين مثلما قتل في هذه الوقعة وانتبه من أنار الله بصيرته إلى نصوص الكتاب والسنة فيهم وانقادت النفوس إلى حبهم وتألبت على عدوهم وأبغضته

ونفرت منه وعاد كثير من الأمة إلى اقتفاء آثار أهل البيت والاقتباس من علومهم وأخذ دين جدهم وعلمه الذي أودعه إياهم عنهم فعادت بذلك إلى الدين حياته وارتفع منارة وأحييت وتجددت آثاره ولولا قتل الحسين عليه السلام لكانت الناس كلها إلى اليوم تأخذ معالم دينها عن يزيد وسلفه ولما كان يعرف أحد حملة دين الله ومعادن علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا ظاهر لمن تدبر وأبصر ولم يعمه الهوى والتعصب.

(ومما) يدل على إن الحسين عليه السلام سلم نفسه للقتل عالماً كما عهده إليه أبوه عن جده صلى الله عليه وآله وسلم لقصد إحياء الدين وإظهار فضائح المنافقين ما أشرنا إلى جله في خاتمة لواعج الأشجان (من قوله) في خطبته حين عزم على الخروج إلى العراق كأني بأوصالي يقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء إلى كثير من فقراتها (ونهي) عمر بن عبد الرحمن بن الحارث له بمكة عن الخروج محتجاً بما لا يدفع ولا يمكن أن يخفى مثله على الحسين عليه السلام من إتيانه بلداً فيه عماله وأمراؤه ومعهم بيوت الأموال وإن الناس عبيد الدينار والدرهم وعدم أخذه بقوله مع اعتذاره إليه واعترافه بنصحه (ونهي) ابن عباس له محتجاً بنحو ذلك (ومعاودته) النهي وإشارته باليمن فلم يقبل منه (وقوله) لأخيه محمد بن الحنفية أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا حسين اخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً قال ما معنى حملك هذه النسوة معك قال إن الله قد شاء أن يراهن سبايا (وقول) ابن عمر له إنك مقتول في وجهك هذا وما ظهر له ما كان ليخفى على الحسين عليه السلام (وقول) الفرزدق له قلوب الناس معك وأسيافهم عليك (وقول)

بشر بن غالب له خلفت القلوب معك والسيوف مع بني أمية وتصديقه له (ونهي) عبد الله بن جعفر له وإشفاقه عليه من ذلك الوجه أن يكون فيه هلاكه واستئصال أهل بيته وقول الحسين عليه السلام له أنه رأى جده صلى الله عليه وآله وسلم في المنام وأخبره بما هو ماض له وامتناعه من الإخبار بتلك الرؤيا (ونهي) عبد الله بن مطيع له قائلاً والله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك وإباؤه إلا المضي (وقول) الأعراب له إنا لا نستطيع أن نلج ولا نخرج القاضي باستيلاء عدوه استيلاء تاماً وخطورة الأمر (وإخبار) أخته زينب بما سمعته حين نزلوا الخزيمية (وما) رآه في منامه بالثعلبية (وقوله) لأبي هرة الأزدي وأيم الله لتقتلني الفئة الباغية (وقول) الأسديين له حين أخبراه بقتل مسلم وهاني وأشارا عليه بالرجوع إنه ليس لك بالكوفة ناصر بل هم عليك (واستشارته) بني عقيل وامتناعهم من الرجوع وقوله للأسديين لا خير في العيش بعد هؤلاء الدال على أن استشارتهم ليجيبوا بالامتناع فيعتذر إلى الأسديين وإنه عازم على عدم الرجوع على كل حال مع ظهور الخطر (وقوله) حين جاءه خبر مسلم وهاني وابن يقطر قد خذلنا شيعتنا فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف (وعدم) رجوعه بعد تفرقهم عنه (وقوله) لعمرو بن يوذان حين أشار عليه بالرجوع لأن الذين كتبوا إليه لم يكفوه مؤنة القتال وإنه لا يقدم إلا على الأسنة وحد السيوف ليس يخفي علي الرأي ولكن الله تعالى لا يغلب على أمره (وقوله) والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي (وقوله) وأيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقتلوني (وكتابه) إلى بني هاشم من لحق بني استشهد ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح (وقوله) لأم سلمة حين قالت له يا بني لا تحزني بخروجك

إلى العراق فإني سمعت جدك ﷺ يقول يقتل ولدي الحسين بأرض يقال لها كربلاء: يا أماه وأنا والله أعلم ذلك وأني مقتول لا محالة وليس لي منه بد وقد شاء الله أن يراني مقتولاً ويرى حرمي مشردين وأطفالي مذبوحين (وقول) أخيه عمر له حين امتنع من بيعة يزيد حدثني أخوك أبو محمد عن أبيه ثم بكى حتى علا شهيقه فضمه الحسين إليه وقال حدثك أني مقتول قال حوشيت يا ابن رسول الله فقال بحق أبيك بقتلي خبرك قال نعم فلو بايعت فقال عليه السلام حدثني أبي أن رسول الله ﷺ أخبره بقتله وقتلي وأن تربتي تكون بقرب تربته أتظن أنك علمت ما لم أعلم (وقول) جده ﷺ له في المنام لما ذهب ليودعه بأبي أنت كأني أراك مرملاً بدمك بين عصابة من هذه الأمة ما لهم عند الله من خلاق (وقوله) لولا تقارب الأشياء وحبوط الأجر لقاتلتهم بهؤلاء (يعني الملائكة) ولكن أعلم علماً أن من هناك مصعدي وهناك مصارع أصحابي لا ينجو منهم إلا ولدي علي (وقوله) الموعد حفرتي وبقعتي التي استشهد فيها وهي كربلاء (وقوله) لمؤمني الجن فإذا أقمت في مكاني فبماذا يمتحن هذا الخلق المتعوس ومن ذا يكون ساكن حفرتي (إلى أن قال) ولكن تحضرون يوم السبت وهو يوم عاشوراء الذي في آخره أقتل (وقوله) لابن عباس وابن الزبير حين أشارا عليه بالإمساك: إن رسول الله ﷺ أمرني بأمر وأنا ماض فيه فخرج ابن عباس وهو يقول واحسيناه (وقوله) لما أخبر بقتل قيس بن مسهر فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر (وأنه) ما نزل منزلاً ولا ارتحل منه إلا ذكر يحيى بن زكريا وقتله إلى غير ذلك وكل ما ذكرناه مسطور في كتب السير والمقاتل.

الفصل السابع

فيما ذكره المسيو (ماربين) الألماني والدكتور (جوزيف) الإفرنسي في أسرار شهادة الحسين وفوائد مآتمه

نتقله هنا لبيان تطابق العقلاء على استحسان مثل هذه المآتم التي أثبتنا بما تقدم تحسين الشرع لها وقد تُرجم ما ذكراه إلى التركية والهندية وترجم أيضاً إلى الفارسية وأُوردت الترجمة في جريدة حبل المتين الفارسية في العدد الثامن والعشرين من السنة الثامنة بتاريخ ٧ محرم سنة ١٣٢٩هـ ـ ١٩١١م وترجمنا نحن ما ذكرته الجريدة المذكورة إلى العربية بما هذه صورته:

قال المسيو (ماربين) الألماني ذلك الفيلسوف المعروف والحكيم المشهور من أكبر مؤرخي الإفرنج وأعلمهم بالسياسة الإسلامية في رسالته المسماة بالسياسة الإسلامية المبنية على فلسفة الإسلام تحت عنوان: **الثورة الكبرى أو السياسة الحسينية**

(ترجمة ما نقلته جريدة حبل المتين عن المسيو ماربين الألماني) في فلسفة مذهب الشيعة

الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن

عبد مناف هو سبط محمد المتولد من ابنته وحبيبته فاطمة عليها السلام ويمكننا القول بأنه كان جامعاً للأخلاق والصفات المستحسنة عند العرب في ذلك الزمان ووارثاً للشجاعة من أبيه وأعلم المسلمين بأحكام دين جده وحاوياً بدرجة كاملة للجود الذي هو أحب الصفات وكان طلق اللسان فصيح البيان للغاية اتفق المسلمون بلا مخالف على حسن العقيدة في الحسين حتى أن الطوائف التي تذم أباه وأخاه[١] تمدحه وتثني عليه وكتبهم مشحونة بذكر ملكاته الحسنة وسجاياه المستحسنة وكان غيوراً صادقاً غير هياب وأن لغالب فرق المسلمين عقائد عظيمة في الحسين عليه السلام ولكن الذي نقدر أن نكتبه في كتابنا بكمال الطمأنينة وبلا خوف المعارض هو أن تابعي علي عليه السلام[٢] يعتقدون في الحسين أكثر مما تقوله النصارى في المسيح عليه السلام[٣] فكما أننا نقول إن عيسى تحمل هذه المصائب لتكفير السيئات هو يقولون ذلك في الحسين ويعدونه الشفيع المطلق يوم القيامة والشيء الذي لا يقبل الإنكار أبداً إذا قلناه في الحسين هو أنه كان في عصره أول شخص سياسي ويمكن أن نقول أنه لم يختر أحد من أرباب الديانات سياسة مؤثرة مثل سياسته ومع أن أباه علياً هو حكيم الإسلام وحكمياته وكلياته (وكلماته ظ) الشخصية لم تكن بأقل مما هو لسائر حكماء العالم المعروفين ولم يظهر منه مثل السياسة الحسينية ولأجل إثبات هذه المسألة يلزم الالتفاف قليلاً إلى تاريخ العرب قبل الإسلام

---

(١) المراد الخوارج.

(٢) أي الشيعة.

(٣) أي من حيث علو الشأن وسمو المقاصد كما يدل عليه قوله فكما أننا نقول. . ز الخ. فإنه لا يعتقدها أحد من المسلمين في حق الحسين. (المؤلف).

فنرى أنها كانت قرابة بين بني هاشم وبني أمية أي أنهم بنو أعمام لأن أمية وهاشم أنجال عبد مناف ومن قبل الإسلام كان بينهم نفور وكدورة بدرجة متناهية وحصل بينهم مراراً مجادلات وقتال وكان كل من الطرفين طالباً ثأره من الآخر وكان بنو هاشم وبنو أمية أعزاء محترمين في قريش ولهم السيادة بنو أمية من جهة الغنى والرياسة الدنيوية وبنو هاشم من جهة العلم والرياسة الروحانية وفي بدء الإسلام ازدادت العداوة بين بني هاشم وبني أمية إلى أن فتح النبي محمد ﷺ مكة وأدخل في طاعته وتحت أمره عموم قريش وبني أمية وفي الواقع استولى على رياسة العرب الدينية والدنيوية فلأجل ذلك ارتفع قدر بني هاشم بين العرب وأطاعتهم بنو أمية وأضرم هذا التقدم في الباطن نار الحسد لبني هاشم في صدور بني أمية وكانوا على استعداد للإيقاع ببني هاشم حقداً عليهم فلما توفي النبي ﷺ اتسع لهم المجال لذلك فسعوا أولاً أن لا يكون الخليفة للنبي ﷺ على أصول ولاية العهد بل على أصول أكثرية الآراء ولم تدع شدة مخالفة بني أمية أن تكون أكثرية الآراء في الخلافة بجانب بني هاشم فهنا نال بنو أمية مآربهم وتغلبوا على بني هاشم وبسبب الخلافة تمكن بنو أمية من الحصول على مقام منيع فسهلوا الطريق لمستقبلهم وكانوا يسعون في رفعة منزلتهم عند الخلفاء يوماً فيوماً وأصبحوا ركناً من أركان السلطنة الإسلامية حتى أصبح الخليفة الثالث منهم وأصبح بنو أمية متفوقين تفوقاً مطلقاً في كل عمل ومكان ووطدوا مقامهم للمستقبل ونظراً إلى تلك العداوة والثارات التي كانت لبني أمية عند بني هاشم حسب عوائد العرب في ذلك الزمان كان إظهارهم لخلوص العقيدة والنية الصافية للإسلام أقل من سواهم وكانوا باطناً يرون من

العار أن يتبعوا ديناً يكون ختامه باسم بني هاشم ولكثرة المسلمين في ذلك الزمان كان بنو أمية يسيرون وراء مقاصدهم تحت ظل هذا الدين ولم يعلنوا بمخالفته وتظاهروا بمتابعته ولما رأوا أنفسهم في المقامات العالية ووطدوا مقامهم في الجاه والجلالة أظهروا تمردهم عن أحكام الإسلام حتى أنهم كانوا في المحافل يستهزئون بدين جاء به بنو هاشم[١] ولما رأى بنو هاشم أن الأمر صار إلى هذا واطلعوا على نوايا بني أمية لم يقعدوا عن العمل وأظهروا للناس أعمال الخليفة الثالث بأساليب عجيبة[٢] فأثاروا المسلمين عليه حتى آل الأمر إلى أن اشترك رؤساء طبقات المسلمين في قتله وبأكثرية الآراء أصبح علي الخليفة الرابع. من بعد هذه الواقعة تأكد بنو أمية أنها ستكون لبني هاشم السيادة والعظمة كما كانت لهم في زمن النبي ﷺ فلهذا قام معاوية الذي كان حاكماً بلاد الشام من قبل الخلفاء السابقين وكان ذا اقتدار ودهاء ونظر بعيد ناشراً لواء العصيان على علي بدعوى أن قتل عثمان كان بإشارة منه وألقى الخلاف بين المسلمين وبتلك الطريقة التي كانت بين العرب قبل الإسلام شهر السيف بينهم. ومعاوية وإن لم يغلب علياً في هذه الحروب العديدة لكنه لم يكن مغلوباً ولم يطل زمن تمرد بني أمي على رياسة بني هاشم حتى قتلوا علياً عليه السلام[٣] وعندئذ تغلب معاوية وصالحه الحسن الذي هو الأخ الأكبر للحسين وهو الخليفة الخامس وعادت الخلافة إلى بني أمية فكان معاوية من

---

(١) لعل المراد ما فاه به يزيد من قوله لعبت هاشم... الخ وما قاله الوليد حين استفتح بالمصحف وغير ذلك.

(٢) الذين أظهروا ذلك لم يكونوا من بني هاشم كما دل عليه التاريخ.

(٣) الذين قتلوا علياً عليه السلام هم الخوارج لا بنو أمية. (المؤلف).

جهة يسعى في تقوية ملكه ومن جهة أخرى يسعى في اضمحلال بني هاشم ولم يفتر دقيقة واحدة عن محوهم وكان الحسين مع أنه تحت نفوذ أخيه الحسن لم يطع بني أمية ولم يظهر مخالفتهم وكان يقول علناً لا بد أن أقتل في سبيل الحق ولا استسلم للباطل وكان بنو أمية في اضطراب منه وبقي هذا الاضطراب إلى أن مضى الحسن ومعاوية وجلس يزيد في مقام أبيه على أصول ولاية العهد وأبطلت الخلافة بأكثرية الآراء من بعد علي عليه السلام ولكن بعد تعيينه لولاية العهد استحصل معاوية على صك بأخذ البيعة له من رؤساء القوم ورأى الحسين عليه السلام من جهة أن حركات بني أمية الذين كانت لهم السلطة المطلقة والرياسة الروحانية الإسلامية قاربت أن تزعزع عقيدة المسلمين من دين جده ومن جهة أخرى كان يعلم أنه إذا أطاع يزيد أو لم يطعه فبنو أمية نظراً لعداوتهم وبغضهم لبني هاشم لا يألون جهداً في محوهم وإذا دامت هذه الحال مدة لا يبقى أثر لبني هاشم في عالم الوجود فلهذا صمم الحسين عليه السلام على إلقاء الثورة بين المسلمين ضد بني أمية كما أنه رأى من حين جلوس يزيد في مقام أبيه وجوب عدم إطاعته ولم يخف مخالفته له وجدَّ يزيد في أخذ البيعة من الحسين ودخوله في طاعته فلهذا سلم الحسين نفسه للقتل عالماً عامداً لما كان يدور في خلده من الأفكار السامية. وإذا تأمل المنصف بدقة في حركات تمثيل ذاك الدور وتقدم مقاصد بني أمية وكيفية تزعزع المسلمين واستيلاء بني أمية على جميع طبقات المسلمين يحكم بلا تردد أن الحسين عليه السلام أحيى بقتله دين جده وقوانين الإسلام ولو لم تقع هذه الواقعة ولم يحصل ذاك الاهتزاز الكهربائي في المسلمين من قتل الحسين لم يبق الإسلام على حالته

الحاضرة أبداً وبما أن الإسلام كان قريب العهد كان من المحتمل أن تضمحل أحكامه وقوانينه. ولما كان الحسين عليه السلام بعد أبيه مصمماً على القيام بذلك المقصد النبيل خرج من المدينة بعد جلوس يزيد في مقام أبيه لينشر أفكاره العالية في مراكز الإسلام المهمة مثل مكة والعراق. وكل نقطة كان يطأها الحسين عليه السلام كان يتولد في قلوب أهلها لبني أمية النفور الذي هو مقدمة للثورة. وأن يزيد لم تخف عليه هذه النقاط الدقيقة ولقد علم أنه لو حصل في نقطة من مملكته ثورة ونشر له الحسين لواء المقاومة لسادت هذه الفكرة في جميع البلاد الإسلامية سيادة عامة بسرعة تامة (أولاً) لنفور المسلمين من كيفية سلوك بني أمية وحكومتهم (وثانياً) لانعطاف القلوب نحو الحسين عليه السلام ولكانت سبباً لزوال السلطنة الأبدية من بني أمية فلهذا صمم يزيد بعد جلوسه على تخت الملك قبل كل شيء على قتل الحسين عليه السلام وكانت هذه أكبر الغلطات السياسية لبني أمية وبهذه الهفوة السياسية محو اسمهم ورسمهم من صفحة عالم الوجود. أكبر دليل على أن الحسين عليه السلام كان ذاهباً لمصرعه ولم يقصد السلطنة والرياسة أبداً هو أنه مع ذلك العلم وتلك السياسة والتجربة التي اكتسبها في عهد أبيه وأخيه في قتالهم مع بني أمية كان يعلم أنه لفقده الاستعدادات اللازمة مع تلك القوة التي كانت ليزيد لا يمكنه المقاومة. وأيضاً الحسين عليه السلام بعد قتل أبيه كان يخبر عن نفسه أنه مقتول لا محالة ومن الساعة التي خرج فيها من المدينة كان يقول بصوت عال وبلا تستر إنني ذاهب للقتل وكان يصرح بذلك لأصحابه إتماماً للحجة ليتركه من اتبعه طمعاً في الجاه وكانت لهجته على الدوام أن أمامي طريق المصرع. ولو لم يكن الحسين بهذه الأفكار لم

يكن ليستسلم للموت بل كان يسعى لإعداد جيش لا إنه يفرق الجماعة الذين معه ولما لم يكن له قصد سوى القتل الذي هو مقدمة لتلك الأفكار السامية وتلك الثورة المقدسة التي كانت في نظره رأى أن أكبر وسيلة لتلك الثورة هي فقد الأنصار والقتل مظلوماً فاختارها لتكون مصائبه أشد تأثيراً في القلوب. ومن الواضح أنه مع تلك المحبة التي كانت للحسين عليه السلام في نفوس المسلمين في ذلك الزمن لو صمم على جلب قوة لتمكن من جمع جيش جرار ولو قتل على تلك الحالة لقيل إنه قتل في سبيل الملك ولم تحصل له المظلومية التي أنتجت تلك الثورة العظمى فلهذا لم يبق معه سوى الأشخاص الذين لم يمكن انفكاكهم عنه كأولاد وإخوته وأبناء إخوته وأبناء أعمامه وبعض خواص أتباعه حتى أن هؤلاء أيضاً كلفهم بالانفكاك عنه فلم يقبلوا وهؤلاء أيضاً كانوا عند المسلمين موصوفين بالتقدس وجلالة القدر وصار بسبب قتلهم مع الحسين عليه السلام زيادة في عظم هذه الواقعة وتأثيرها (وكان) الحسين عليه السلام بقوة العلم والسياسة لم يفتر آناً عن إفشاء مظالم بني أمية وإظهار نواياهم السيئة في عداوتهم لبني هاشم وآل محمد صلى الله عليه وآله (ومنها) أنه لعلمه بعداوة بني أمية له ولأهل بيته كان يعلم بأنه قد قتله سيأسرون نساء وأطفال بني هاشم الذين هم آل محمد وإنها ستؤثر هذه الواقعة في قلوب المسلمين خصوصاً العرب منهم بدرجة فوق التصور كما جرى ذلك فحركات ظلم بني أمية وعدم رحمتهم لحريم وصبية نبيهم أثرت في قلوب المسلمين تأثيراً لم يكن بأقل من تأثير قتل الحسين وأصحابه وقد أظهر ذلك عداء بني أمية لآل بيت محمد صلى الله عليه وآله وعقائدهم في الإسلام وسلوكهم مع المسلمين فلهذا كان يقول الحسين عليه السلام علناً لأصحابه

الذين ينهونه عن السفر للعراق أنا ذاهب للقتل ولما كانت أفكارهم محدودة ولم يطلعوا على مقاصده السامية كانوا يصرون على منعه حتى كان جوابه الأخير لهم هكذا شاء الله وأمرني جدي فكانوا يجيبونه بتأكيد إذا كنت ذاهباً للقتل فلا تأخذ النساء والأطفال معك فكان يجيبهم قد أراد الله أن يكون عيالي أسرى ولما كان الحسين عليه السلام يومئذ رئيساً روحانياً للمسلمين لم يجدوا لتلك الكلمات جواباً وكانت دليلاً على عدم تصوره لسوى تلك الأفكار العالية وإنه لم يتحمل هذه المصائب للحصول على السلطنة ولم يرد هذه المهلكة العظيمة على غير علم كما تصور ذلك بعض مؤرخينا بدليل إنه كان قبل هذه الواقعة بسنين متطاولة يترنم بذكر مصائبه التي ستقع على سبيل التسلية لخواص أصحابه من ذوي الأفكار العالية والأدمغة الواسعة قائلاً سيظهر الله بعد قتلي وظهور تلك المصائب المفجعة أقواماً يميزون الحق من الباطل ويزورون قبورنا ويبكون على مصائبنا ويأخذون الثأر من أعداء آل محمد هؤلاء الجماعة يروجون دين الله وشريعة جدي ونحبهم أنا وجدي وسيحشرون معنا يوم القيامة. فإذا أُنعم النظر في كلمات الحسين عليه السلام وحركاته يُرى أنه لم يفتر لحظة عن إظهار قبائح بني أمية وعداوتهم القلبية لبني هاشم ومظلوميته وهذه السياسة البالغة إلى النهاية وقوة القلب والاستماتة تثبت سلوكه في طريق أفكاره السامية حتى إنه في آخر لحظة من حياته أتى بعمل في مسألة طفله الرضيع حير فيه عقول الفلاسفة ففي تلك الساعة العصيبة مع تلك المصائب المفجعة وتراكم الأفكار والعطش وكثرة الجراحات أيضاً لم يصرف نظره عن أفكاره السامية مع أنه كان يعلم أن بني أمية لا يرحمون طفله الصغير ولكنه لتعظيم مصيبته حمله

على يديه وتظاهر بطلب الماء له فسمع الجواب بالسهم كأن الحسين عليه السلام كان قصده من هذه الحركة أن يعلم العالم أن عداوة بني أمية لبني هاشم إلى أي درجة كانت وأن لا يتصوروا أنه كان إقدام يزيد على هذه الفجيعة اضطراراً لأجل الدفاع عن نفسه لأن قتل هذا الطفل الرضيع في مثل هذا الحال مع تلك الوضعية المدهشة لا تظهر إلا وحشيتهم وعداوتهم السبعية التي تنافي قواعد كل دين ومذهب وهذه النكتة وحدها ترفع الستار عن وجه قبائح أعمال بني أمية ونواياهم الفاسدة وعقائدهم السيئة وتظهر للعالم أجمع وللمسلمين خاصة أن بني أمية لم تسع في مخالفة النبوة والإسلام فقط بل تسعى عن طريق العصبية الجاهلية في أن لا تبقي من بني هاشم وعلى الأخص بقايا آل محمد دياراً فالحسين عليه السلام بتلك الأفكار السامية وسعة العلم والعقل والسياسة التي كانت مسلمة له إلى أن قتل لم يرتكب أمراً يلجئ بني أمية لدفعه حتى إنه مع ذلك النفوذ الذي كان له يومئذ وتلك المقدرة العظيمة لم يستول عل بلدة من بلاد المسلمين ولم يهاجم حكومة من حكومات يزيد وأخيراً قبل أن تظهر منه حركة عصيان أو تبدو منه إساءة حاصروه في فلاة غير ذات زرع. أبداً لم يقل الحسين عليه السلام إني سأكون ملكاً أو أريد الملك إنما كان يظهر مساوئ بني أمية واضمحلال الإسلام من سيرهم ويخبر عن قتله وكان فرحاً جذلاً من مظلوميته. ولما حاصروه في البيداء أظهر أنهم لو تركوه فهو مستعد لأن يخرج بعياله وأطفاله من سلطنة يزيد أي من الممالك الإسلامية وهذه النكتة وحدها التي تثبت سلامة نفس الحسين التي أثرت في قلوب المسلمين غاية الأثر ضد بني أمية. قبل الحسين قتل أيضاً كثير من الرؤساء الروحانيين وأرباب الديانات ظلماً وقامت

الدعوة من بعد قتلهم وسل أتباعهم السيوف على أعدائهم كما تكرر ذلك في بني إسرائيل وقضية يحيى هي إحدى الوقائع التاريخية الكبرى وتلك الخطة التي سلكها اليهود مع السيد المسيح إلى ذلك الزمان لم يقع نظيرها ولكن لواقعة الحسين مزية على جميع تلك الوقائع. لم ير في التاريخ أن أحد الروحانيين وأرباب الديانات سلم نفسه للقتل عالماً عامداً لأفكار عالية متأخرة أي أن كل واحد من أرباب الديانات الذين قتلوا هجم عليهم أعداؤهم وقتلوهم عنفاً وظلماً وعلى قدر مظلوميتهم كانت قوة الثورة من بعدهم ولكن واقعة الحسين عليه السلام كانت عن علم وحكمة وسياسة وليس لها نظير في تاريخ الدنيا تأهب الحسين عليه السلام للقتل سنين متوالية ونظره ممدود إلى مقاصد عالية جداً ولم يوجد في التاريخ أحد سلم نفسه للقتل عالماً عامداً لترويج دينه في المستقبل سوى الحسين عليه السلام.

إن للمصائب التي تحملها الحسين عليه السلام في سبيل إحياء دين جده مزية على السالفين من أرباب الديانات ولم ترد على أحد من الماضين وعلى فرض القول بأن أشخاصاً أخر خسروا نفوسهم أيضاً في طريق الدين لكنهم ليسوا كالحسين عليه السلام. الحسين جاد بنفسه العزيزة وبجميع أبنائه وإخوته وأبناء إخوته وأبناء أعمامه وخواص أحبابه وأقربائه جاد بالمال سلم عياله للأسر هذه المصائب لم تفاجئه على حين غرة وعلى غير علم لتكون في حكم مصيبة واحدة بل وردت هذه المصائب على مرور الزمان واحدة بعد واحدة وهجوم هذه المصائب المترادفة مختص بالحسين وحده في تاريخ الدنيا. فمن عظم مصائب الحسين ارتفع الستار فجأة عن سرائر بني أمية وظهرت قبائح

أعمالهم. بمجرد قتل الحسين عليه السلام وورود تلك الرزايا المؤلفة وأسر نسائه وبناته ظهر في المسلمين حس السياسة ومادة الثورة ضد سلطنة يزيد وآل أمية وعلموا أن بني أمية هم مخربو الإسلام فردوا بدعهم ومجهولاتهم وسموهم الظالمين والغاصبين وبالعكس بنو هاشم فسموهم مظلومين مستحقين للرياسة وعرفت فيهم حقيقة روحانية الإسلام كأنما أخذ المسلمون حياة جديدة وظهر لروحانية الإسلام رونق جديد.

رياسة روحانية الإسلام التي كانت قد زالت دفعة واحدة والمسلمون كأنهم قد نسوا جهة الروحانية الإسلامية ـ تجددت بنورانية شفافة. كما كانت عظمة مصائب الحسين على جميع مصائب روحانيي السلف مسلمة كذلك كانت للثورات التي ظهرت بعد واقعة الحسين مزية على ثورات السلف وكان امتدادها أكثر وآثارها أعظم. ومن هذا الوجه ظهر للعالم أجمع مظلومية آل محمد.

أول نتيجة لهذه الثورة أن الرياسة الروحانية التي لها أهمية عظمى في عالم السياسة تجددت في بني هاشم وعلى الأخص في البقية من آل الحسين[١] وإلى الآن ينظر جميع المسلمين إلى بني هاشم وخصوصاً ذرية الحسين بنظر الروحانية ولم تطل المدة حتى زالت تلك السلطنة ذات السعة والاقتدار عن آل يزيد ومعاوية وفي أقل من قرن سلبت السلطة من بني أمية قاطبة وانمحى ذكرهم واضمحلوا بحيث أنه لم يبق لهم اليوم اسم ولا رسم ولا ذكر وأينما ذكر لهم في متون الكتب اسم يقرنه المسلمون بكلمة شماتة وهذه كلها نتائج

(١) يشير إلى الأئمة الاثني عشر عليهم السلام. (المؤلف).

السياسة الحسينية التي يمكن أن يقال فيها أنه لم يذكر التاريخ في أرباب الديانات والسلف من الروحانيين إلى اليوم شخصاً كالحسين مفكراً في عواقب الأمور مراعياً لها بعيد النظر إلى المستقبل مستقبل الفكر.

قبل أن تصل أسرى الحسين إلى يزيد نشر لواء طلب ثار الحسين وقامت الثورة ضد يزيد[١].

مظلومية الحسين كشفت جميع أسرار بني أمية ورفعت الستار عن نواياهم السيئة حتى أنه طال لسان اللوم والشماتة على يزيد من أهل داره وحرمه مع أنه لم يكن بالإمكان ذكر الحسين وأهل بيت علي بخير حول يزيد وبين حاشيته وبعد هذه الواقعة أصبح يزيد مرغماً على سماع ذكر اسم الحسين وأهل بيت علي في الملأ العام وفي الخلوات والجلوات بالتقديس والتعظيم والمظلومية وكان ذلك أسخط شيء له ولكن لا يسعه إلا السكون ولما رأى تبرأ الناس من هذه الأعمال نسب التقصير إلى أمرائه. ولما رأى شدة إطراء الناس للحسين وذكر محامده عز عليه ذلك حتى قال يوماً كان أحب إلي أن يكون الملك والسلطنة للحسين من أن أرى وأسمع لآل علي وبني هاشم هذا التعظيم والتقديس وبالآخرة فلم يزل أولياء الحسين يستفيدون من هذه الثورات وتزيد قوة وعظمة بني هاشم ولم يمض أقل من قرن حتى صارت السلطنة الإسلامية الوسيعة في بني هاشم[٢] بلا مزاحم وأبادوا بني أمية بحيث لم يبق لهم اسم ولا رسم غير أنه

---

(١) كأنه يشير إلى التوابين الذي طلبوا بثار الحسين عليه السلام. (المؤلف).

(٢) يعني بني العباس.

بعد بضعة قرون ترأس جماعة منهم في الأندلس واحداً بعد واحد واليوم لا يمكن أن يوجد من ذلك البيت العظيم الذي مرت عليه قرون وهو ذو عظمة وسلطنة شخص واحد ولو خامل الذكر ولو وجد لستر حسبه ونسبه عن الناس من شدة الطعن كما هو المشهور أن العائلة القاجارية الذين هم سلاطين إيران اليوم هم من بني أمية ولكنهم ينكرون هذه الشهرة ويتبرأون من هذه النسبة.

تحلى بنو هاشم بعد قرن بقلادة الملك وكانوا أولاد عم الحسين لا أولاده لأن أولاده كانوا قد اختاروا العزلة وكانت رياسة الإسلام الروحانية على الإطلاق مسلمة لهم. إن أبناء عم الحسين وإن يكونوا حازوا السلطنة ببركة ثورات أتباع الحسين لكنهم بعد أن قبضوا على زمامها ورسخت فيها أقدامهم خافوا على مقامهم وسلطنتهم فمنعوا أصحاب تلك الثورات منها منعاً شديداً خوفاً من أن تعود السلطنة الإسلامية في أبناء الحسين شيئاً فشيئاً فهدأت فورة تلك الثورات شيئاً فشيئاً (أولاً) للمنع الشديد من أبناء عم الحسين (وثانياً) لاضمحلال بني أمية. فلما رأى عقلاء أتباع الحسين وعلي شدة المنع من قبل بني العباس وضعف مادة الثورة علموا أن لا قدرة لهم على مقاومة بني العباس الذي هم في غاية القدرة وعلى الثورة ضدهم مع تشتت الأفكار العمومية فتركوا الثورة ظاهراً وغيروا صورتها باطناً باجتماعهم وتذكر تلك المصائب والفظائع التي وردت على الحسين فأحيوا تلك الثورة العظمى وأظهروها بمظهر جديد. لما اطلع سلاطين بني هاشم[١] على هذا التدبير الذي دبره أتباع الحسين خافوا زيادة على

(١) بنو العباس. (المؤلف).

خوفهم الأول ورأوا من اللازم شدة معارضة ذلك التدبير على وجه أنهم تتبعوا أتباع علي والحسين فإذا ظهرت تابعيتهما على أحد يعاملونه معاملة أكبر جان سياسي وبهذا الجرم صلت وقتل وجرح وحبس ألوف من أتباع الحسين ومع هذه الشدة لم يتمكنوا من قلع مادة الثورة من أتباع علي وكلما ازدادوا شدة ومعارضة ازداد أتباع علي والحسين قوة واشتداداً في الثورة وكانت العاقبة أنه بتدابير أتباع الحسين زالت سلطنة هذه الطبقة وتداول السلطنة أولاد الحسين مدة من الزمان[١]. كانت الرياسة الروحانية بعد الحسين في أولاده واحداً بعد واحد[٢] وهؤلاء أيضاً جعلوا إقامة عزاء الحسين الجزء الأعظم من المذهب وألبست هذه النكتة السياسية شيئاً فشيئاً اللباس المذهبي وكلما ازدادت قوة أتباع علي ازداد إعلانهم بذكر مصائب الحسين وكلما سعوا وراء هذا الأمر ازدادت قوتهم وترقيهم وجعل العارفون بمقتضيات الوقت يغيرون شكر ذكر مصائب الحسين قليلاً قليلاً فجعلت تزداد كل يوم بسبب تحسينهم وتنميقهم لها حتى آل الأمر إلى أن صار لها اليوم مظهر عظيم في كل مكان يوجد فيه مسلمون حتى إنها سرت شيئاً فشيئاً بين الأقوام وأهل الملل الأخرى خصوصاً في الصين والهند. وعمدة أسباب تأثيرها في أهل الهند هو أن المسلمين جعلوا طريق إقامة العزاء مشابهاً لمراسم إقامة العزاء عند أهل الهند. قبل مائة سنة لم تكن إقامة عزاء الحسين شائعة في الهند شيوعاً تاماً وظاهرة علناً وفي هذه المدة القليلة استوعبت بلاد الهند من أولها إلى

(١) يشير إلى الدولة الفاطمية بمصر.

(٢) كأن مراده الأئمة الاثنا عشر. (المؤلف).

آخرها ويظهر أنها كل يوم في زيادة. لعدم اطلاع بعض مؤرخينا على كمية وكيفية هذه المآتم ورواجها استرسلوا في كلامهم على غير علم وجعلوا يصفون إقامة أتباع الحسين لها بأنها أفعال جنون ولم يقفوا أبداً على مقدار ما أحدثته هذه المسألة من التغييرات والتبديلات في الإسلام. الحس السياسي والثوران والهيجان المذهبي التي ظهرت في هذه الفرقة من إقامة هذه المآتم لم ير مثلها في قوم من الأقوام. إن من يسبر غور الترقيات التي حصلت في مدة مائة سنة لأتباع علي في الهند الذين اتخذوا إقامة هذه المآتم شعاراً لهم يجزم بأنهم متبعون أعظم وسيلة للترقي. كان أتباع علي والحسين في جميع بلاد الهند يعدون على الأصابع واليوم هم في الدرجة الثالثة بين أهل الهند من حيث العدد وكذلك في سائر البلدان. عندما نقيس منهج دعاتنا (المبشرين) مع صرف تلك القوة والثروة بمنهج دعاة هذه الفرقة نرى أن دعاتنا لم يجوزوا العشر من تقدم هذه الفرقة. رؤساء ديننا وإن كانوا يحزنون الناس بذكر مصائب حضرة المسيح ولكنه ليس بذلك الأسلوب والشكل الذي يتخذه أتباع الحسين. ويحتمل أن يكون السبب في ذلك أن مصائب المسيح في جنب مصائب الحسين لا تكون مؤثرة مشجية للقلب بتلك الدرجة التي لمصائب الحسين. على مؤرخينا أن يطلعوا على حقائق رسوم وعادات الأغيار ولا ينسبوها إلى الجنون.

(يقول المؤلف) إنني أعتقد أن صيانة قانون محمد ﷺ[1] وترقي المسلمين وظهور رونق الإسلام هو من قتل الحسين عليه السلام

(١) أي دين الإسلام. (المؤلف).

وحدوث تلك الوقائع. إن هذا القسم من الدماغ السياسي والحس الثوروي (الذي هو عدم الاستسلام للضيم والظلم وهو عند حكماء السياسة أشرف شعار وأعظم سعادة وأفضل صفة ممدوحة لكل إنسان) قد ظهر في هؤلاء القوم بواسطة إقامتهم مآتم الحسين عليه السلام وما دام هذا العمل ملكة لهم لا يقبلون الذل والضيم. ينبغي تدقيق النظر فيما يذكر في المجالس المنعقدة لإقامة عزاء الحسين عليه السلام من النكات الدقيقة الباعثة في الإنسان روح الحياة التي يسمعها بعضهم لبعض وفي الحقيقة يعلّمه إياها.

(يقول المؤلف) حضرت مجالس إقامة عزاء الحسين عليه السلام مراراً في إسلامبول مع مترجم خاص فسمعتهم يقولون (الحسين الذي هو إمامنا ومقتدانا وطاعته وإتباعه واجبان علينا لم يتحمل الضيم ولم يدخل في طاعة يزيد ولأجل حفظ شرفه وعلو حسبه وارتفاع مقامه بذل ماله بذل نفسه بذل أولاده بذل عياله واستعاض عن ذلك بحسن الذكر في الدنيا والشفاعة الآخرة والقرب من الله وقد خسر أعداؤه الدنيا والآخرة) من بعد ذلك رأيت وعلمت أنهم في الحقيقة يعلم بعضهم بعضاً علناً أنكم إن كنتم من أتباع الحسين عليه السلام إن كان لكم شرف إن كنتم تطلبون السيادة والفوز فلا تدخلوا في طاعة أمثال يزيد ولا تحملوا الضيم واختاروا موت العز على حياة الذل تنالوا حسن الذكر في الدنيا والسعادة في الآخرة. من المعلوم أن أمة تلقى عليها هذه التعاليم من المهد إلى اللحد في أي درجة تكون في الملكات العظيمة والسجايا العالية. نعم تكون حائزة كل سعادة وشرف ويكون كل فرد منها جندياً حقيقياً مدافعاً عن عز قومه وفخرهم هذه هي نكتة

التمدن الحقيقي للأمم اليوم هذا هو تعليم معرفة الحقوق هذا هو معنى تدريس أصول السياسة.

نحن الأوروبائيين بمجرد أن نرى لقوم حركات ظاهرية في مراسمهم الملية أو المذهبية منافية لعادتنا ننسبها إلى الجنون والتوحش ونحن غافلون عن أننا لو سبرنا غور هذه الأعمال لرأيناها عقلية سياسية كما نشاهد ذلك في هٰذه الفرقة وهؤلاء القوم(١) بأحسن وجه والذي يجب علينا هو أن ننظر إلى حقائق عوائد كل قوم وإلا فإن أهل آسيا أيضاً لا يستحسنون كثيراً من عوائدنا ويعدون بعض حركاتنا منافية للآداب ويسمونها بعدم التهذيب بل بالوحشية(٢). وعلاوة على تلك المنافع السياسية التي ذكرناها التي هي طبعاً أثر التهيج الطبيعي فإنهم يعتقدون أن لهم في إقامة مأتم الحسين عليه السلام درجات عالية في الآخرة.

كل عارف بالتاريخ واقف على طبائع أهل آسيا يعتقد ويذعن بأنه لا يمكن اليوم بل وإلى ما بعد قرنين إصلاح أخلاقهم وإلقاء التعاليم السياسية عليهم إلا باسم الدين والمذهب.

ينبغي اقتطاف ثمرات حب القومية والوطن من أهال آسيا تحت ظل المذهب كما كانت أوروبا قبل بضعة قرون. لا يمكن اليوم طلب خدمة من أهال آسيا كأهالي أوروبا باسم الخدمة القومية والوطنية ولكن يمكن أخذ خدمات منهم تعود ثمراتها على الأمة والوطن باسم المذهب. لا يرى اليوم من المسلمين البالغين ثلاثمائة مليون من هو

(١) يعني الشيعة.

(٢) كرقص النساء والرجال في المحافل العمومية والتهتك وغير ذلك.

حائز على الاستقلال سوى خمسين مليوناً[١] فإذا نبذ المسلمون الدين ظهرياً وراموا التقدم السياسي باسم القومية فسينالون عوض النفع ضرراً لأن خمسة أسداس المسلمين تحت ضغط ملل أخرى ومضمحلة في أقوام آخرين. فإذا طلبوا التقدم باسم القومية فيكون الحرمان من الحياة السياسية نصيب هذه الخمسة أسداس فلا تشترك مع السدس الباقي ولكنهم إذا راموا التقدم باسم الجامعة الإسلامية فلا بد أن تنبعث روح النهضة في جميع آحاد المسلمين وبواسطة الرابطة الروحانية ستنجو من الاضمحلال جميع الفرق الإسلامية التي هي تحت ضغط أقوام آخرين وليس لواحدة من الروابط الروحانية التي بين المسلمين اليوم تأثير في نفوسهم كتأثير إقامة مأتم الحسين فإذا دام انتشار وتعميم إقامة هذه المآتم بين المسلمين مدة قرنين لا بد أن تظهر فيهم حياة سياسية جديدة وأن الاستقلال الباقي للمسلمين اليوم[٢] نصف أسبابه هو إتباع هذه النكتة وسنرى اليوم الذي يتقوى فيه سلاطين المسلمين تحت ظل هذه الرابعة وبهذه الوسيلة سيتحد المسلمون في جميع أنحاء العالم تحت لواء واحد لأنه لا يرى في جميع طبقات الفرق الإسلامية من ينكر ذكر مصائب الحسين وينفر منها بسبب ديني بل للجميع رغبة طبيعية بطور خاص في أداء هذه المراسم المذهبية ولا يرى في المسلمين المختلفين في العقائد سوى هذه النكتة الاتحادية.

---

(١) في الأصل الفارسي المترجم عنه خمسة ملايين والظاهر تبديل الخمسين بالخمسة سهواً. (المؤلف).

(٢) كأن مقصوده سلطنة الشيعة. (المؤلف).

الحسين عليه السلام أشبه الروحانيين بحضرة المسيح ولكن مصائبه كانت أشد وأصعب كما إن أتباع الحسين كانوا أكثر تقدماً من أتباع المسيح في القرون الأولى فلو أن المسيحيين سلكوا طريقة أتباع الحسين أو أن أتباع الحسين لم تمنعهم من ترقياتهم عقبات من نفس المسلمين لسادات إحدى الديانتين في قرون عديدة جميع المعمور كما أنه من حين زوال العقبات من طريق أتباع الحسين عليه السلام أصبحوا كالسيل المنحدر يحيطون بجميع الملل وسائر الطبقات.

(انتهت ترجمة ما نقلته جريدة حبل المتين الفارسية عن المسيو ماربين الألماني).

وأما نقلته عن الدكتور جوزيف الإفرنسي فهذه ترجمته إلى العربية قال في الجريدة المذكورة تحت عنوان:

ترقيات فرقة الشيعة المحيرة للعقول

شرح الدكتور (جوزيف) أحد مشاهير مؤرخي فرنسا في كتابه المسمى (الإسلام والمسلمين) ترقيات كل فرقة من الفرق الإسلامية بأدلتها والمؤلف المذكور يدعي أنه إلى الآن لم يشرح أحد من مؤرخي أوروبا أحوال المسلمين بأدلتها مثله.

ترجمة ما نقلته جريدة حبل المتين عن الدكتور جوزيف الإفرنسي

(أولاً) قسم المؤلف المسلمين إلى قسمين فقال بعد وفاة مؤسس الإسلام محمد صلى الله عليه وآله وقع الاختلاف في عقيدة أتباعه بسبب الخلافة فقالت طائفة بخلافة صهره علي بن أبي طالب وخضعت فرقة أخرى

لخلافة أبي زوجته أبي بكر بن أبي قحافة وفي الحقيقة أنه من يوم مفارقة محمد بن عبد الله الدنيا صار اختلاف الكلمة بين المسلمين محسوساً ولكن لا يمكن أن يفهم من التواريخ زمان افتراق اسم هاتين الفرقتين أعني في أي زمان سمي أتباع الصهر شيعة[١] وأتباع أبي الزوجة سنيين ولكن التباين بين هاتين الفرقتين صار يكثر يوماً فيوماً إلى أن صار الصهر خليفة وخالفته عائشة زوجة النبي وبنت الخليفة الأول ونشر لواء الملكية في الشام معاوية أخو الزوجة الثانية للنبي ونشبت الحروب وسفكت الدماء فكانت العداوة إلى ذلك الزمان قلبية فلما آل الأمر إلى سفك الدماء وطلب الثار صارت علنية وتسمى كل من الفرقتين علناً مع الافتخار أحدهما بالشيعي والآخر بالسني إلى أن قام ملك الشام بالإغارة على أتباع صهر النبي وقتلهم وجعل يذكر اسمه بالشتم والقبح في مساجد المسلمين وعلى منابرهم واستمر ذلك ألف شهر فزاد هذا العمل العداوة بين الشيعة والسنيين. مع أن السلطنة والاقتدار التام لم ترافق فرقة الشيعة إلا أياماً قليلة أي أيام خلافة علي بن أبي طالب ولم يكن لهم كثير قوة واقتدار مع هذا كله كانوا كالجراد المنتشر، وكانوا لا يظهرون أنفسهم خوفاً على حياتهم إلى أن قتلوا سبط محمد مع أصحابه قرب الكوفة بأمر يزيد ابن ملك الشام، اكتسبت هذه المسألة أهمية كبرى وأفجعت أتباع صهر محمد

(١) لفظة الشيعة كانت مستعملة على عهد النبي ﷺ ولم يكن يلقب بها وقتئذ سوى أربعة من الصحابة سلمان وعمار والمقداد وأبي ذر ثم انتشرت بعد ذلك بصفين في أصحاب علي عليه السلام ذكر ذلك أبو حاتم السجستاني في الجزء الثالث من كتاب (الزينة) وأما لفظة السنة فلم تكن لتعرف إلا عام صلح الحسن عليه السلام لمعاوية حيث لقب بها معاوية وأتباعه كما نص على ذلك جملة من المؤرخين (مجلة العلم) بل الظاهر أن لفظة أهل السنة أطلقت في زمن العباسيين فقط. (المؤلف).

وقوتهم وجعلتهم مستعدين لمتابعة العمل فأنشبوا الحروب وسفكوا الدماء وأقاموا المآتم حتى آل الأمر إلى أن جعلت هذه الفرقة تعتقد أن رؤساء الدين بعد النبي اثنا عشر شخصاً من أولاد علي وفاطمة وأن أقوال كل واحد من هؤلاء وأفعالهم في كل حال هي قول الله والرسول وثاني القرآن، وأئمة هذه الفرقة أيدتها في إقامة مأتم الحسين أصبحت على التدريج أحد أركان مذهب الشيعة بل ركنه الأعظم، لم يكن لهذه الفرقة في القرون الإسلامية الأولى كثير ظهور. ويمكن إسناد قلة هذه الطائفة إلى سببين (أحدهما) أن الرياسة والحكم التي هي بالأصالة موروثة لنشوء ونمو أتباع المذهب كانت من بدء الإسلام بيد الفرقة الثانية (ثانيهما) أنه كان القتل والإغارة عليهم في كل زمان ومكان ولهذا حكم أحد أئمة الشيعة في أوائل القرن الثاني من الإسلام بالتقية وإخفاء مذهب الشيعة حفظاً لنفوسهم وأموالهم، التقية قوت هذه الفرقة لنهم حيث لم يكونوا ظاهرين لم تنلهم أيدي أعدائهم القوية بالقتل والغارة، وأقاموا المآتم تحت الستار يبكون فيها على الحسين فأثرت هذه المآتم في قلوب هذه الطائفة إلى حد إنه لم يمر عليها زمن كثير حتى بلغت الأوج في الترقي ودخل في هذه الطائفة بعض الوزراء وكثير من الملوك والخلفاء فبعضهم أخفى ذلك تقية وبعضهم أظهره جهاراً، من بعد الأمير تيمور الكوركاني ورجوع سلطنة إيران قليلاً قليلاً إلى الصفوية اتخذت فرقة الشيعة إيران مركزاً لها، بموجب تخمين بعض سائحي فرنسة أن الشيعة سدس أو سبع المسلمين[1] ونظراً إلى ترقي هذه الطائفة في مدة قليلة بدون إجبار

(١) كما إن المسلمين هم سدس البشر (مجلة العلم).

أصلاً يمكن القول بأنه لا يمضي قرن أو قرنان حتى يزيد عددها على عدد سائر فرق المسلمين والعلة في ذلك هي إقامة هذه المآتم التي جعلت كل فرد من أفرادها داعية إلى مذهبه، اليوم لا يوجد نقطة من نقاط العالم يكون فيها شخصان من الشيعة إلا ويقيمان فيها المأتم ويبذلان المال والطعام، رأيت في بندر (مارسل) في الفندق شخصاً واحداً عربياً شيعياً من أهل البحرين يقيم المأتم منفرداً جالساً على الكرسي بيده الكتاب يقرأ ويبكي وكان قد أعد مائدة من الطعام ففرقها على الفقراء، هذه الطائفة تصرف في هذا السبيل الموال على قسمين فبعضهم يبذلون في كل سنة من أموالهم خاصة في هذا السبيل بقدر استطاعتهم ما يقدر بالملايين من الفرنكات والبعض الآخر من أوقاف خصصت لإقامة هذه المآتم وهذا المبلغ طائل جداً، ويمكن القول بأن جميع فرق المسلمين منضمة بعضها إلى بعض لا تبذل في سبيل مذهبها ما تبذله هذه الطائفة وموقوفات هذه الفرقة هي ضعفا أوقاف سائر المسلمين أو ثلاثة أضعافها، كل واحد من هذه الفرقة بلا استثناء سائر في طريق الدعوة إلى مذهبه وهذه النكتة مستورة عن جميع المسلمين حتى الشيعة أنفسهم فإنهم لا يتصورون هذه الفائدة من عملهم هذا بل قصدهم الثواب الأخروي ولكن بما أن كل عمل في هذا العالم لا بد أن يظهر له بطبيعته أثر فهذا العمل أيضاً يؤثر ثمرات للشيعة، من المسلم أن المذهب الذي دعاته من خمسين إلى ستين مليوناً لا محالة يترقى على التدريج ترقياً لائقاً بهم حتى أن الرؤساء الروحانية والملوك والوزراء لهذه الفرقة ليسوا بخارجين عن صفة الدعوة، فقراء وضعفاء هذه الفرقة بما أنهم حصلوا ويحصلون على فوائد كلية من هذا الطريق فهم يحافظون على إقامة هذه المآتم أكثر

من كبرائها لأنهم رأوا في هذا العمل ثواب الآخرة وأجر الدنيا، فلهذا ترك جمع غفير من عرفاء هذه الفرقة أسباب معاشهم واشتغلوا بهذا العمل فهم يتحملون المشاق ليتمكنوا من ذكر فضائل كبراء دينهم والمصائب التي أصابت أهل هذا البيت بأحسن وجه وأقوى تقرير على رؤوس المنابر وفي المجالس العامة وبسبب هذه المشاق التي اختارتها هذه الجماعة في هذا الفن تفوقت خطباء هذه الفرقة على جميع الطوائف الإسلامية، وحيث أن تكرار المطلب الواحد يورث اشمئزاز القلوب وعدم التأثير فهؤلاء الجماعة يتحملون المشاق فيذكرون جميع المسائل الإسلامية العائدة لمذهبهم في هذه الطريقة على المنابر حتى آل الأمر إلى أن أصبح الأميون من الشيعة أعرف في مسائل مذهبهم ممن يقرأون ويفهمون من الفرق الإسلامية الأخرى من كثرة ما سمعوا من عرفائهم، اليوم إذا نظرنا في كل نقطة من نقاط العالم من حيث العدد والنفوس نرى أن أليق المسلمين بالمعرفة والعلم والحرفة والثروة هي فرقة الشيعة، دعوة هذه الفرقة غير محصورة في أهل مذهبهم أو في سائر الفرق الإسلامية بل أي قوم وضع أفراد هذه الطائفة أقدامهم بينهم يسري في قلوب أهل تلك الملة هذا الأثر، إن العدد الكثير الذي يرى اليوم في بلاد الهند من الشيعة هو من تأثير إقامة هذه المآتم، فرقة الشيعة حتى في زمان السلاطين الصفوية لم تسع في ترقي مذهبها بقوة السيف بل ترقت هذا الترقي المحير للعقول بقوة الكلام الذي هو أشد تأثيراً من السيف، ترقت اليوم هذه الفرقة في أداء مراسمها المذهبية بدرجة جعلت ثلثي المسلمين يتبعونها في حركاتها، جم غفير من الهنود والفرس وسائر المذاهب أيضاً شاركوهم في أعمالهم، وهذا أمر واضح أنه بعد مضي قرن تودع هذه

الخيالات بطريق الإرث لأبناء تلك الطوائف فيسلمون بها أو يعتقدون بذلك المذهب، وحيث أن فرقة الشيعة تعتقد أن جميع مطالبها مرتبطة بكبراء مذهبها ويطلبون المدد منهم في الحوائج والشدائد فسائر الفرق أيضاً التي تشاركهم في أفعالهم وأعمالهم تتأسى بهم كثيراً فبمجرد مصادفة قضاء حوائجهم تزداد عقيدتهم رسوخاً، من هذه القرائن والسباب يمكن أن يستدرك أنه لا يمر زمن قليل على هذه الفرقة حتى تتفوق من حيث العدد على جميع الفرق الإسلامية، كان أكثر هذه الفرقة إلى ما قبل قرن أو قرنين ما عدا إيران يعملون بالتقية في مذهبهم لقلة العدد وعدم القدرة ومن الزمن الذي استولت فيه دول الغرب على الممالك الشرقية وأعطت الحرية لجميع المذاهب تظاهرت هذه الفرقة بمراسم مذهبها في كل نقطة وهذه الحرية أفادتهم بدرجة أنها رفعت من مذهب الشيعة اسم التقية، بمناسبة الأسباب التي ذكرت وقفت هذه الفرقة على مقتضيات العصر أكثر من سائر الفرق الإسلامية وأقدمت على كسب المعاش وتحصيل العلوم أكثر من الآخرين، ومن هذه الوجهة فالرجال العاملون الذين يعيشون بكد اليمين يوجدون فيهم أكثر من سائر فرق المسلمين وحيث أن الغالب عليهم العمل فالملازمون لهم وخدامهم يصيرون بالطبع تابعين لهم وعلاوة على ذلك إنهم بواسطة الأعمال يحتاج الناس إليهم، ومحبتهم ومعاشرتهم لسائر الفرق موجبة لاختلاط الآخرين معهم عند مشاركتهم لهم في مجالسهم ومحافلهم وحينما يصغي المباشرون لهم إلى سماع أصول مذهبهم وأحاديثهم مرة بعد مرة لا محالة يألفون مشربهم وهذا هو عمل الدعاة، والأثر الذي يترتب على هذه الوضعية هو الأثر الذي توخته عرفاء دول الغرب في ترقية دين المسيح مع بذل أموال تحير العقول.

من جملة الأمور السياسية التي ألبستها رؤساء فرقة الشيعة لباس المذهب من عدة قرون وصارت مورثة جداً لجلب قلوبهم وقلوب غيرهم هي أصول التمثيل باسم الشبيه والتعزية في مأتم الحسين، التمثيل أدخلته حكماء الهند في عبادتها لعدة أغراض خارجة عن موضوع بحثنا، الأوربائيون بمقتضى السياسة ألبسوا التمثيل لباس التفرج وأظهروا في محلات التفرج العمومية لأنظار العالم والخاص أموراً سياسية مهمة لاستجلاب القلوب وقليلاً قليلاً أصابوا هدفين بسهم واحد تفريح الطبائع وجلب قلوب العامة في الأمور السياسية.

فرقة الشيعة حصلت من هذه النكتة على فائدة تامة فألبست ذلك لباس المذهب فيستنبط أن فرقة الشيعة أخذت هذا العمل من الهنود وعلى كل حال فالتأثير الذي يلزم أن يحصل على قلوب العامة والخاصة في إقامة العزاء والشبيه قد حصل.

من جهة يذكرون في مجالس قراءة التعزية المتواصلة وعلى المنابر المصائب التي وردت على رؤساء دينهم والمظالم التي وردت على الحسين ومع تلك الأحاديث المشوقة إلى البكاء على مصائب آل الرسول فتمثيل تلك المصائب للأنظار أيضاً له تأثير عظيم ويجعل العام والخاص من هذه الفرقة راسخ العقيدة فوق التصور، وهذه النكات الدقيقة صارت سبباً في أنه لم يسمع بأحد من هذه الفرقة من ابتداء ترقي مذهب الشيعة أنه ترك دين الإسلام أو دخل في فرقة إسلامية أخرى، هذه الفرقة تعمل الشبيه بأقسام مختلفة فتارة في مجالس مخصوصة ومقامات معينة وحيث أنه في أمثال هذه المجالس المخصوصة والمقامات المعينة يكون اشتراك الفرق الأخرى معهم أقل

أو جدوا تمثيلاً بوضع خاص فعملوا الشبيه في الأزقة والأسواق وداروا به بين جميع الفرق وبهذا السبب تتأثر قلوب جميع الفرق منهم ومن غيرهم بذلك الأثر الذي يجب أن يحصل من التمثيل ولم يزل هذا العمل شيئاً فشيئاً يورث توجه العام والخاص إليه حتى أن بعض الفرق الإسلامية الأخرى وبعض الهنود قلدوا الشيعة فيه واشتركوا معهم في ذلك وعمل الشبيه في الهند أكثر رواجاً منه في جميع الممالك الإسلامية كما أن سائر فرق الإسلام هناك أكثر اشتراكاً مع الشيعة في هذا العمل من سائر البلاد. ويظن أن أصول التمثيل وعمل الشبيه بين الشيعة قد جاءت من جهة سياسة السلاطين الصفوية الذين كانوا أول سلسلة استولت على السلطنة بقوة المذهب ورؤساء الشيعة الروحانيون شيئاً فشيئاً أيدوا هذا العمل وأجازوه.

ومن جملة الأمور التي صارت سبباً في ترقي هذه الفرقة وشهرتها في كل مكان هو إراءة أنفسهم بالمرأى الحسن بمعنى أن هذه الطائفة بواسطة مجالس المآتم وعمل الشبيه واللطم والدوران وحلم الأعلام في مأتم الحسين جلبت إليها قلوب باقي الفرق بالجاه والاعتبار والقوة والشوكة لأنه من المعلوم أن كل جمعية وجماعة تجلب إليها الأنظار وتوجه إليها الخواطر إلى درجة ما. مثلاً لو كان في مدينة عشرة آلاف نفس متفرقين وكان في محل ألف نفس مجتمعين كانت شوكة الألف وعظمتهم في أنظار الخاص والعام أكثر من العشرة آلاف. مضافاً إلى أنه إذا اجتمع ألف نفس انضم إليهم من غيرهم بقدرهم بعضهم للتفرج وبعضهم للصداقة والرفاهة وبعضهم لأغراض خاصة وبهذا الانضمام تتضاعف قوة الألف وشوكتهم في الأنظار.

لهذا ترى أنه في كل مكان ولو كانت جماعة من الشيعة قليلة يظهر عددها في الأنظار بقدر ما هي عليه مرتين وشوكتها وقوتها بقدر ما هي عليه عشر مرات وأكثر أسباب معروفية هؤلاء القوم وترقيهم هي هذه النكتة.

ومن جملة الأمور الطبيعية التي صارت مؤيدة لفرقة الشيعة في التأثير في قلوب سائر الفرق هو إظهار مظلومية أكابر دينهم وهذه المسألة من الأمور الطبيعية لأن كل أحد بالطبع ينتصر للمظلوم ويحب غلبة الضعيف على القوي وإن كان محقاً والظالم خوصاً إذا كان بعيداً أو مرت عليه أعوام. ومصنفو أوروبا الذين كتبوا تفصيل مقاتلة الحسين وأصحابه وقتلهم مع أنه ليس لهم عقيدة بهم أصلاً أذعنوا بظلم قاتليهم وتعديهم وعدم رحمتهم ويذكرون أسماء قاتليهم بالاشمئزاز. وهذه الأمور طبيعية لا يقف أمامها شيء وهذه النكتة من المؤيدات الطبيعية لفرقة الشيعة. انتهت ترجمة ما أردنا نقله مما نقلته جريدة حبل المتين الفارسية عن الدكتور جوزيف الإفرنسي وقد أفاض الكاتب في أمور أخر برهن على أنها من أسباب ترقي الشيعة كالقول بالاجتهاد والاعتقاد بوجود المهدي تركنا ذكرها لعدم تعلقها بما نحن بصدده.

الفصل الثامن

في إجمال نتيجة ما تقدم ورد ما يعيب به العائبون على إقامة المآتم

قد عرفت مما بيناه في الفصول السابقة أن ما يعيبنا به العائبون على إقامة هذه المآتم مما ذكرناه في صدر الكتاب لا عيب فيه.

(أما قولهم) إن أمراً وقع قبل ألف ومئات من السنين ما معنى إعادة ذكره كل عام فيدفعه أن مثل هذه الفاجعة العظيمة لا تنسى على ممر الدهور والأعوام وفيما بيناه من فوائدها المنقولة والمعقولة غنية عن إعادة الكلام وقد عرفت في الفصل السادس جواب من قال خفنا أن ينكر قتله كما أنكرت بيعة الغدير.

(وأما) قولهم أن يزيد قتل الحسين مرة وأنتم تقتلونه في كل عام مرة فتمويه واضح يقصد به ستر فضائح يزيد ومن مهد له بعدم إعادة ذكرها على الأسماء وإلا فهذه المآتم إحياء لذكرى الحسين عليه السلام ولذكر فضائله ولا تشتمل على إسناد أمر قبيح إليه حتى تكون إعادة ذكرها في كل عام مضرة نعم تشتمل على إسناد القبائح إلى قاتليه.

(وأما) قولهم أن الأمر الفظيع لا ينبغي إعادة ذكره بل ينبغي تناسيه وقولهم أن في إعادة ذكره حطاً من مقام أهل البيت عليهم السلام فيرده

ما أطبق العقلاء عليه من إقامتهم التذكار لعظماء رجالهم الذين قتلوا في سبيل الأمور السامية في كل عام: وذكر ما وقع من الفظائع والظلم على العظماء لا يعد حطاً من مقامهم ولقد نقل الله تعالى في كتابه شيئاً كثيراً مما قيل في سب الأنبياء وعيبهم من مكذبيهم ونقل عن اليهود قولهم يد الله مغلولة وغير ذلك مما لا يحصى كثرة (ومن) هذا القبيل ما نقل لنا أن بعض الناس عاب على الذاكرين لفاجعة كربلاء ذكرهم أسماء النساء كزينب وأم كلثوم وسكينة فجاء الذاكر في اليوم التالي وقال بلغني أن بعض الناس يعيب علينا ذكر أسماء نساء أهل البيت في المجالس وأن الله تعالى قد ذكر مريم ابنة عمران عليها السلام في كتابه العزيز الذي يتلى في كل مجلس فقال: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾[1] فذكر اسمها وذكر معه لفظ الفرج.

(وأما) توهم بعضهم أن ذلك بدعة فقد عرفت من مجموع ما تقدم أنه لا يشتمل إلا على السنن والمستحبات أو المباحات على الأقل ولا مساس له بالبدعة التي هي إدخال ما ليس من الدين في الدين أمثال ضرب الدفوف والتغني والرقص ونحو ذلك بعنوان ذكر الله تعالى وعبادته: وإن من أقبح البدع وأشنعها اتخاذ يوم قتل ابن رسول الله ﷺ يوم عيد وفرح وسرور يوسع فيه على العيال فيه الألبان ويتوسع في المطاعم والحلوى واتخاذ الأواني الجديدة والاكتحال ودخول الحمام ويعتل لذلك بأنه عيد رأس السنة مع أن رأس السنة ليس يوم عاشوراء بل أول يوم من المحرم فما بالهم لا يفعلون ذلك في أول يوم من المحرم ويفعلونه يوم عاشوراء فراجع ما نقلنا عن المقريزي في صدر الكتاب وقال ابن منير الدين الطرابلسي في رائيته المشهورة:

(١) سورة التحريم، الآية: ١٢. (المحقق).

وحلقت في عشر المحر م ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره وصيام أيام أخر
ولبست فيه أجل ثو ب للملابس يدخر
وسهرت في طبخ الحبو ب من العشاء إلى السحر
وغدوت مكتحلاً أصا فح من لقيت من البشر
ووقفت في وسط الطريـ ق أقص شارب من عبر

(وأما) ما سود به السوداني صحيفته فنقول في نقضه (أما) جعله حديث من وسع على عياله يوم عاشوراء.. الخ. من الموضوعات فقد أصاب فيه ولكنه أخطأ في تخصيص الوضع بالخوارج[1] بل الواضع لذلك بنو أمية وأتباعهم من علماء السوء الذين كانوا يبذلون لهم الأموال الجزيلة ويولونهم الولايات الجليلة ليضعوا لهم الأحاديث في تنقيص علي وولده وفي التوسعة على العيال في يوم قتل ابن رسول الله ﷺ وإجراء مراسم الأعياد.

وإلى ذلك أشار السيد الرضي رضي الله عنه بقوله:

كانت مآتم بالعراق تعدها أموية بالشام من أعيادها

وقد عرفت في صدر الكتاب ما نقلناه عن المقريزي من أن الذي

---

(١) الذي بلغنا أن الخوارج الأباضية في زنجبار يقيمون مراسم الحزن يوم عاشوراء لا مراسم الأعياد وأنهم بقدر بغضهم لعلي وولده الحسن عليه السلام يحبون الحسين عليه السلام لقيامه بالسيف ومقاومته للظلم كما نبه عليه المسيو ماربين الألماني فيما مر من كلامه في الفصل السابع فما ندري من أين أتى السوداني بأن وضع ذلك الحديث من الخوارج. (المؤلف).
والذي بلغنا أن طائفة من المسيح يحرجون أنفسهم بالموس ويدقون المسامير في أيديهم وأرجلهم اعتقاداً منهم بقتل المسيح عليه السلام ولا يذمون لفعلهم ولا يلامون من المسيح مع خلافهم معهم وخلافهم مع الإسلام في المعتقد والفعل فلم يذم ويلام الشيعة في تعبيرهم عن حزنهم بتمثيلهم كيف ضرب وجرح وقتل الحسين عليه السلام. (المحقق).

سن هذه السنة لأهل الشام هو الحجاج في زمن عبد الملك بن مروان وأن أول من أدخلها إلى مصر بنو أيوب والصحيح أن الذين سنوها هم بنو أمية كلهم وأتباعهم من زمن يزيد لا خصوص الحجاج ولما دخل سهل بن سعد الصحابي الشام رآهم قد علقوا الستور والحجب والديباج وهم فرحون مستبشرون وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول فقال في نفسه ترى لأهل الشام عيداً لا نعرفه ثم علم أن ذلك بسبب دخول رأس الحسين عليه السلام فعجب لذلك: إلا أن يريد السوداني الخوارج ومن على شاكلتهم من أتباع بني أمية فيكون كلامه صحيحاً (وأخطأ) السوداني أيضاً في نسبته إلى شيعة أهل البيت الذين نبزهم بالرافضة ـ التظاهر بالزينة في يوم عاشوراء بل ذلك اليوم يوم حزن عندهم لا يوم زينة والحزن فيه سنة لا بدعة بما مر من الأدلة وكذلك الإطعام ولكن السوداني أبى له تقليده ونصبه إلا مصادمة الحق (وأما) قوله وطفقوا يروون الأكاذيب كعادتهم فقد كذب فيه فإن عادة شيعة أهل البيت الصدق والورع توارثوها من إمام الصادقين علي بن أبي طالب عليه السلام (ومن) أبي ذر الذي شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء على ذي لهجة أصدق منه (ومن) إمامهم جعفر الصادق الذي لقب بالصادق لصدق حديثه (ومن) سلفهم الذين لا يقبلون إلا رواية العدل الثقة وبعضهم يشترط توثيقه بعد لين وبعضهم لا يقبل خبر الواحد (وتوارث) غيرهم عادته ممن أقاموا خمسين شاهداً أو أربعين يشهدون زوراً لأم المؤمنين أن هذا ليس ماء الحوأب حين نبحتها كلابه (وممن) أخذوا الجوائز الطائلة وولوا الولايات الجليلة ليرووا الأحاديث المكذوبة (مثل) أن قوله تعالى

والذي إذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل نزلت في علي بن أبي طالب (وإنه) غاظ رسول الله ﷺ بخطبته بنت أبي جهل حتى قام ﷺ خطيباً بذلك وما كان علي عليه السلام ليتزوج على فاطمة ولا كان رسول الله ﷺ ليغضب من ذلك لو فعل وإلا لكان ذلك قدحاً فيه (والعياذ بالله) إلى غير ذلك (وممن) يقبلون رواية عمران بن حطان مادح ابن ملجم على قتله لأمير المؤمنين وأمثال هؤلاء فأي الفريقين أحق بالكذب أيها السوداني (وأما) قوله فإن قتل الحسين فقد قتل من هو خير منه... الخ. فإنا نسأل السوداني هل بكى النبي ﷺ وأصحابه على جميع من ذكرهم قبل قتلهم وهل بكت السماء والأرض عليهم بالدم والشمس بالكسوف وناحت عليهم الجن وهل سبيت نساؤهم وهي بنات الوحي وأطفالهم وهم ذرية النبي ﷺ وهل حملت رؤوسهم من بلد إلى بلد وهل ديست أجسامهم بحوافر الخيل وهل كان قتلهم مشيداً لقواعد الدين ومظهراً لفضائح أعدائه ودرساً في الشجاعة وإباء الضيم. وما أشبه قياس السوداني هذا بما يحكى أن رجلاً صعد على سطح وبعد صعوده سقط الدرج ولم يمكنه النزول فأخبروا العارفة بذلك فأمرهم أن يرموا له حبلاً يربط نفسه به ثم يجروه إلى أسفل ففعلوا فتكسر ومات فأخبروا العارفة فتعجب وقال أنا أخرجت عدة أناس من البئر بهذه الكيفية ولم يموتوا ولنعم ما قال الشيخ صالح الكواز:

زعمت أمية أن وقعة دارها ... مثل الطفوف وذاك غير سواء
أين القتيل على الفراش بداره ... من خائض الغمرات في الهيجاء
ليس الذي اتخذ الجدار من القنا ... حصناً كمقريهن في الأحشاء

(وأما) قوله وإن كانوا يريدون تألب الناس على بغض بني أمية. . . الخ.

(فنقول) له بل يريدون بحزنهم على مصيبة ابن بنت نبيهم مواساة نبيهم في ذلك التي حُرِمتَ منها وثواب الله تعالى الذي وعده على ذلك وإظهار فضائح المنافقين فمن السخافة المتناهية المدافعة والمنافحة عنهم وإرادة ستر معائبهم (وهيهات) والغفلة أو التغافل عن فوائد إقامة الذكرى لعظماء الرجال وسادات الإسلام وتهجين وتقبيح مواساة الرسول ﷺ ف يمصيبة ولده وتصويرها بأقبح الصور والغفلة أو التغافل عن أن ذلك يؤذي رسول الله ﷺ ويغضبه ومخالفة جميع العقلاء في إقامة الذكرى لعظمائهم في كل عام كما عرفت (وأما) قوله وأمامهم اليوم في الشرق والغرب. . الخ. فهل هذا الذي هو أمامهم في الشرق والغرب ليس أمامه فما باله يشتغل بتقبيح ما أجمع العقلاء وجميع أهل الأديان على حسنه إلا من أعماه الهوى والغرض ويوغر الصدور ويفرق كلمة المسلمين في زمان هم فيه أحوج إلى الاتفاق بما يبدو أمامهم في الشرق والغرب إن كان من الصادقين وهل الشيعة بإقامتهم هذه المآتم أخلوا بواجبهم تلقاء ما يبدو أمامهم في الشرق والغرب وقام به هو بما يسطره في مجلته من تفريق كلمة المسلمين!!!

(وأما) قوله وإن كانوا يريدون التوصل بذلك الفعل الشنيع. . . الخ.

(فنقول) الفعل الشنيع الذي لا شيء أشنع منه تسميته مواساة النبي ﷺ في مصيبة ولده فعلاً شنيعاً. وتصوره إنهم يريدون بذلك التوصل إلى الإمارة والملك من التصورات النسوانية أو الصبيانية التي تمثله بأشنع مثال في أعين من يقرأ مجلته لو كان يعقل ما يقول.

وليكن هذا آخر ما نورده في هذا الكتاب والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده ووافق الفراغ منه عصير يوم الأربعاء السابع عشر من شهر ذي القعدة الحرام سنة ثلاث وأربعين بعد ثلاثمائة وألف بمدينة دمشق المحمية وتم تبييضه وتنقيحه قبيل ظهر يوم السبت الثالث من شهر جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ بشقراء من جبل عامل مع تشتت الأحوال واشتغال البال وامتلاء سوريا بالفتن والقلاقل ضد الإفرنسيين واشتعال فتنة الدروز معهم.

وكتب بيده الدائرة مؤلفة الفقير إلى عفو ربه الغني محسن ابن المرحوم السيد عبد الكريم الحسيني العاملي نزيل دمشق تجاوز الله عن سيئاته حامداً مصلياً مسلماً والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

تتميم نقصان

عثرنا بعد الطبع على ما يناسب إلحاقة بصفحة ٤٤ بعد آخر سطر ٢ وهو: وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد صفحة ٣٩٦ من المجلد الثالث طبع مصر قال (يعني الواقدي) وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تأتيهم (يعني قتلى أحد) بين اليومين والثلاثة فتبكي عندهم وتدعو (انتهى) ولا شك أن استمرار ذلك منها كما تدل عليه العبارة كان بإطلاع رسول الله ﷺ ورضاه وتقريره.

وقد فاتنا أيضاً أن نذكر في أدلة جواز البكاء على الحسين عليه السلام ما ورد من حزن رسول الله ﷺ على زوجته خديجة وعمه أبي طالب مع موته كافراً على زعم الخصم وقد ماتا في عام واحد وكانت خديجة ماتت قبله بخمسة وثلاثين يوماً حتى سمى رسول الله ﷺ

ذلك العام عام الحزن وقال ابن الأثير فعظمت المصيبة على رسول الله ﷺ بهلاكهما. انتهى.

فليؤخذ ذلك من مظانه ويلحق بالموضع المناسب له.

* * *

ذكر ابن الأثير في تاريخه[١] أن مصعب بن الزبير لما كان يحارب عبد الملك بن مروان ورأى تخاذل أهل الكوفة عنه قال لعروة بن المغيرة بن شعبة: أخبرني عن الحسين بن علي كيف صنع بامتناعه من النزول على حكم ابن زياد وعزمه على الحرب فقال: وإن الأولى بالطف (البيت). (المؤلف).

أقول: وردت هذه الحادثة في تواريخ المسلمين حتى بلغت حد الاستفاضة ونقلها ابن كثير في البداية والنهاية (ج٨، ص٣٤٦) وجاء فيها ما نصّه: وخرج مصعب وقد اختلف عليه أهل العراق وخذلوه، وجعل يتأمل من معه فلا يجدهم يقاومون أعدائه، فاستقتل وطمّن نفسه على ذلك وقال: لي بالحسين بن علي أسوة حين امتنع عن إلقائه يده ومن الذلة لعبيد الله بن زياد وجعل ينشد ويقول مسلياً نفسه:

وإن الأولى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنّوا للكرام التأسيا

(المحقق)

(١) أقول لعلّ مراد السيد رحمه الله تعالى هنا تاريخ الطبري ويظهر ذلك من ظاهر العبارة لأنها عبارة الطبري في تاريخه ج٥ ص٦ فراجع (المحقق).

الفهرس